

الاستيلاء

(رواية)

بيتروين 9 مايك ووكر

نقله إلى العربية

مها حسن بحبوح

Original Title:

TAKEOVER

by:

Peter Waine Mike Walker

Copyright © Peter Waine and Mike Walker

ISBN 0 - 471 - 49222 - 1

All rights reserved. Authorized translation from the English language edition
published by: John Wiley & Sons, Ltd . U. K

حقوق الطبعة العربية محفوظة للعيكان بالتعاقد مع جون ويلي وأبناءه، المملكة المتحدة

© مكتبة العبيكان 1426 هـ - 2005 م

المملكة العربية السعودية، شمال طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة، ص.ب. 62807 الرياض 11595
Obeikan Publishers, North King Fahd Road, P.O. Box 62807, Riyadh 11595, Saudi Arabia

الطبعة العربية الأولى 1426 هـ - 2005 م

ISBN 6 - 842 - 40 - 9960

© مكتبة العبيكان، 1426 هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

وين، بيتر

الاستيلاء. / بيتر وين؛ مايك ووكر؛ مها حسن بحبوح. - الرياض 1426 هـ

378 ص؛ 16.5 × 24 سم

ردمك: 6 - 842 - 40 - 9960

2 - الشركات

1 - المنافسة الاقتصادية

أ. ووكر، مايك (مؤلف مشارك) ب. بحبوح، مها حسن (مترجم) ج. العنوان

1426 / 5505

ديوي: 338.6048

رقم الإيداع: 1426 / 5505

ردمك: 6 - 842 - 40 - 9960

جميع الحقوق محفوظة. ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

All rights reserved. No parts of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior permission of the publishers.



obeikandi.com

السيطرة

الشخصيات والمواقف الواردة في هذا الكتاب
هي شخصيات ومواقف روائية بالكامل. أي
تشابه مع أي أفراد أو مواقف محدّدة هو
تشابه غير مقصود ولا يحتمل أي تأويل.



obeikandi.com

الإهداء

بيتروين:

إلى ستيفاني وفيليبيا.

مايك ووكر:

إلى أمي.



obeikandi.com

الفهرسك

الصفحة

الموضوع

• الجزء الأول:

١١

النهر

• الجزء الثاني:

١٣١

في اتجاه المجرى

• الجزء الثالث:

٢٩٥

السد

٣٦١

عالم الأعمال المعاصر



obeikandi.com

الجزء الأول

النهر



obeikandi.com

رجال الأعمال ليسوا بالحمقى. بإمكانهم أن يتبينوا، -مثل أي شخص آخر-، الطريقة الصحيحة للقيام بشيء ما.

فعلى الرغم من كل شيء، ليس هناك من يشرع بالقيام بأمر ما بصورة خاطئة. ولكن هل خطر لكم أن تفكروا كم يندر أن تجري الأمور بصورة صحيحة مع أي شخص كان؟... أعتقد أن السبب هنا هو أنه ليس بالإمكان اتخاذ القرارات المتعلقة بالعمل في الفراغ. ليس هناك شيء يعيش في الفراغ - كل ما يستطيع الفراغ أن يقوم به هو الحفاظ على حرارة الشاي.

يجري اتخاذ القرارات في العالم الحقيقي، وتشكل هذه القرارات دائماً تسوية بين بعض الأمور القليلة المتعلقة بالأعمال وآلاف الأمور الأخرى غير المتعلقة بها، بدأت أسنان الطفل بالظهور، اشترى جارك لتوه سيارة أفضل من سيارتك، تقيأت القطعة على السجادة، من تكون تلك الفتاة الرائعة الجمال التي كانت تقف إلى جانبك في المصعد؟... هل ستودع والدتك دار المسنين؟... هذه هي المادة التي تُصنع منها القرارات المتعلقة بالأعمال بالقدر نفسه الذي تصنعها فيه الميزانيات العامة وتقديرات المبيعات.

مقابلة مع جيم كراوفورد

الفارديان - The Guardian أكتوبر ١٩٩٩



obeikandi.com

كانت منطقة دوكلاندز، -وهي المنطقة المحيطة بأرصفة تحميل السفن في مدينة لندن، ولعدة قرون-، تعتبر خليجَ استقبال السفن الأهم بالنسبة للإمبراطورية البريطانية. فقد كانت السفن القادمة من جميع أنحاء العالم تبحر في نهر التيمز باتجاه حوض لندن حيث ترسو بقيادة ملاحين مهرة في أحد الأرصفة الكبيرة العديدة. وهناك، كانت مجموعات من أصحاب مراكب التفريغ والتحميل والعمال تقوم بتفريغ السفن ونقل الحمولة بالمراكب الصغيرة إلى نهايات خطوط السكك الحديدية أو إلى الأبنية المائية حيث تنتظرها المراكب البخارية والخيول لنقلها عبر البلاد إلى المراكز الصناعية الكبرى. كان هناك آلاف الرجال ممن يتمتعون بمئات المهارات المتنوعة التي غالباً ما توارثتها الأجيال أباً عن جد. ولكن، من بين جميع المهن والحرف السائدة على الأرصفة، كانت اللصوصية أكثرها رواجاً.

كانت لكل رصيف قوة خاصة به من رجال الشرطة الذين كانوا هدفاً لمشاعر الخوف والاحتقار. كان هؤلاء يقومون بالتحقق من هويات الرجال، عندما يتجمعون صباحاً لكي يقوم ناظر العمال بانتقاء بعضهم للعمل في ذلك اليوم. كما كانوا يتحققون من هوياتهم، بدقة أكبر، لدى خروجهم من الرصيف مساءً ويفتشون معاطفهم وداخل أحذيتهم، وفي كل مكان يمكن للدهاء البشري الطبيعي أن يدفع بالإنسان لأن يخفي داخله ثوباً من الحرير القادم من أقاصي الشرق أو بضعة آلاف من السجائر الآتية من الولايات المتحدة.

لكن كل شيء يذوي بفعل الزمن والتغيير. فحينما بدأت رياح التغيير، -بعد الحرب العالمية الثانية-، تهب على العالم وتؤثر على مكانة بريطانيا فيه، بدأ سيل البضائع بالتحول إلى جدول، ومن ثم إلى مجرى هزيل ليجف في نهاية المطاف. جثم الفراغ والصمت فوق الأرصفة: تلاشت المهن القديمة وخفت الصيحات التي كانت

تتردد على ضفة النهر، كما خفت الأغاني الرتيبة التي كان يشدو بها الصبية المتهورون من أبناء المنطقة، تلاشى كل ذلك ليتحول إلى ذكرى تقبع داخل أفكار المسنين.

لكن ما يظل كامناً في الأفكار لا بد وأن يُبْعَث من جديد. فبعد سنوات من الإهمال بدأت براعم حياة جديدة تشق طريقها عبر التربة القديمة. تحولت أرصفة الميناء إلى شقق فاخرة، تستدر الدموع لغلاء ثمنها، تشرف على النهر: حلت أحواض حديثة محل الأحواض القديمة وبرزت الأبراج في كل مكان، وتهادت القطارات الآلية لترقد المكان بمجموعات جديدة من العمال ممن يتمتعون بمهارات حديثة: خدمات مالية وتقنية المعلومات ووسائل الإعلام الإلكترونية والمطبوعة. كان من عادة جيم كراوفورد أن يردد أنه من بين المهارات التي سادت في دوكلاندز، كانت اللصوصية أكثرها رواجاً - إلا أنها الآن قد أصبحت قانونية وصار يُطلق عليها ميدان الأعمال.

كان كراوفورد، باعتراف الجميع، قد أطلق ذلك التعليق بقصد المزاح أمام أحد الصحفيين في إحدى تلك الحفلات التي كان مغرمًا بإقامتها في شقته التي تتربع على سطح بناء يطل على تاور بريدج. لكن ذلك التعليق كان لا يخلو من بعض الحقيقة، شأنه شأن العديد من تعليقاته التي كانت تمتاز بقدر أكبر من دقة الملاحظة. كان كراوفورد يدرك أن هناك كثيرين ضمن عالم الأعمال ممن يودون رؤيته حبيس أسوار برج لندن، التي غدت مشرعة الأبواب أمام السائحين بعد أن كانت تبعث على النفور في ما مضى، والتي لا يفصلها عن شرفة شقته سوى النهر. كان قد اتفق لكراوفورد أن سمع، عَرَضاً، أحد أعضاء مجلس الإدارة الأساسيين في شركته يقارنه بالسير والتر رايلي، وهو مغامر شهير وقرصان كان يعمل لحسابه الخاص، ويقول إن بضع سنوات يُستبعد فيها كراوفورد من عالم الأعمال، كفيلة بأن تيسر الحياة لهم جميعاً. أحس كراوفورد في البداية بدافع أغراه للتدخل والسؤال عما يحتم أن تكون الحياة أكثر يسراً، إلا أن الحذر تدخل في تلك اللحظة ومنعه من ذلك.

لا يعني ذلك طبعاً أن كراوفورد لم يشعر بالرضى إزاء تلك المقارنة. فقد كان قرصاناً. كان يجازف حيث يحجم الآخرون، وكان يغامر بالمضي إلى حيث كانوا يخافون، ويعود سالماً. كان، وإن لم يُعدّ دائماً بالكنز، يعود على الأقل وهو يحمل مكافأة سخية لنفسه، بالإضافة - وهو الأهم في هذا المجال - لأرباح لا بأس بها للمساهمين. في عالم الأعمال المعاصر، لا مجال أمام الشركة إلا أن تكون تنافسية وإلا اضمحلت من الوجود.

بالنسبة لكراوفورد، كان رجل الأعمال مَلِكاً - فقد كانت حاسة التمييز لديه وشجاعته في الوصول إلى خط النهاية مرة تلو الأخرى، هي المحرك الحقيقي للاقتصاد البريطاني - لا الخطى الحذرة المترددة التي تميّز رجال الاستثمارات الشبان في المصارف والعلماء المندفعين بسرعة الصاروخ داخل مكاتبهم والعاملين في التجارة في أبنية مركز المدينة، مزاولة الأعمال هي الأقدار الموجودة تحت الأظفار، هي الجسارة الصرفة، وهي سجية كان كراوفورد يحب إيضاها عن طريق رواية قصة قديمة جرت على رصيف الميناء تحكي ما قام به عاملٌ أسطوري على الرصيف، عُرف بدهائه ولصوصيته. ولربما كانت تلك القصة، أكثر من أي شيء سبق أن قاله أمام الملأ، هي مفتاح فهم كراوفورد وموقفه الأساسي في ما يتعلق بميدان الأعمال والأحداث التي كان سيطلقها من عقالها خلال مدة قصيرة.

«كان عامل رصيف الميناء ذاك، واسمه جاك فليتشر، يعمل في تلك الأيام التي كانت ما تزال تُستخدم فيها الخيول لجر الحمولات الثقيلة. حضر مساء ذات يوم إلى بوابة الرصيف، حيث كان ينتظر أعداؤه الدائمون من رجال شرطة الرصيف، وهو يجر عربة يد محمّلة بروث الخيل. قال فليتشر لرجال الشرطة: «إنه سماء للورود». لم يصدق رجال الشرطة بالطبع أية كلمة مما قال، فقاموا بإحضار مذراة وأعملوا يد التفتيش الدقيق في الحمولة النتنة. لكنهم اضطروا في نهاية الأمر للإقرار بأن الحمولة كانت روثاً لا غير، فسمحوا لجاك بالذهاب لمنزله. في المساء التالي حضر إلى البوابة، وهو يجر حمولة أخرى من الروث. تفحص رجال الشرطة

الاستيلاء

هذه الحمولة أيضاً ولم يجدوا شيئاً فسمحوا له بالذهاب. تكرر الأمر في المساء التالي، فسأله أحد رجال الشرطة: «جاك، كم وردة لديك؟...». هز جاك كتفيه وقال: «لدي ورود، ولدي أصدقاء لديهم ورود. إذا وجدت أي قانون يحظر أخذ حمولة من روث الخيل أخبرني وسأتوقف فوراً. ولكن إلى أن تجد قانوناً كهذا...». ثم سار وهو يصفر مبتسماً.

أعتقد بأنكم أدركتم أن تصرفات فليتشر جعلت مشاعر السخط لدى رجال الشرطة تأخذ منحى خاطئاً وزاد تصميمهم على اكتشاف ما كان يمرّره جاك خلسة داخل حمولات الروث. فأخذوا، ليلة بعد أخرى، يقومون بتفتيش أكوام الروث بمذراة دقيقة غير عابئين بالأقذار التي كانت تكسوهم أثناء التفتيش. سار الأمر على هذا المنوال لمدة أسبوعين. في مساء أحد الأيام لم يعد هناك أي روث. قال جاك: «انتهى الأمر». وتابع المسير هادئاً ساكناً مثل ليلة شتوية.

عندما كان كراوفورد يصل إلى هذه المرحلة في القصة، كان ينتظر إلى أن يتوصل أحد مستمعيه أخيراً لإدراك حقيقة ما كان يحدث: «كان يسرق عربات اليد». ليضحك عندها قائلاً: «صحيح أنه كان يسرق عربة يد كل يوم. لكنه، فوق ذلك، كان أيضاً ينتقم من رجال شرطة الرصيف. فهو لم يكتف بأن أظهرهم بمظهر الحمقى، في أعينهم وفي أعين الجميع، بل دفعهم إلى موقفٍ سَعَوْا فيه لتغطية أنفسهم بالأقذار بأيديهم».

لا شك بأن من الممكن أن يكون كراوفورد قد فكر بأن بالإمكان سرقة عدد كبير من عربات اليد قبل أن يدرك حتى أغبى رجل شرطة على بوابة الرصيف حقيقة ما يجري، لكن كراوفورد لم يكن من نوع الرجال المعتادين على الاستسلام للأفكار. وبينما كان خريف عام ١٩٩٩ يقترب من نهايته، كان كراوفورد جاهزاً ليتحرك ويفرغ أولى حمولات الروث.

اليوم -٢٨-

الاثنين ٤ أكتوبر

رصيف بتلر ، لندن

اتكأ كراوفورد على حاجز شرفة شقته وسحب نفساً عميقاً استنشق فيه رائحة النهر ورائحة الثوم وزيت الزيتون المنبعثة من مطعم لوبيون دو لا تور الذي كان يشغل الطابق الأسفل من الرصيف الذي تم تغيير معاملة. تساءل في نفسه إن كان بالإمكان أن يذهب لاحقاً مع أندريا لتناول غداءٍ سريع، يمكن في العادة إيجاد مائدة لهما هناك فقد كان لوبيون، بصورة ما، مكان لهوه القريب المألوف.

قطع حبل أفكاره رنين جرس الهاتف آتياً من الغرفة خلفه. كان قد قضى فترة الصباح بطولها في انتظار تلك المكالمات، لكنه رغم ذلك عاد إلى الغرفة وهو يسير بتؤدة، فليس من صالحه أن يكشف تلهفه أمام الشخص الذي يتصل به.

قال دون أن يضيع الوقت في المجاملات: «نعم؟...».

«هل أنت جاهز للانطلاق؟...». كان صوت شخص من الطبقة المتوسطة ولم يكن يدل على صاحبه ولا ينم إطلاقاً عن أي شيء يتعلق به.

«لا شك بأنك تعرف أنني جاهز». كانت نبرة يوركشاير، مرتع طفولته، واضحة في صوت كراوفورد العالي - وكانت تلك النبرة من الأمور التي لم يحاول التخلي عنها، بل إنها كانت تشكل جزءاً من شخصيته العامة أمام الناس.

«هل ناقشت الأمر مع الأشخاص من حولك؟...».

«كنت بانتظارك».

«حقاً، إنها لفكرة صائبة». لم تحمل لهجة الصوت أية مشاعر محددة عدا الاهتمام الساخر. «في هذه الحالة، أعتقد أن بإمكانك البدء بدفع الأمور قدماً».

قال كراوفورد بصوت عمل جاهداً على كبت مشاعر الحماسة فيه: «هذا ما كنت أنتظر سماعه. هل أنت واثق من الأمر؟... التوقيت هنا يحمل أهمية بالغة. إذا كنت سأعرض نفسي للخطر فوق النهر، أريد أن أكون واثقاً من أنه لا توجد تماسيح جائعة تقبع بانتظاري».

«لقد كنت أعتقد أنك أنت التمساح ذاته». كان المتكلم الآن يحاول كبت الضحك.

«لا، أنا لست التمساح، أنا الصياد».

«تذكر إذاً يا صديقي أنني أسلمك بندقية محشوة، لكنها لا تعني شيئاً إذا لم تكن لديك الشجاعة للضغط على الزناد».

علت ضحكات كراوفورد وهو يقول: «أخبر زوجتك إذاً أن تترقب وصول حقيبة يد مصنوعة من جلد التمساح في عيد الميلاد».

أعاد سماعة الهاتف إلى مكانها دون كلمة وداع -لم تكن المكالمات من النوع الذي يتطلب ذلك- وقفل عائداً إلى الشرفة.

كانت طائرة للخطوط الداخلية تميل متجهة إلى مطار المدينة خلف سيلفرتاون وكانت أشعة الشمس تنعكس على جسم الطائرة وتُحِيلُهُ إلى كتلة متوهجة. سحب كراوفورد نفساً عميقاً وهو يشعر، كما قال بعد عدة أشهر، أي بعد أن وصلت الأحداث التي أطلقها من عقالها إلى نهاية المطاف: «بكل الإثارة التي يبعثها الجهل بالأمور. أعتقد أن ذلك يشكل جزءاً من تركيبة المقامر، فأنت تهيئ كل شيء، تستعد لكل شيء، وتعتقد بأنك تعرف الاحتمالات والفرص، أنت مصمم على اللعب وعلى المراهنة بنقودك، ولكن لا يمكنك مطلقاً أن تعرف كيف ستنتهي اللعبة. طبعاً أنا لا أقصد هنا القول بأن الحياة في الشركات تشبه -بأية صورة كانت- الحياة في أندية القمار».

كانت تلك أفكاراً لاحقة، أي من قبيل تلك الأفكار التي تخطر بالبال، كما قال أحد الصحفيين: «بعد دفن الجثث وحمل المصابين إلى المستشفى ومسح الدم عن الأرض». في صباح يوم الاثنين ذاك كان كراوفورد واثقاً، -كما لم يكن في حياته قبلاً-، من أنه يقوم باللعبة الصحيحة.

رفع سماعة الهاتف وطلب رقماً، ثم أخذ ينقر بأصابعه برتابة على السماعة في انتظار أن يُردَّ الطرف الآخر، كان خطأ مباشراً -لأن كراوفورد لم يكن من نوع الرجال الذين يقبلون بالانتظار إلى أن تقوم السكرتيرات بإيصال مكالمتهم إلى المدراء- وعندما رُفعت السماعة الأخرى صاح مباشرة: «سيليا؟... أنا جيم كراوفورد. أنا بحاجة لأن أراك غداً. في الساعة الحادية عشرة سيكون مناسباً».



obeikandi.com

اليوم -٢٧-

الثلاثاء ٥ أكتوبر ٢٣:١٤

ويماوث، باتر نوستر، دوكلاندز

كانت سيليا هارت، وهي محللة متقدمة الذكاء «إضافة لما تتمتع به من جاذبية بالغة، رغم أن كراوفورد لم يكن يلمح إلى ذلك في تلك الأيام» تمثل شركته، أيوت، خلال العامين السابقين. لم يكن لديه أي شك بأنها لن تبقى طويلاً في الشركة، فالأشخاص البارعون كانوا دائماً يتركون الشركة «كان أحد مبادئه يقول: إذا لم يسع أحد لانتزاع أفضل العاملين معي، فمعنى هذا أنهم لم يعودوا أفضل العاملين معي». كانت سيليا في ذلك الوقت، إحدى المجنّدات للعمل معه، بل كانت في الواقع واحدة من المرتزقة، بما أن مصرف الاستثمار كان قد عيّنها لتغطية كامل قطاع الإلكترونيات، وتمت إعارتها فقط لكراوفورد، كما لو أنها كانت بندقية للإيجار. لكنها كانت بندقية ممتازة، وسارت الأمور بينهما، رغم فارق العمر والمنصب، على ما يرام.

التقى الاثنان في مكتبها - فلم يكن كراوفورد راغباً في إثارة أية مسائل جانبية قد تنجم عن مجيئها إلى مكتبه - وبينما هما يحتسيان القهوة قال لها: «بايفيلد»

هزت سيليا كتفيها وقالت: «شركة بريطانية متوسطة، كان اسمها سابقاً شيتروك - وهي كلمة يعني بها الأميركيون ما ندعوه نحن باللوح الجصي، كما أعتقد». كانت شفتها مصبوغتين بإتقان بلون أحمر قان- فقد بدت ابتسامتها وضاءة وخطرة!... إذا شغلّتك الابتسامة، شرد تفكيرك عن العمل. «لا شك بأن بعض الأذكاء أقتنعوا المدير بأنه يحتاج لاسم أكثر انسجاماً مع العصر - اسم يستطيع الناس أن يتذكروه. لديهم شركة قطع خاصة بالأجهزة الإلكترونية مقرها سويندون»

الاستيلاء

أضاف كراوفورد، وهو يشعر بالسرور لأنه استطاع أن يأتي أمامها بجديد، ولو مرة: «ولها شركة فرعية في فورت ويليام».

«إنها في الواقع خارج فورت ويليام. في سبين بريدج. وهناك أيضاً شركة تمد تجارة البناء بالركام، وشركة صغيرة لصناعة الورق، وعلى ما أعتقد شركة للنشر في... في مكان ما من المنطقة الوسطى وشركة أخرى، لا أعرف بالضبط ما هي. أعتقد أنها مؤسسة تعمل ضمن مجال الإنشاءات والتطوير. أي أن الأمور مختلطة ببعضها في واقع الأمر». دفعت بالصينية الفضية فوق السطح اللامع لطاولة المكتب وسألت: «هل ترغب بالمزيد؟...».

«لقد شريت ما فيه الكفاية».

«أنت تعتقد فقط أنك شريت ما فيه الكفاية».

دفعت بكرسيها إلى الخلف باتجاه رف الكتب وسحبت أحد المراجع. وبينما كانت تنوء بثقل المجلد الضخم، لاحظ كراوفورد كيف انشدت عضلاتها تحت كم الثوب. لا بد وأنها لا تزال تزاوّل التمرينات الرياضية. غبط في نفسه صديقها المحظوظ، وتذكّر أن المرشح الحالي كان صحفياً يتناول أخبار المال. لكنه كان يعرف أن سيليا لا بد أن تلزم جانب الحذر والكتمان: فالمحللون الثرثارون لا يحتفظون بعملهم لمدة طويلة. ولكن، إذا نظرنا للأمر من زاوية أخرى، فإنه لا يبدو أنهم يحتفظون بأي شيء لمدة طويلة في هذا العصر وهذا العمر - كانت سيليا لا تتجاوز الخامسة والعشرين وكانت تتلقى علاوات سنوية تجعل الأجر (الرسمي) لكراوفورد يبدو باهتاً بالمقارنة. ساد الجو بعض الضبابية بينما كانت تقلّب صفحات الكتاب بسرعة قائلة: «لنر...». ثم توقفت وقالت: «أعتقد أنك تعرف كل ذلك، ولكن دعني أستدرك بعض المعلومات».

«لماذا؟...».

سألتُ وهي تمرر إصبعها على طول صفحة الكتاب: «لماذا أستدرك بعض المعلومات؟...».

«كلا، لماذا تعتقدين أنني شريت كثيراً من القهوة؟...».

«بايفيلد. القطاع: إلكتروني وكهربائي. بناء وبيع بالتجزئة. الأنشطة: أبحاث، وتطوير وهندسة وتصنيع وتسويق... إنها مدرّة للبول؟...».

قال كراوفورد: «عفواً؟...».

«القهوة جيمس، إنها تجعلك تتبول بكثرة. حجم الأعمال التجارية ٣٥٠ مليوناً. رأسمال السوق ١٣٦ مليوناً. الأرباح السنوية ٢٣ مليوناً». توقفت برهة ورفعت إليه نظرها من خلف طاولة المكتب. إذا كان لعينين أن توصفا بالدهاء، كانت عيناها.

سألها كراوفورد: «كيف عرفت ذلك؟...».

«لم أعرف ذلك، هذا ما أقرؤه الآن...».

«إنني أتبول بكثرة. لم أخبر حتى طبيبي بذلك».

«أنت تخفي الأمور عن طبيبك. في المرة القادمة سوف يسألك إن كنت تكثر من الشراب حالياً وسوف تقول له: «نصف زجاجة من النبيذ أثناء العشاء». انظر إلى ما سوف يدوّن، سيضاعف الكمية. لا تشعر بالذنب، فجميع الرجال يخفون أموراً عن أطبائهم وعن زوجاتهم، بل إنهم يلجؤون للغش عندما يجري قياس محيط خصرهم لتفصيل بنطال جديد».

«سيلييا أنت تبالغين في تفسير الأمور اليوم». كثيراً ما تساءل في نفسه إن كان بالإمكان أن تتجاوب معه في ما لو تودد إليها، إذا انتهز الفرصة، فهل ستجاريه هي؟... لكنهما كانا أصدقاء -خارج نطاق العمل - والأصدقاء أفضل من العشاق، فالصداقة أكثر دواماً من الحب - رغم أن الخيانة عندما تأتي من صديق تكون أكثر إيلاًماً.

«جيمس، أنت شارد الذهن وهذا ليس من طبيعتك. هل تشعر بأنك قد تقدمت في السن؟...».

«أنا لا أزال في السابعة والأربعين أي أنني لا أزال شاباً». لكنه عندما أجال النظر حوله في مركز المدينة التجاري في ذلك اليوم داهمه شعور مقلق بأنه في الواقع قد تقدم في السن.

«ليس العمر هو السبب بل إنها الشهية».

«لم يتغير شعوري بالجوع عنه عندما كنت في مثل سنك، وهذا ما دفعني للمجيء». «إذاً توقّف عن القلق بشأن البروستات، واشعرْ بالغبطة لأنك لا تزال تتبول بكثرة، فهذا أفضل بالنسبة لك، وتناول فنجاناً آخر من القهوة بما أنك ترغب في ذلك».

«شكراً، سأتناوله». وبينما هو يصب القهوة، تابعت هي تلخيص ما كتب عن شركة بايفيلد: «لدى وجود حجم أعمال تجارية يبلغ ٣٥٠ مليوناً، يجب أن تسعى لتحقيق أرباح سنوية تصل إلى ٨-١٠ في المائة، كم يبلغ ذلك؟...». وبينما كانت تركز أفكارها جعّدت جبهتها بشكل جذاب فوق أعلى أنفها، «٢٢ مليوناً. بينما لا تتجاوز أرباح الشركة ٢٣ مليوناً. الأمر يثير الاهتمام. هيد آند ريغ. المكتب: غو لدهوك ميوز، المنطقة الجنوبية الغربية. المدراء التنفيذيون: جون باركر، المدير، أنغوس هوارد، المبيعات والتسويق، إليزابيث. ج. ستيوارت، الشؤون المالية. أنا أعرف بيث ستيوارت. لا بأس بها».

«كم مضى على عملها معهم؟...».

«لم يمض وقت طويل. تسعة أشهر تقريباً. كانت تعمل مدققة مالية لدى ريتشمان-هارفيستبر».

«ما مدى معرفتك بها؟...».

«لا تتعدى حدود معرفة أصحاب المهنة الواحدة ببعضهم، نحن نلتقي أحياناً ونتبادل الأخبار والآراء. كانت بيث تسعى للحصول على منصب عضو أساسي في مجلس إدارة فوظّفها باركر. أعتقد أن ذلك القرار يعتبر من القرارات الصائبة التي اتخذها».

قال كراوفورد: «وأنا أشاطرك الرأي، لكن ذلك يعني أنها ليست على تماس مباشر مع المركز التجاري».

«إنها من النوع الذي يتعلم بسرعة. لنر الآن: و. هـ. هاربر، المسؤول التنفيذي الرئيس. أعتقد أنني لا أعرف الكثير عنه. المدراء غير التنفيذيين: لا يوجد سوى واحد ولا أستطيع التعرف إلى اسمه. أعتقد أن باركر لم يستوعب بعد بدقة فكرة توظيف مدراء غير تنفيذيين».

قال كراوفورد: «قطعاً - إن كاديري يوصي بتوظيف ثلاثة منهم».

سألته سيليا: «وهل طبقت أنت ذلك؟...».

«لدي ثلاثة، وهم أشخاص ممتازون ضمن مجالهم ومتطورون أيضاً».

«لا شك بأن هذه نقطة في صالحك من وجهة نظر مركز المدينة التجاري. جيد». عادت لتركز أفكارها على قائمة أسماء مدراء بايفيلد. «معظم هذه الأسماء لا يجدي نفعاً. فأني شخص يمتلك أي قدر من الموهبة إما أنه ترك العمل في الشركة أو أنه التحق بها للتو، مثل بيت ستيوارت. لنر ما هي الرواتب التي يدفعونها لأنفسهم».

«سيليا، بإمكانني أن أخبرك. يدفعون الكثير لأنفسهم والقليل للمساهمين».

قالت سيليا وهي تتفحص ما كُتب عن الشركة: «وهم فولكان أسيت ٥,٧ بالمائة، نور ويتش يونيون ٥,٣ بالمائة، كوربوريت بانك ٨ بالمائة، يونيتد فاندز ٦,٧ بالمائة، هـ. ف. باركر ٥,١٤ بالمائة. هناك إذاً قدر لا يستهان به من السيطرة على حصص العائلة. من يمتلك تلك الحصص هل هو الجد أم أحد الأعمام؟... علينا أن نعرف ذلك. هل تفكر بشراء أي من تلك الحصص؟...»

«كلا، فلن يؤدي ذلك سوى لارتفاع أسعارها حالما يلاحظ ذلك أي تاجر أسهم حاذق».

نقرت سيليا على حافة فنجان قهوتها بأظفارها المصبوغة بأناقة بالغة، وقالت: «من حيث الأساس، هذا تجمع شركات متعددة النشاطات، بكل ما يتضمنه ذلك من مزايا ومن مساوئ».

رفع كراوفورد حاجبيه بانتظار أن تتابع حديثها وقد ثار فضوله لمعرفة رد فعلها. «مهما يكن وضع الأجواء ضمن ميدان الأعمال، فإن بإمكانهم تجنب الخسارة. هناك شركة أو شركتان من الشركات التابعة لهم ستواصل عملها دائماً بشكل معقول بحيث يمكن لهم موازنة النتائج النهائية».

قاطعها كراوفورد مضيفاً: «إخفاء أداءٍ عادي لا يتسم بالبراعة». «وخاصة ضمن مجال الأعمال الأساسية حيث يجب أن تتجلى خبرتهم، وحيث يجب أن يحشدوا أقوى ما لديهم من أسلحة للقضاء على أية منافسة. حسناً. لقد وصلتني الفكرة. ليس هناك ما هو قيد المناقشة بالطبع، أليس كذلك؟...». «لم أفكر بشيء حتى الآن. ولكنني سأفكر بذلك إذا سارت الأمور بالاتجاه الصحيح. أنت تعرفين قطاع الأجهزة الإلكترونية، كيف يبدو لك؟...».

أغلقت سيليا الكتاب واستندت إلى ظهر مقعدها وضمت أصابعها إلى بعضها أمامها وكأنها تصلي.

«إنه لا يعمل كما ينبغي له أو بكامل إمكاناته. أذكر أن المسؤول التنفيذي الرئيس توقع العام الماضي معدل نمو يبلغ ١٢ بالمائة. عليّ أن أتأكد من الرقم الدقيق لكنني لا أتصور أنه يختلف كثيراً. لم يصل أداؤهم إلى ما يقارب هذا المستوى، هناك إذاً خللٌ ما في توجه الشركة. أغلب الظن أنهم يرون في أنفسهم إدارة فاعلة بينما لا يتعدى أداؤهم مجرد التفاعل مع الأحداث».

قال كراوفورد: «هذا أمر شائع، والسبب هنا هو أعضاء مجلس الإدارة الأساسيون. هناك من يحاول إزاحتهم عن مواقعهم، وبدلاً محاولة التنبؤ بما ستؤول إليه حالهم، نراهم يدققون النظر في الأرض التي تنزلق من تحت أقدامهم».

«لا أستطيع أن أفهم كيف أفلتوا من براثن...». سكتت برهة ونظرت من فوق أصابعها «عدو ضار آخر. كما لا أستطيع أن أفهم كيف تمكنوا من تجاوز فترة الثمانينات دون أن يقوموا بصقل أسلوب عملهم».

كانت تشير إلى التغييرات التي أجرتها بعض الشركات خلال فترة الثمانينات، عندما ساورها الخوف من أن تقوم تجمعات الشركات المتعددة النشاطات باكتشاف كيف أن تلك الشركات كانت تسير بتثاقل إلى ما دون مستوى النمو المطلوب بصورة تغريبها بابتلاعها. ولم يؤد اللجوء إلى تقليص أعداد العاملين وإلى العمل بأسلوب أكثر كفاءة قبل أن يجري الهجوم عليها، لم يؤد بهذه الشركات فقط إلى الإفلات من محاولات الاستيلاء عليها بل إنه جعل منها شركات أكثر فاعلية. وكما قال أحد المدراء الأميركيين عن شركته: «لنر من يريدنا، وكم سيدفع لنا لقاء ذلك وماذا يمكننا أن نفعل بهذا الشأن».

«أعتقد أن تلك الشركات حافظت على وجودها لأن العاملين في مركز المدينة التجاري، كما أظن، كانوا يرون أن أي مبلغ يُعرض على تلك الشركات سيكون أغلى من قيمتها».

«أعتقد أن الأمر يتعلق هنا بالجهة الشارية والجهة التي كانت تبيع».

«هذا صحيح إلى حد ما. لكنني أعتقد أن هناك أيضاً الشعور بأن الشركات التي تعاني المتاعب تجذب الأعداء المفترسين -شأنها شأن الحيوان الجريح في مؤخرة القطيع- ولا يبدو على شركة بايفيلد أية إشارة واضحة تفيد بأنها تعاني متاعب مالية. وفوق ذلك، من الصعب شراء شركات تُدار بأسلوب سليم بسعر تنافسي، إلا إذا أمعنت النظر بدقة، شركة بايفيلد تعطيك الانطباع بأنها إذا لم تكن تُدار بأسلوب سليم، فهي على الأقل لا تُدار بأسلوب خاطئ. باختصار، الأمر يتعلق بهوية الشركة، بالأسلوب الذي يتمكن بواسطته ذلك المدعو باركر من تدبر أموره بحيث تبدو الأمور في الشركة على أفضل صورة».

«جيمس، هل يصدّق حدسي إذا استتجت من نبرة صوتك أنك لا تميل كثيراً إلى السيد باركر؟...».

«نعم يصدّق».

«هل ترغب في أن تحدثني عن ذلك؟...».

«سيليا، هناك بعض الأمور التي لا بد، حتى لك أنت، من التريث قبل معرفتها».

«هذا صحيح، استمر».

«إنها شركة عامة، لكنها لا تزال، بصورة أو بأخرى، تحمل طابع العائلة والتقاليد، إنهم أشخاص محترمون لا يزالون...». سحب نفساً عبر الفجوة الموجودة في أسنانه الأمامية وهو يبحث عن الكلمة المناسبة «يؤمنون بالولاء».

«أي أنهم، بعبارة أخرى، نوع منقرض».

«سيليا، لا اعتراض لدي على الولاء. أعتقد أنه أمر مهم».

«ولكن عندما يكون في مكانه المناسب، أليس كذلك؟...». ولما لم تتلق جواباً، فقد تابعت قائلة: «أنا محللة، أنا لا أقوم بإدارة شركات. أنا أكتفي بالجلوس ومراقبة الأمور. لكن لدي حدس بأن إستراتيجيتهم تقوم على عدم توظيف أموالهم في مشاريع مختلفة في مجالات مجهولة إنهم يلتزمون بما يعرفونه، حتى ولو بالغوا في التوسّع ضمن مجالات الأجهزة الإلكترونية وصناعة الورق والبناء. ولكن إذا نظرنا للموضوع من زاوية أخرى، يبدو لي وكأنهم ثابتون في مكانهم لا يتحركون. كلانا يعرف أن الشركات قد تسوء أحوالها أو تتحسن. لديهم عدد من المساهمين الأساسيين الذين سيصفون دون شك لأية اقتراحات قد نتقدم بها للمناقشة، ولديهم مجلس إدارة بليد ولديهم أفراد مساهمون لا يحصلون على المردود الذي ينبغي لهم الحصول عليه. كما أننا نعرف أن مركز المدينة التجاري يمارس ضغطاً على الشركات لتدفع أرباح الأسهم التي قد لا تكون قد حققتها فعلياً في بعض الأحيان. إذاً، لا بد وأنهم يشعرون بالضغط الذي يأتيهم من هذا الاتجاه. ونحن نعرف أيضاً أن المركز التجاري يحب الانسجام بحيث يبدو أي مجلس إدارة جديد بمظهر مقبول من وجهة نظر سوق الأوراق المالية».

«وأنا لا أعتقد أن أي عضو أساسي في مجلس الإدارة لديهم، مع إمكانية استثناء صديقتك ستيوارت، يتمتع بأدنى فكرة أو خبرة بشأن المحافظة على رضى المركز التجاري».

«جيمس، هذه نقطة جيدة، فهم لم يلتزموا الدقة الكاملة في توقعاتهم المالية، وليس من شأن ذلك أن يكسبهم أي تقدير لدى انطلاق الإشاعات».

«سيليا، الذكاء أمر بالغ الأهمية. إنه محرك المركز التجاري».

«دون أدنى شك. لنعد إلى شركة بايفيلد. لا تزال فيها حصة عائلية كبيرة، وقد يعني ذلك أن أعضاء مجلس الإدارة لا يحصلون على حقوق عادلة كمساهمين، رغم أنني لا أعرف ماذا يمكن لذلك أن يوضح لنا بشأن ولائهم أو مدى ميلهم للصراع».

«ما رأيك أنت؟...».

نظرت إليه وقالت: «إنها تمشي كالبطة وتزعق كالبطة وتشبه البطة، ماذا يمكن أن نطلق عليها؟...».

«بطة»

«وبطة عرجاء إلى حد ما أيضاً. جيمس، تذكر أمراً واحداً».

«واحداً فقط؟...».

«الأمر هنا لا يتعلق بالعمل، أنا أتكلم كصديقة».

«تابعي»

«جهاز الهضم لدى البط لا يتمتع بسمعة حميدة نظراً لأنه ضعيف ومتقلب. هناك قصة عن قيام إيرول فلين بإطعام مجموعة كاملة من البط قطع لحم مليئة بالدهن منظومة في خيط، دخل الخيط في حلق البطات جميعاً لأنهن كنّ يتدافعن لالتهام اللحم واحدة تلو الأخرى. انتهى الأمر بهن جميعاً معلقات بالخيط».

الاستيلاء

«سيليا، ما هو مغزى هذه القصة؟...».

«المغزى هو أن البطاط لم يتعلمن، لم يستطعن مقاومة إغراء التهام قطع اللحم المليئة بالدهن. كنّ حذراً. هذا كل شيء».

صدر صوت مكتوم عندما أغلقت المرجع ودفعت بمقعدها إلى الخلف باتجاه رف الكتب، تاركة تتورثها تتزلق بوضع بوصات عن ساقيهما الطويلتين عندما كانت تقوم بإعادة الكتاب إلى مكانه.

«سيليا، إذا لم نجازف فلن نحصل على أي شيء ذي قيمة».

«لا أود الآن أن أتبادل وإياك الأقوال البليغة، ليس قبل موعد الغداء على أية حال، أنت طلبت رأيي، وأنا قدمت لك رأيي. لكن هناك سؤالاً يلح علي...».

نظر إليها وقال: «ما هو؟...».

«ما الذي ستحصل عليه أنت؟...».

«لديهم بعض الأشخاص الماهرين في مجال التطوير. شبان ذوو أفكار مبتكرة، لا تزال مواهبهم حبيسة حتى هذه اللحظة، لكن إذا ما أتيح لهم المجال فإنهم سيحوّلون مجرى الأمور خلال عام».

«لماذا إذاً لا تستميلهم للعلم ل لديك - أليس هذا أقرب إلى أسلوبك المعهود؟... ابدأ بما لديك وليس بما يمكن - ولاحظ كلمة «يمكن» - أن تصنع بما لديك لاحقاً. أنظر إلى الشركة واسأل نفسك لماذا لم يحاول أحد حتى الآن الحصول عليها؟... هل يمكن أن يكون السبب هو أنها لا تستحق الجهد المبذول؟...».

«سيليا، إنها تستحق ذلك بالنسبة لي. وأنت ستحصلين على أجرك. إلا إذا كنت ترغبين في التفاوضي هذه المرة».

«هذا لا يمكن أن يحدث. أنا أثق بدوافعك -أنا لا أفهمها طبعاً، لكنك كنت على صواب في ٧٥ بالمائة من الحالات، وهذه نسبة جيدة- لذلك أعتقد أنني سأشارك في هذه العملية وسأخوض المغامرة معك».

وقف كراوفورد وهو يبتسم وقال: «أنا لا أخوض مغامرات، على الأقل ليس هذا النوع من المغامرات. لا تقضي أرجوك، سأغادر المكتب وحدي». توقف عند الباب ونظر إليها. كانت لا تزال جالسة دون حراك -دون أن يفارق وجهها تعبير يشي بمحاولتها تقويم الأمور. قال لها: «لا داعي للتوتر، ثقي بي وسيكون كل شيء على ما يرام. سوف نقضي وقتاً ممتعاً ونكسب بعض النقود- هل هناك ما هو أفضل من ذلك؟....».



obeikandi.com

اليوم -٢٦-

الأربعاء ٦ أكتوبر ١٥: ٢٠

فندق ريجنت بالاس ، لندن

قالت أندريا «لا أستطيع أن أتصور كيف يتمكنون من القيام بذلك». كانت قد اضطرت لرفع صوتها بسبب ضجيج الأحاديث الذي ملأ قاعة الحفلات الرسمية في الفندق الواقع في الجزء الغربي. كانت أندريا تشير إلى صف طويل من النُدُل، يضم قرابة ثلاثين رجلاً برزوا من الباب المزدوج وهم يحملون وجبة العشاء الرئيسة، سرى في أنحاء القاعة كالأفعى ثم أخذ يلتف ويلتوي ليحيط بأكثر من خمس وسبعين مائدة مستديرة تتوزع في القاعة. وضع النُدُل، بحركات رشيقة، أطباق الدجاج التي لا مفر منها، أو الوجبات النباتية البديلة لها، أمام الحضور وقد تحلّق حول كل مائدة عشرة منهم قبل أن ينسلّوا عائدين لإحضار طبقين آخرين. رفق كراوفورد طبق الدجاج أمامه بنظرة ملؤها الشك، فيما أنه قد بدأ بتزويد الفنادق بالأطعمة المجمدة، كان يعرف أن تلك الأطعمة يجري أحياناً إخفاء معالمها على أحسن وجه بالصلصات الكثيفة الشهيّة. لكن إدراك حقيقة تلك الأطعمة لا يمكن إخفاؤه بصلصة أو بأي شيء آخر. رغم ذلك، ما لا تراه العين... ابتسم كراوفورد وهو ينظر إلى أندريا التي كانت تجلس إلى جانبه وأمامها طبق الباذنجان المحشو والأرز الفارسي، وقال:

«إنهم يتمكنون من القيام بذلك لأنهم نُدُل، هذا هو عملهم، الأمر بهذه البساطة».

ضحكت أندريا وشعّ بريق الماسات التي كانت تزين جيدها وهي تعود برأسها للخلف. فكر كراوفورد في نفسه، يا لروعة جمالها رغم بلوغها الثامنة والثلاثين. كانت بشرتها ما تزال ناعمة مثلما كانت عندما قابلها لأول مرة منذ

ثمانية عشر عاماً، لحظة بدأت أصعب مرحلة في حياته. لقد أحبها ورغب فيها منذ أن وقعت عيناه عليها، ولا يزال يحس ذات الشعور في تلك اللحظة، وهو ينظر إليها للمرة المليون.

سألته أندريا: «بم تفكر؟...».

انحنى وهمس في أذنها: «بأنني أود لو اختطفك من القاعة في هذه اللحظة وأذهب بك إلى المصعد».

أطلقت ضحكة مرحة حاولت إخفاءها. التفت الرجل الجالس إلى جوارها ورفع حاجبيه متسائلاً - وإن كان تساؤلاً مهذباً. فقد كانت المناسبة هي الاحتفال بالإنجازات ضمن مجال العمل، وقد يكون دافع الرجل هو مجرد محاولة لالتقاط إحدى نوادر كراوفورد ليرويها في الاجتماع التالي لأعضاء مجلس الإدارة. هز كراوفورد رأسه بالتحية وقال له: «هذه المناسبات اللعينة، إنها أشبه بإجبار الرجل على قضاء ليلة السبت بصحبة زوجته، تشعر بأنك لا ترغب بذلك فعلاً لكن مزاجك يتحسن بعد انقضاء الأمر».

ارتسمت على وجه الرجل -وكان يعمل في مجال تجارة التجزئة- ابتسامة باهتة. خطر لكراوفورد أن السيدة الجالسة بجوار الرجل قد تكون زوجته وإلا لكان رد الفعل على النقيض من ذلك. انحنت أندريا، وكانت بارعة في التعامل مع المواقف الحرجة التي كان يتسبب بها كراوفورد كلما تمكن من الإفلات -حسب تعبيرها- وقالت: «كنت أعبر عن دهشتي إزاء السرعة التي يضع بها النذل أواني الطعام على المائدة».

اتكأ كراوفورد إلى ظهر مقعده وترك الحديث يأخذ مجراه المهذب السخيف. كانت أندريا أكثر مهارة منه في التعامل مع المناسبات من هذا النوع. كانت المناسبة هذا المساء تتعلق بتشجيع مجال الأعمال، أو بشيء من هذا القبيل. وكانت الجوائز ستُمنح للأشخاص الذين تمكنوا، بطريقة أو بأخرى، من لفت انتباه الصحافة التي تعالج شؤون الأعمال والذين لم يلوثوا دفاترهم ببقع الحبر

في هذا العصر الذي ينادي بوجوب الدقة في أداء العمل. رفع رأسه قليلاً ولمح وزير الخزانة يجلس إلى مائدة قرب المنصة التي سيعتليها بعد قليل أحد المشاهير الذين تم استئجارهم لتوزيع الجوائز البلاستيكية على الصبية والفتيات من ذوي السلوك الحسن. أم أنه قد يكون على خطأ، وتكون هذه الأمسية مخصصة لنشر الوعي الخاص بالإنترنت وتقدم الجوائز من أجل... الواقع أن الأمر لم يكن يهمه في قليل أو كثير. لقد اضطر للمجيء لأنه إذا لم يأت فإن الجميع سيلاحظ غيابه، وكان لفت الأنظار هو آخر ما يرغب به في تلك اللحظة. فقد كان هؤلاء المأجورين العاملين في الصفحات المالية في الصحف متيقظين على الدوام لأي تغيير قد يطرأ على العادات، وكان بإمكانهم إثارة أكثر الإشاعات ضراوة على أساس أحداث لا معنى لها. قطع لحم الدجاج الموجود في صحنه بالسكين وتناول قطعة بالشوكة ووضعها في فمه. كان مطهواً بدرجة كافية على الأقل.

«جيم...». شعر بيد تحط على كتفه، استدار ليرى أحد معارفه القدامى وهو باولو ماتيو، مدير مجموعة فنادق ريجنت بالاس. كانا قد التقيا لأول مرة قبل سنوات، عندما سعى كراوفورد للقاء ماتيو، الذي كان حديث السن، بشأن توريد اللحم المجدد إلى سلسلة الفنادق الصغيرة المقامة على الطريق الخلوي التي كان يديرها. كلاهما كان شاباً يلهث خلف تحقيق الأرباح وتمكنا سوياً من إبرام صفقة رابحة لكليهما - ولو أنها لم تكن كذلك بالنسبة للمسافرين الذين كانوا يجلسون لتناول العشاء بعد سفر طويل بالسيارة. حافظ الرجلان على الصلة بينهما، لدى ازدهار أعمال كل منهما، وكانت تجمعهما مثل تلك المناسبات كل بضع سنوات.

استأذن كراوفورد من أندريا ومن الأشخاص الذين كانوا يجلسون بجواره ونهض عن مقعده وأمسك بيدي ماتيو وهو يصفحه بحرارة وقال له: «أنت تبدو بأفضل حال».

أجاب باولو: «تعني أنني أبدو بديناً، أليس كذلك؟...». والواقع أن علائم الصحة والامتلاء كانت واضحة على باولو فقد كان يبدو، بعد مرور تلك السنوات، أشبه بالفقمة. لا شك أن كراوفورد نفسه لم يعد ذاك الشاب النحيل اللاهث خلف أية صفقة، لكن محيط خصره كان ضمن الحدود المعقولة في سنّه - أما باولو، الذي كان في الخامسة والأربعين، فقد كان يسبقه بأشواط.

قال كراوفورد: «باولو، صاحب الفندق البدين كالطبيب النحيل، لا أحد يثق به. هل أنت هنا لتقديم جائزة أم كضيف؟...».

«هذا وذاك. أنا أمثل أحد مانحي الجوائز - ضمن مجال السياحة، إضافة لأن وجودي هنا، بالطبع، هو فكرة صائبة بالنظر لوجود هذا الحشد من ذوي النفوذ».

أوماً كراوفورد برأسه باتجاه المنصة وقال: «في هذه الأمسية، يتركز النفوذ هناك. الوزير الحديدي، أليس هذا هو الاسم الذي يطلقونه عليه؟...».

«أعتقد أن هذا هو الاسم الذي يطلقه عليه رئيس الوزراء - هل سبق لك وأن التقيت به؟... إذا كنت ترغب بذلك بإمكانني أن أقوم بتقديمك».

«ما المانع؟... لا شك بأن صداقة الوزراء مفيدة. وعندما يتقاعد قد أعرض عليه منصب مدير».

ضحك باولو وقال: «هذا أمر مشكوك به - باعتقادي أنه سيعود إلى أسكوتلندة ليبدأ بإلقاء العظائم. لقد كنت أشعر دائماً بأن هناك شيئاً ما يتعلق بهذا الرجل...». صرّ بأسنانه للحظة بينما كان يقود كراوفورد عبر الممر المتعرج بين الموائد متجهاً إلى المائدة الرئيسة، «شيء مترمّت لدرجة المبالغة. هل تذكر تلك الشخصية في قصة ستيفنسون «دكتور جيكل ومستر هايد»، شخصية المحامي أترسون الذي كان يحب الخمر الجيدة لكنه كان لا يشرب سوى الجن البارد ليقمع شهواته... سيدي الوزير هل لي أن أقدم صديقي القديم جيم كراوفورد؟...».

وضع السياسي الشوكة من يده وكأنه كان بانتظار كراوفورد طوال الأمسية، ثم استدار وابتسم وصافحه.

«يسرني أن ألتقي بك، سيد كراوفورد. أعتقد بأننا سبق أن اجتمعنا في بعض المنتديات ولكن لم تسنح لنا الفرصة لتبادل الحديث. لا شك بأنك تعرف أنني أحرص على تشجيع رجال الأعمال من المستوى المتوسط....».

تبادل الرجلان الحديث لبضع دقائق، وهما يشعران بسرور خفي لأنهما استطاعا تقادي تناول العشاء رغم أن ذلك كان بالنسبة للوزير الأسكتلندي يمثل خطيئة أكثر مما يمثله بالنسبة لكراوفورد، هذا على الأقل ما خطر لكراوفورد وهو يعود إلى مائدته. لكن الرجل كان يتمتع بموهبة لا يمكن إنكارها كما أنه كان ملتزماً فعلاً بمشروعات الأعمال من المستوى البسيط والمتوسط. إضافة لكونه يتمتع بتلك الخاصية التي كان وجود الشخص في مركز الاهتمام العام يضفيها عليه - كان كراوفورد يصفها بأنها القدرة على التألق، على الظهور بصورة أكبر في الحياة الواقعية ذاتها، كان قد سبق لكراوفورد نفسه أن جرب ذلك في سني نجاحه الأولى، عندما بدأت سلسلة ورشات الإصلاحات المنزلية التي أنشأها العمل عبر إعلانات تلفزيونية تظهره بصورة شخص يهب لنجدة كل من يرغب بإجراء إصلاحات منزلية. غدا وجهه، لفترة من الزمن، أحد تلك الوجوه التي تتمتع بواقعية تفوق الحياة اليومية. يومها قال له شاب ذكي يرتدي السواد ويعمل في وكالة الإعلانات: إنَّ السبب يكمن في «أن التلفزيون يعتبر أفضل من الحياة بالنسبة لمعظم الناس». شعر كراوفورد في تلك اللحظة بإغراء يدفعه لضرب ذلك المخنث، الذي لم يكن عمره يتجاوز الثانية والعشرين في ذلك الوقت، لكنه عندما يعود بذاكرته إلى الماضي يتبادر إلى ذهنه أن تلك الملاحظة قد لا تخلو من صحة.

«عفواً...».

الاستيلاء

عاد كراوفورد إلى عالم الواقع لدى اصطدامه دون قصد برجل كان يهم بالنهوض عن مقعده. كان الرجل في الخمسينات من العمر، أقرب إلى البدانة، يرتدي بذلة رسمية عتيقة وضيقة بالنسبة لجسمه، لكنه كان يرتديها بشعور الواثق الذي لا يتبادر إلى ذهنه ولو للحظة أن هناك ما يعيب بذلة اختار جون باركر أن يرتديها.

رجع كراوفورد إلى الخلف قليلاً وابتسامة عريضة تكسو وجهه. مد ذراعه قائلاً: «جون، كيف حالك؟... لم أرك منذ مدة طويلة».

نظر باركر إليه ثم نظر إلى ذراعه الممدودة وبدا كأنه على وشك أن يشيح بوجهه عنه، لكنه هز كتفيه ومد يده قائلاً: «جيم، كيف حالك أيها الثرثار؟...».

«مشغول، أنت تعرف طبيعة الأجواء».

«بالتأكيد. لا يمكن إضاعة الوقت... وأمور من هذا القبيل».

«هل لا زلت تلعب الغولف؟...».

«عندما أتمكن من ذلك». لم يفلت أي منهما قبضة الآخر - وقفوا في مواجهة بعضهما مدة لا بأس بها إلى أن صدر صوت طقطقة من مكبر الصوت و ملأ القاعة صوت رجل يرحب بالمدعوين.

«سيداتي وسادتي مساء الخير، أهلاً بكم في حفل توزيع جوائز الإبداع في مجال الأعمال لعام ١٩٩٩».

قال كراوفورد: «آه... إنه الإبداع إذاً، كنت أعتقد أن الأمر يتعلق بالإنترنت. جون، ماهي أخبارك؟ هل لدى بايفيلد موقعٌ على الإنترنت؟...».

«بالطبع. إذا سمحت لي عليّ أن أعود إلى مكاني».

«لا شك بأن هيدر بصحبتك، أليس كذلك؟... بلغها تحياتي. ما هي أخبار ابنك؟...».

«جيدة، شكراً لك جيم». أرحى باركر قبضته أولاً. كان ذلك لجزء من الثانية لكن كراوفورد لاحظ وابتسم وهو يرخي قبضته.

«جون، لقد سررت برؤيتك ثانية». افترق الرجلان عن بعضهما وتوجه كل منهما إلى طاولته. وجد كراوفورد طبق الحلوى بانتظاره - فطيرة مرشوشة بالسكر الناعم مع صلصة العليق. نظرت إليه أندريا وهو يهم بالجلوس وسألته: «هل كان اللقاء مجدداً؟...».

«تقصدين مع الوزير؟... نعم بالتأكيد. لا يعرف الإنسان متى يحتاج صديقاً يشغل منصباً عالياً».

«جيم، تبدو راضياً تمام الرضا عن نفسك».

غرف بالملقعة قطعة من الفطيرة المحشوة بالأجاص. كان طعمها الممزوج بصلصة توت العليق لذيذاً. أشار إليها بالملقعة إشارة تعني «في ما بعد» بينما كان المسؤول يقدم «جون بيلامي، الذي سيلقي الخطبة الرئيسة هذه الأمسية».

كانت الخطبة تتضمن كل ما يجب أن تتضمنه خطب كهذه: طرفة تنتقص من قدر الخطيب، مقطع جدّي، حكاية مؤثرة، قصة تفتقر للحشمة، مقطع يتحدث عن البيئة، الإنترنت، توني بلير، طرفة أخرى، مقطع جدّي آخر ثم الخاتمة وهي تقديم سيدة من أحد برامج التلفزيون التي لا يتمكن من مشاهدتها سوى الأشخاص الذين لا يشغلهم شيء خلال فترة بعد الظهر. كانت السيدة جميلة ذكية ونحيلة القوام لدرجة لا تصدق - بل لدرجة خطيرة، كما قال كراوفورد في سرّه. أعلنت الجوائز. وتعلّقت الأضواء المسلّطة الفائزين المرتبكين الذين ساروا إلى المنبر بخطى مترنحة حيث ألقوا خطاباً كان قد تم إيجازها بمهارة، ليعودوا بعد ذلك إلى موائدهم. لم يكن الأمر ليختلف عن آلاف المناسبات الأخرى من هذا النوع وكان الجميع سعداء لأنهم كانوا قد اضطروا لحضور مناسبات كهذه مئات المرات لمشاهدة أولئك التافهين وهم ينالون الجوائز البلاستيكية والنحاسية - الآن جاء دورهم - كانوا يرغبون في أن يستمتعوا هم أنفسهم بذات الشعور.

الاستيلاء

كانت تلك هي الأفكار التي أسرَّ بها كراوفورد لأندريا بينما كانا يستقلان السيارة المُستأجرة عائدين إلى المنزل. أنهى حديثه بالقول: «لماذا الإبداع إذاً، إذا كان كل ما يريدونه فعلاً هو المزيد من الشيء ذاته؟...».

تثاءبت أندريا وقالت: «ألسنا جميعاً نعمل بصورة أفضل كي ننال المزيد؟... أو كي نحصل على ما نستحقه من ثناء؟...».

«ربما. أعتقد أنه لا ضير في ذلك. فلنقدم لهم إذاً ما يزيّنون به غرفة مجلس الإدارة».

«لكنني أعتقد أن بيلامي شخص لا بأس به».

«هذا صحيح. إنه يفهم عمله جيداً ويؤمن به بشغف. لا يمكن إخفاء ذلك - أعني هذا النوع من الالتزام. كما أنه لا يمكن التظاهر بذلك».

كانا يقتربان من النهر ومن أنوار تاور بريدج. دلفت السيارة إلى شوارع رصيف باتلر المرصوفة بالحصى وتوقفت أمام المدخل ذي الواجهة الزجاجية حيث كان صف من المصاعد الآلية بانتظار تيار لا ينقطع من الأشخاص الراغبين في الصعود. أوماً كراوفورد برأسه للسائق. لم يقدم الرجل إكرامية - فقد كانت الشركة تدفع له أجره، وتدفع بسخاء، ليس هناك من معنى في المبالغة.

بينما كان المصعد في طريقه إلى الشقة الموجودة في أعلى المبنى، قالت أندريا: «ما الذي كان يدفعك للابتسام طوال الوقت؟...».

«لا شيء، كنت أشعر بالاسترخاء لا أكثر».

توقف المصعد وفتح الباب بهدوء بالغ حيث كانا قد بلغا بسطة الدرج الخاصة بهما. كان بإمكانهما تدبير الأمور بحيث يغادران المصعد داخل الشقة، لكن أندريا كانت تفضل أن يفصلها عن بقية العالم، باب واحد على الأقل يمكن إغلاقه بقفل. سارت أمامه وفتحت الباب. ثم سألته: «هل ستبقى واقفاً هنا طوال الليل؟...».

بينما كانت تدلف إلى داخل الشقة، خطر لكرافورد، مثلما سبق وأن خطر له مرات كثيرة خلال حياته، كم كان يحب شكل النساء. كان يحب الكمال المتمثل في أجسادهن والطريقة التي يتحركن بها والطريقة التي يرتدين بها ملابسهن ويخلعنهن. أغلق الباب ووقف إلى جانبها أمام نوافذ الشرفة. لم تضئ النور بل وقفت بملاصقة الزجاج ترقب المشهد المضاء بكامله أمامها: النهر، الجسر، البرج وحركة المرور. قالت دون أن تستدير إليه:

«جيمي، ماذا تخفي، ماذا هناك؟...».



obeikandi.com

اليوم - ٢٤

الجمعة ٨ أكتوبر ١٠:٤٥

ويماوث، باترنوستر، مركز لندن التجاري

كان الفرع المصرفي الاستثماري لويماوث، باترنوستر، بعكس مكاتب المحللين والتجار الذين يتعامل معهم، الموجودة في منطقة دوكلاندز الحديثة، يشغل مبنى متهاكاً في الطرف الجنوبي من مركز لندن التجاري حيث كان يتعين على أصحاب المشاريع -حتى تلك اللحظة على الأقل- أن يتقدموا بمشاريع التطوير، أو النهب، وذلك حسب الزاوية التي تنظر منها للأمر. لم يكن كراوفورد يرى رأياً محدداً بهذا الشأن فقد كان المقر الرئيس لشركته يشكل جزءاً من مشروع أبنية حديثة تشرف على منطقة أوستون في لندن. وكان بإمكانه إذا رغب أن يراقب من مكتبه، الذي يشغل الطابق الأعلى في المبنى، قطارات الخطوط الرئيسية وهي تدخل محطة أوستون وتغادرها. أما من نافذة غرفة الاجتماعات في ويماوث، باترنوستر، فلم يكن بإمكانه أن يرى أكثر من جدران المبنى المقابل والشارع أسفل المبنى.

كانت الغرفة مريحة تماماً للنظر: بطول سبعة أمتار وعرض خمسة أمتار، كانت تشغل مركز الغرفة طاولة تحيط بها الكراسي، وكانت هناك نافذة عريضة تغطيها ستائر من قماش شبكي وحواجز ذات أضلاع طولانية، كما علقت على أحد الجدران لوحة من الفن الحديث يرتاح إليها النظر. كان كل ما في الغرفة ينطق بأنها غرفة مخصصة لإدارة الأعمال. لم يكن في الغرفة ما يعبر عن التقاليد، عن الماضي، عن الأمجاد التي اندثرت. كان معظم العاملين في المبنى لا يتذكرون الثمانينات -كانت بداية التسعينات، بالنسبة إليهم، تشكل تاريخاً. كان مفتاح

الاستيلاء

مستقبلهم يكمن في الساحل المقابل من الأطلسي، في وول ستريت في المقر الرئيس الآخر لمصرف الاستثمار، حيث يكبح الذين تم اصطفاؤهم طوال اليوم وحيث يُعتبر التاجر الذي لا يصل ربحه السنوي إلى مليون دولار، فاشلاً.

تساءل كراوفورد وهو يهدف إلى المبنى صباحاً: هل أصبح الأشخاص من حولي أصغر سنّاً، أم أن المشكلة تكمن فيّ أنا؟... لم تكن المشكلة تكمن فيه - فقد كان هؤلاء الصبية، المندفعون إلى الأعلى بسرعة الصاروخ والذين يتشبثون بإحكام بتعقيدات مصارف الاستثمار والمضاريبات الحديثة، كانوا يشيخون لدى بلوغهم الثلاثين من العمر - كما أن عدداً كبيراً منهم كان فاحش الثراء. لكن ذلك لا يعني أنهم أصبحوا، بنظر كراوفورد، أهلاً لأن يتعامل معهم بودّ، أو ذوي طبيعة واضحة يمكن فهمها. فقد كان يعتقد أنهم يعيشون في عالم خاص بهم، يحتسون الشراب (بعد ساعات العمل طبعاً) في حانات خاصة بهم، ويشترون سياراتهم (باهظة الثمن)، ويأكلون في مطاعم خاصة بهم. كانوا يتبجحون بقوتهم: يعملون لساعات دون فترات استراحة لتناول الغداء أو لشرب القهوة، يقولون كل ما ينبغي قوله ويذهبون إلى آخر الشوط، وإذا كانوا قد كفّوا عن التباهي بأنهم سادة الكون «أو حتى تذكّروا أو قرؤوا رواية «توم وولف»، إلا أنهم مازالوا يعتقدون بأنهم يتحكمون بالقوى التي تجعل العالم يدور.

كانوا أغراراً من أوجه عدة، لا يثير اهتمامهم سوى شيء واحد: المال بكافة تجلياته وأنواعه. كانوا يتحدثون عن التقاعد المبكر وعن العمل في مجالات أخرى، لكن المجالات الأخرى بالنسبة لهم لم يعد لها أي وجود. بالتالي، ها هم في كل مكان شركاء ومساعدين ومدراء يعقدون الصفقات ويكسبون المال.

كان أوين بويز، المصرفي الذي يعمل مع كراوفورد، يبلغ التاسعة والعشرين من العمر. كان شعره شديد القصير يرتدي بزة باهظة الثمن مفضنة قليلاً وكأن ثمنها لا يعنيه في شيء، وقميصاً ملوناً وحذاء مريحاً. كانت تشوب صوته لكنة أهالي ويلز ويبدو أشبه بتاجر. كان قد اكتسب مكانته كتاجر، قبل أن يرتقي إلى عالم المصارف

الاستثمارية الذي يتمتع بدرجة أكبر من الاحترام إلى حد ما. كان بويز، كما اكتشف كراوفورد من خلال تجربته السابقة معه، رجلاً قاسياً يشعر بالسرور لدى إطلاقه العنان لسورات غضب عارمة عند وجود من هم أدنى منه مرتبة، وكان يردد أنه يفعل ذلك لإبقائهم متيقظين. كان معروفاً بتدبير المقالب التي كثيراً ما جعلت زملاءه يغادرون الطابق والدموع تكسو وجوههم. ولكن، كما قال ذات مرة: عندما تجد نفسك، مثلما وجد هو نفسه لدى عمله كمتدرب بعد التخرج، تعمل لإتمام صفقة بقيمة بليون دولار، فإنه لا يعود هناك وقت للعبث ولا مكان للدموع.

كان كراوفورد، في قرارة نفسه، يعتقد بأن أوين بويز هو شخص تافه متعجرف، لكنه شخص تافه متعجرف من النوع الممتاز، وعلى أية حال، من ذا الذي يأبه للتهذيب؟...

فُتح الباب بعنف، وهو أسلوب يميّز بويز، اندفع الرجل إلى داخل الغرفة ورمى برزمة من الأوراق على الطاولة.

«جيم أنت تريد الإيقاع بي عن طريق هذه العملية، أليس كذلك؟...».

في عصرنا الحالي، ليس من المألوف أن يلجأ رجل الأعمال إلى التاجر الذي يتعامل معه أو إلى مصرف الاستثمار بشأن الاستيلاء على الشركات، فقد أصبحت المصارف أميل لأن تكون ذات فاعلية، كما أن عمل محلليها وسماسرتها أخذ يرتبط بخبرات رجال من نوع بويز بغية إعداد دفاتر تضم مجموعات الشركات التي كانت برأيهم ثمرة يانعة للاستيلاء عليها، لتبدأ الطيور الكاسرة بالتحويم حولها. كان كراوفورد يدرك أن أيوت لم تكن مُدرّجة ضمن مجموعة من هذا النوع، حتى تلك اللحظة على الأقل.

«أوين، أنا أفكر بالاستيلاء على مجموعة بايفيلد.»

«لماذا؟...». سأله بويز دونما موارد - تعبير «الوقت له ثمن» يصدق هنا أكثر من أي مكان في العالم. ومضت عيناه بنظرة ضارية.

«أعتقد أن ضم الشركتين سوف يتيح لنا الحصول على حصة أكبر في سوق الأجهزة الإلكترونية. وفوق ذلك فإن لدى بايفيلد بعض الأشخاص الموهوبين الذين لم يتح لهم المجال لاستغلال كامل كفاءتهم، وهم يعملون في ميدان الأبحاث والتطوير، كما أن مجالات أعمالها الثانوية يمكن أن تباع أو، وأعني هنا شركة الركاب والبناء، يمكن لها أن تعمل بصورة لا بأس بها ضمن قسم منظومة الهيدروليك لدينا».

قال بويز: «لم يسبق لي أن شعرت بهذه الدرجة من السعادة إزاء فكرة سيطرتك المطلقة على الأمور». ثم أضاف مبتسماً: «لكن شركة جي سي بي هي اللاعب الأساسي في هذا المضمار».

«أعرف ذلك، أنا أتابع كل ما يقوم به منافسي وأعتقد أن هذا يوفر لي ميزة - وهي تخريب الخطوط الخلفية وتأمين خدمة أكثر شمولاً. لا شك بأن ذلك لن يكون له تأثير كبير ضمن المجال العالمي، لأن هدفنا هو السوق المحلية تحديداً، وهي سوق تتنامى باستمرار. اقرأ آخر تقرير حول بناء المنازل في الجزء الجنوبي الشرقي من المدينة».

«هل أطلع عليه العاملون في مجال مشاريع التطوير في الشركة لديك؟...».

«لقد كلفتهم بإعداد تقرير، وهو تقرير يبشر بالخير. هناك حصة كبيرة من السوق لمن يريد انتزاعها. سنكسب مالا كثيراً، نقداً حقيقياً، ولا شك أنك تعرف ما يردده الناس: سواء أكنت فرداً أم شركة، فإن النقد يمدك بالخيار».

«هذا صحيح، لكنه قد لا يؤدي بك لسعادة دائمة».

«دعك من هذا، كلانا يعرف أن الشركات تواجه المتاعب عندما ينفد لديها النقد، وليس عندما تُمنى بالخسائر - هذا لا يعني أن أيوت تُمنى بالخسائر، أو أنها قد سبق لها أن منيت بالخسائر أو أنها ستواجه ذلك ما دمتُ أقوم بإدارتها. ها قد شرحت لك الأمر. إنها شركة بايفيلد. بودي لو تمثّلتني في هذه العملية».

على الرغم من أن مجموعة كراوفورد، أيوت، هي التي ستستولي على بايفيلد، إلا أن العرض الفعلي يجب أن يُقدّم من قِبَل المصرف الذي يتعين عليه ضمان صحة جميع الإجراءات، كما يُعتبر مسؤولاً عن التصرفات العامة أمام اللجنة المسؤولة عن عملية الاستيلاء.

عندما تُدرج شركة ما في لائحة سوق الأوراق المالية وتدخل في عملية دمج أو استيلاء، سواء أكان ذلك بصورة ودية أم عدائية، فإن العملية برمتها تجري تحت أنظار أعضاء اللجنة، المؤلفة من مسؤولين وخبراء متفرغين مدعومين من قبل مؤسسات عديدة في مركز المدينة التجاري يناقشون، بطريقة يأمل الجميع في أن تكون حكيمة، الأسئلة المطروحة أمامهم والمتعلقة بوسائل العمل وأخلاقياته، مسترشدين بمجموعة المبادئ النازمة لعملية الاستيلاء.

تتألف المبادئ المذكورة، ذات الطبيعة البريطانية المميزة، من مجموعة اقتراحات تتعلق بالإجراءات الواجب اتباعها أثناء عملية الاستيلاء، وهي لا تعدو كونها اقتراحات نظراً لعدم وجود أي بند في المبادئ يتمتع بسلطة القانون، عدا القوة المؤثرة التي يتمتع بها كلٌّ من الرأي والممارسة في مركز المدينة التجاري. إذا خالف أحدهم تلك المبادئ، وجد نفسه في موقف حرج معرضاً للسقوط في أية لحظة في لجة لا يعرف لها قرار، منبوءاً من الجميع. وضمن منظومة تتسم بالاتكال المتبادل كما هو الحال في مركز المدينة التجاري، يعني ذلك فعلياً نهاية المرء. وهكذا يتعين على من يسعى للنهب أن يتحسس موطئ قدميه بدقة بالغة لأنه حيث لا توجد قواعد، بل مجرد اقتراحات، لا يمكن لأحد أن يتلاعب بالقواعد. بالنسبة لبعضهم، كانت تبدو أشبه بمنظومة خرقاء تفتقر للبراعة، إلا أنها كانت ناجحة إلى حد ما، كما كانت تتكيف مع المتغيرات بدنياميكية تفتقر إليها المنظومة الأميركية المتصلبة التي تحكمها الضوابط القانونية.

لكن الأمر لا يخلو، طبعاً، من بعض النقائص. فقد يحدث أن يتمتع مسؤول تنفيذي ما أو مدير بسمعة مبالغ فيها لا يستحقها في مركز المدينة التجاري. وينطبق الشيء ذاته على الاستغابة، فقد كانت طواحين الإشاعات في المركز تحب النميمة شأنها شأن الواقفين في صف ينتظر دفع الحساب في متجر. ومثلما أن من الصعب تجنب القواعد التي ليست بقواعد، فإن من المستحيل تقريباً تغيير، أو التكفير عن رأي لا سند له سوى كلمات قيلت في بيشوبس غيت.

قال أوين: «جيم، أنت زبون قديم، بالتالي لا شك بأننا سندرس الفكرة بعناية فائقة، شرط ألا تكون هناك أية عوائق واضحة للعيان - أو شبه واضحة...». قاطعه كراوفورد قائلاً: «هل سبق لي أن عرضت عليك فكرة سخيفة؟...».

«كلا، ولكن من ناحية أخرى، هل ستجري إدارة الشركة الجديدة، هذا إذا استطعنا إنجاز الصفقة، بصورة شبيهة بأسلوبك المألوف في العمل؟...».

«أوين، أنا أرغب ببعض التغيير، أريد أن أجرب شيئاً ما مختلفاً». هز كراوفورد كتفيه وكأنه يريد القول: أنت حر في أن تصدق هذا أو لا تصدقه. كان بويز على علم بالموضوع - والواضح أنه أصبح على علم به منذ أن أطلعتة سيليا هارت على الأمر.

هل تفكر بمشروع مشترك أم بالدمج؟...».

قال كراوفورد: «لا معنى لذلك. لأن شركتين عاديتين تحاولان بدء أعمالهما من جديد تتحولان إلى شركة واحدة عادية. وفوق ذلك، فإن الأمر ينتهي عادة بأن يتولى شخص ما مقاليد الأمور، بالتالي إذا بدأنا الأمور بهذا الشكل فلا بد أن النتيجة ستكون أكثر فاعلية، كثرة المدراء أشبه بكثرة الطهارة. لنعد الأمور تجري ببساطة».

«هل سيكون ذلك لمصلحة المساهمين أم لمصلحتك؟...».

«ألا تعتقد بأنهما ذات الشيء؟...».

«هل هما كذلك؟...».

نظر إليه كراوفورد بوجه خلو من التعبير وهز كتفيه. صمت بويز برهة ثم سأله: «هل ستم عملية الاستيلاء بطريقة ودية؟...». كان يعني بذلك عملية استيلاء تشعر فيها الشركة المستهدفة والمصرفيون العاملون معها بالسعادة لدى تزكيتها أمام المساهمين. و يحدث هذا دائماً عندما تنمو الشركات وتتغير دون أن يستثير ذلك أي تعليق، إلا في حال استدعاء لجنة شؤون الاحتكارات.

«أوين، لن تكون الطريقة ودية. فمدير الشركة، جون باركر -الذي تبادلت وإياه بضع كلمات ليلة أمس في حفل توزيع جوائز الإبداع- يعارض الفكرة كلياً». «لماذا؟...».

«ولماذا لا يعارض؟... إنه لا يعارض تماماً. لكنه لا يحب أسلوب في الإدارة أو أسلوب أيوت في العمل. إنه يرغب في المحافظة على أفكار تقاليد المجموعة دون أي تغيير. وهو يعتقد أن بإمكان شركته الاستمرار في خدمة زبائننا... الفكرة الأساسية هنا، أن الشركة شركته وهو لا يرغب في أن يخسرها».

«قد يضطر لذلك. وماذا بشأن أعضاء مجلس الإدارة؟...».

«أنا لا أريد شراء أعضاء مجلس الإدارة، أنا أريد الشركة. ولا يبدو مستقبلهم، ككل، مشرقاً».

قال بويز: «وماذا بشأن المساهمين، أعتقد أنهم عبارة عن بضعة رؤوس أموال».

«رؤوس أموال، أفراد، بعض الممتلكات العائلية».

«كم يبلغ سعر السهم؟...».

قال كراوفورد: «٨٨، لا شك بأنني أستطيع تقديم صفقة أفضل، ولكن ليس هناك معنى في المبالغة منذ البداية».

«لا! طبعاً. إن طبيعة العرض العدائية هي ما تجعله مثيراً».

الاستيلاء

قال كراوفورد في سرّه، هكذا يجب أن تسير الأمور. كان مستشارو عمليات الاستيلاء يكسبون أرباحاً قياسية لمصارفهم حتى الآن خلال السنة الحالية، والأرباح القياسية تعني علاوات قياسية. قال لأوين: «ما هو نوع السيارة التي تقودها حالياً؟...».

ابتسم أوين وقال: «ليس النوع الذي سأقوده في السنة الجديدة. قد يكون الأمر مسلياً، جيم؛ أنا أضمن لك ذلك».

«إذا لم يكن كذلك، فلماذا إذاً نتكلف العناء؟...».

سحب بويز رزمة من أوراق تدوين الملاحظات من بين الوثائق التي يحملها. لاحظ كراوفورد وجود غلاف يضم مجموعة المبادئ النازمة لعمليات الاستيلاء فوق الكومة، قال بويز: «هل ترغب بإلقاء نظرة عليها؟...».

«نعم».

«إذا تذكرنا حقيقة أن هذا العرض سيتسم منذ البداية بالعدائية، فإن هذا يعني أن المعلومات لن تُقدّم مجاناً. بل إن انتزاعها سيكون صعباً».

قال كراوفورد: «ليس لدي أي مانع، ولا شك في أن ذلك سيتجلى في قيمة أتعابك الأولية؟...». أوماً بويز برأسه وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة باهتة. تابع كراوفورد قائلاً: «أنا أشعر بالسعادة، ولا أعتبر ذلك مشكلة. والواقع أنه كلما حافظت على سرية الموضوع قبل إعلانه على الملأ، كان ذلك أفضل. فأنا لا أريد تنبيه أحد لما يدور خلسة إذا كان بإمكانني تجنب ذلك».

«في اللحظة التي نبدأ فيها العملية، سنقيم حولها أسواراً كسد الصين. أعدك بأنه لن يتسرب شيء داخل المبنى أو خارجه. ولكن طبعاً عندما يُطرح الأمر للنقاش، بإمكاننا أن نستشير أي مدراء ماليين داخل الشركة ممن يتمتعون بحقوق المساهمين، وذلك مراعاة لمشاعرهم».

«ما يقلقني هو ذبوع الخبر قبل الأوان. أريد أن أصل للحظة الإعلان جاهزاً لتقديم العرض. أريد أن يكون الأمر مفاجأة، أن يصيبهم بالارتباك».

«لن يكون في الأمر مفاجأة كبيرة إذا كنت قد تحدثت مع جون باركر وانتهى الأمر».

«هو يعتقد بأنه قد تخلص مني. لن يساوره أي شك».

«أنت تبدو واثقاً من ذلك. هل تعرفان بعضكما؟...».

«سبق لنا أن التقينا في مناسبات عدة. الأمر لا يعدو ذلك».

«سنجري إذاً تحليلاً للوضع، سوف ندرس الأرقام وأسلوب الإدارة ونقوم ببعض الحسابات الأساسية ومن ثم سأعود لرؤيتك».

«جيد، ولكن أريد أن تجري الأمور بسرعة، لا أريد إضاعة الوقت».

قال بويز: «نحن لا نضيع الوقت في ويماوث باترنوستر، سأرافقك إلى الخارج. فالمبنى يعج بالإجراءات الأمنية - أحياناً أجد نفسي عالقاً في مكان ما. أتلقى بطاقات بمناسبة عيد الميلاد كُتب على أغلفتها: سري للغاية. لا أدري ماذا تظن سكرتيرتي بالرسائل التي أبعثها، أعتقد بأنها تظنها مرسلة إلى مصادر معلومات خاصة». وقف بويز. انتهى الاجتماع. توقف لبرهة قرب الباب المفتوح وقال: «إذا كنت ترغب في الحفاظ على سرية الموضوع إلى حين طرح الموضوع للمناقشة، فالأفضل ألا نجتمع هنا. لأن أي شخص يرى كراوفورد يأتي إلى هنا أكثر من مرة خلال أسابيع قليلة، لا بد أن يرتاب بأن هناك شيء ما».

«اتصل بي بالهاتف إذاً، يمكن أن نجتمع في أحد المطاعم خارج المدينة، موافق؟...».

«موافق».



obeikandi.com

اليوم - ٢٠

الثلاثاء ١٢ أكتوبر ٢٠: ١٨

دار كراوفورد

أوستون رود ، لندن

لم يكن مارك سنج تشيما، سكرتير الشركة في مجموعة أيوت، رجلاً سعيداً. لم يكن هذا الشعور مرتبطاً بعمله - فقد كان عمله، كما دأب المسؤول التنفيذي الرئيس على القول، ممتازاً - بل كان مرتبطاً بكل ما يتعلق... بكل شيء آخر. بما كأنه مارك وبما لم يكنه. كان، وقد بلغ الثامنة والثلاثين، قد حقق تقريباً كل ما كان والداه يحلمان به عندما كانا يُصِرَّان على أن يكتب واجباته المنزلية وعلى أن يبقى في المنزل في أمسيات أيام السبت لمراجعة دروسه. كانا فخورين به. كما كان كثير من أصدقائه، وخاصة ضمن مجتمع السيخ، فخورين به أيضاً، فقد كان يشغل منصباً مهماً ويتمتع بالمكانة والاحترام، كان مستشاراً محلياً وله زوجة وطفلان يعملان بجد ويكتبان واجباتهما المنزلية، وعندما يحين الوقت، سوف يبقيان في المنزل في أمسيات أيام السبت لمراجعة دروسهما، وقد يذهبان إلى الجامعة القريبة، كما فعل مارك. أو كما فعل رانجيت، فقد كان هذا اسمه. أما مارك... كانت تلك اللحظة الوحيدة في حياته التي جرؤ فيها على التمرد.

في الأسبوع الأول من التحاقه بالجامعة، شعر مارك بالارتباك والضياع شأن بقية الطلاب المبتدئين. تفحص مجموعات الطلاب وزار الأماكن الخاصة بالطلاب، وحاول التعرف إلى كل ما هو جديد. وعندما سألته فتاة عن اسمه أجاب: «مارك تشيما». لم يكن ذلك يشكّل أبداً، -ولو لثانية واحدة-، إنكاراً لحقيقته أو لتراثه

السيخي، بل إنه كان أمراً مختلفاً تماماً. ولم يتبادر السبب إلى ذهنه إلى أن تخرج بدرجة ممتازة، ووجد لنفسه عملاً وتزوج. لم يتزوج الفتاة التي سألتها عن اسمه بل فتاة كانت عائلته قد... لا يمكن القول تماماً: إنها اختارتها. فقد كان هو ومانجيت يعرفان بعضهما منذ الطفولة وكان من المُقرر أن يتزوجا، وتزوجا فعلاً، بعد أن أنهت دراستها الجامعية وحصلت على شهادة في الفيزياء بدرجة ممتازة. كان يشعر نحوها بود كبير، وفي كل مرة كانت تخطر بباله فكرة تخليها عن مهنتها العلمية لترعى شؤون العائلة، كان يشعر بوخز الإحساس بالذنب. لكنه كان يعرفها طوال حياته، وكان الأمر أشبه بزواج الرجل من أخته. كان الأمر يبعث على الضجر، وكان هو يبعث على الضجر، وحتى محاولته الوحيدة للإفلات من الإسار الخانق لعائلته كثيرة العدد، كانت تبعث على الضجر. مارك، لا بأس بمحاولة التمرد هذه، أن يطلق على نفسه اسم مارك. وماذا عن العودة للمنزل، إلى مانجيت، التي بدأت تميل للبدانة وتبدو أشبه بأمهات الآخرين، كما تبدو مختلفة تماماً عن دايان إيلروي، التي كانت تكبر مانجيت بعشر سنوات تقريباً وتبدو أصغر منها سناً بعشر سنوات.

تتهّد مارك سينغ تشيما وعاد ليركّز أفكاره على البند رقم ٤٠٣ آ في استمارة الشركات، بشأن التصريح عن القبول الكلي أو الجزئي بالرهن أو بالرسوم، طبقاً للمقطع ٤٠٣ (١) من قانون الشركات لعام ١٩٨٦. رفع الاستمارة وبدأ بقراءتها، ولكن قبل أن يتمكن ذهنه المُثقل بالضجر من استيعاب أي معنى، فُتح باب المكتب على مصراعيه ودخل المسؤول التنفيذي الرئيس.

«مارك، كيف تسير الأمور؟...».

لا يمكن لأي شخص في المجموعة أن يندفع إلى داخل الغرفة بهذا الشكل - لا يمكن لشخص آخر أن ينجو بفعلته هذه، لكن المسؤول التنفيذي الرئيس كان يتصرف وكأن كل غرفة وكل ممر في دار كراوفورد كانت ملكاً له. لم يكن مارك ليصاب بالدهشة لو رآه يوماً يقتحم إحدى مقاصير حمام الرجال وهو يلقي التحية بتلك الطريقة المستبشرة.

«كل شيء على ما يرام، أنا أراجع فقط مسألة الانتهاء من...».

«دعنا من ذلك، لا أود أن أسمع شيئاً عن هذا الأمر إلا في حالة وجود مشكلة».

«لا توجد أية مشكلة».

«بالطبع لا توجد ولهذا أدفع لك راتبك. أنت الأفضل هنا».

قال مارك بتواضع: «لا يمكن لي الادعاء بأنني قد وصلت إلى ذلك المستوى». دار كراوفورد حول طاولة المكتب ووضع يده على كتف مارك، مما أجبر هذا الأخير على النظر في عينيه مباشرة.

«مارك، إذا قلتَ بأنك لن تصل إلى ذلك المستوى، فلن تصل بالتأكيد. أنت شخص يتمتع بالعديد من المواهب. عليك إذاً أن تصل إلى أفضل المستويات، أليس كذلك؟...». ترك كتفي مارك وأطلق هذا تهيدة ارتياح. كان يكره تلك اللحظات التي يضطر فيها للاقتراب بصورة شخصية من المسؤول. فلم يكن ذلك يتفق مع سلوكه العام.

«لاشك بأنه كذلك». «تتحنح قليلاً وعلت وجهه ابتسامة تتم عن الحرج. «هل هناك شيء تريده على وجه الخصوص؟...».

«مارك، أريد عقد اجتماع لأعضاء مجلس الإدارة».

«اجتماع شهر نوفمبر؟...».

«كلا، خلال هذا الشهر، في السابع والعشرين منه. لننقل في الحادية عشرة صباحاً، أريد أن يكون الجميع حاضرين، جميع أعضاء مجلس الإدارة».

بدا الأمر مثيراً للاهتمام. فلا يمكن استدعاء أعضاء مجلس الإدارة إلى اجتماع دون أية مقدمات، ليس في أيوت بالتأكيد، حيث يميل المسؤول التنفيذي الرئيس لإحكام قبضته على كل شيء. والواقع أن أي مدير أو رئيس بإمكانه أن يطلب من سكرتير الشركة استدعاء أعضاء مجلس الإدارة للاجتماع في أي وقت، لكن ذلك لم يسبق أن حدث مع مارك حتى تلك اللحظة خلال حياته المهنية.

«هل هناك أية إجراءات معينة تود مني أن أتخذها، أرقام بعينها أو توقعات خاصة بالعمل يمكن أن تحتاجها؟...».

ابتسم كراوفورد وقال: «لا شيء مارك، تأكد فقط من أن جميع الأعضاء سيكونون حاضرين». ثم غادر الغرفة وصفق الباب خلفه.

أنهى مارك الاستثمار التي كانت بيده بعجلة وغادر مكتبه وقطع الممر بسرعة. إذا أسرع فقد يلحق بها. لكنها لم تكن في مكتبها على أية حال، أخبرته سكرتيرتها أنها غادرت منذ برهة. اتصل بمكتب الاستعلامات وطلب من الحارس الليلي الذي كان قد وصل لتوه أن يسأل السيدة إيلروي الانتظار قليلاً. ثم عاد إلى مكتبه راکضاً، وضع أوراقه في مكانها وأقفل عليها، تناول سترته وركض باتجاه المصاعد.

كان مكتب الاستعلامات في دار كراوفورد مصنوعاً بالكامل من الزجاج والفولاذ، وكانت المصاييح التي تبهر الأبصار تملأ المكان. بينما كان مارك يترجل من المصعد شاهد دايان إيلروي تقف في الجزء المخصص للانتظار تقلّب صفحات إحدى المجلات دون اكتراث، شعر-كما يشعر دائماً عندما يعود لرؤيتها، ولو بعد خمس دقائق- بقلبه يثب من مكانه. كانت امرأة صغيرة الحجم، لا يتجاوز طولها بتقديره خمسة أقدام وأربعة بوصات، لكنها كانت تسترعي الانتباه بشكل أو بآخر: سواء بسبب ذوقها السليم في اللباس «لم تكن لديه الجرأة ليسألها إن كانت ثيابها من صنع مصمم معروف، رغم أنها كانت ترتديها بطريقة تبدو معها وكأنها كذلك» أو بسبب قوامها النحيل، أو بسبب شعرها القصير الفاحم أو بسبب تلك العينين الناعستين اللتين كانتا تنظران إليك وكأن صاحبتهما قد عادت لتوها من مكان مسلّ بالغ الخصوصية، أو أنها في طريقها إلى هناك. كانت سيدة من نيويورك تبدو أحياناً وكأنها قد زارت تلك الأماكن بالغة الخصوصية خلال سنواتها الخمس والأربعين، وكانت تدفع مارك للشعور بأنه أشبه بتلميذ.

ناداها مارك: «دايان... أنا آسف لتأخيرك... أعني...». تتنح ثم عاود الكلام: «كنت أتساءل فقط إن كان لديك برهة من الوقت. لقد طرأ أمر غريب إلى حد ما».

أشرق وجه دايان بابتسامة وضيئة وقالت: «بالطبع، أنا لست في عجلة من أمري، ماذا يدور في ذهنك، أهى دعوة للعشاء في مطعم شينيكو؟...».

أحس بالدماء تتدفق إلى وجهه. أجاب: «لا... لا، أعني أنه...».

قالت دايان: «هدئ من روعك، لست أنوي انتزاعك من مباحج الحياة العائلية».

فكر مارك، ليتك تفعلين، ثم قال: «لقد طلب مني المدير التنفيذي الرئيس عقد اجتماع لأعضاء مجلس الإدارة في السابع والعشرين من الشهر الحالي».

«هذا غريب. ما السبب برأيك؟...».

«لم يخبرني. كان يتصرف وكأنه يشعر بنشوة عارمة». لم يتمالك مارك نفسه وألقى، رغماً عنه، نظرة خاطفة على إحدى كاميرات المراقبة الموزعة في كل أرجاء المكان.

قالت دايان: «لا تخف لأن ذلك الوغد العجوز لا يستطيع قراءة الشفاه، حتى هذه اللحظة على الأقل».

كانت دايان إيلروي ضمن أعضاء مجلس إدارة أيوت بصفة مديرة التطوير. ومنذ التحاقها بالعمل في الشركة قبل عامين، بعد أن كانت تعمل في الفرع اللندني لإحدى الشركات الأنكلو أميركية ذات الأنشطة المتعددة، كان يجمعها ومارك تشيما شعوراً بالشك إزاء أسلوب المسؤول التنفيذي الرئيس في تسيير أمور الشركة - أو كما كانت تصفه دايان: أسلوبه في الديكتاتورية. كان مارك يعتقد بأنها تحمل شعوراً بالتحامل رغم أنها كانت أكثر أعضاء مجلس إدارة كراوفورد إبداعاً. فقد كانت تصغي إلى الأشخاص - الأشخاص الجديرين بذلك، وفي ما يتعلق بالفريق العامل معها، كانت بارعة في اختيار مساعديها وفي السماح لهم بالمضي قدماً إلى أبعد حد تسمح لهم به حماسهم ومواهبهم، دون أن تغفل عن أن توضح لهم ماذا تتوقع هي والشركة منهم.

الاستيلاء

لم يكن كراوفورد، ولسوء الحظ، يعيرها دائماً أذنًا صاغية. خلال مسار عدة اجتماعات لأعضاء مجلس الإدارة، بدأ يتكوّن لديها ولدى مارك تحليل محدّد لشخصية المدير، لكن مشاعرهما لم تتعد حدود النفور الخفيف من أسلوب كراوفورد في إدارة الشركة. رغم ذلك، كان هناك شك يخامر مارك بأنه إذا دفع بالأمور إلى حدود أبعد قليلاً، فقد تتطور شكوكهما المشتركة وصادقتهما لتأخذ أبعاداً لا بأس بها.

قالت دايان: «هناك شيء ما يجري في الخفاء، هذا كل ما أعرفه. فقد لاحظت منذ فترة أن تصرفات المدير يغلفها الارتباك أكثر من المعتاد كما أنني شاهدت كوستو «أحد المدراء غير التنفيذيين» قبل أيام وهو يوزع الابتسامات المتكلّفة في الممرات».

قال مارك: «كراوفورد يرغب في أن يكون جميع الأعضاء حاضرين في الاجتماع».

«لابد أنه يريد عرض آخر نجاح حققه. إنه يحب أن يتوجه إلى جمهور يستمع إليه، وخاصة إذا كان يتمتع بمحبة الجميع. كما أنه يحب إشراك بعض الأشخاص في الصفقة وإقضاء آخرين، فهذا يفقد الجميع اتزانهم».

«ولكن دايان، عليك الاعتراف بأنه له فضل تحقيق النجاح - أو الأرباح على الأقل».

«نعم أعترف بهذا وبأكثر من هذا، لأن عدم إعجابي بأسلوبه لا يعني عدم إعجابي بما يحققه من نتائج. كل ما هنالك أنني أشعر بأن ما ينطلق إلى الأعلى بسرعة الصاروخ لابد من أن يهوي إلى الأسفل بسرعة الصاروخ أيضاً. ولا أعتقد أن هناك من يرغب في أن يكون في مكان سقوط الصاروخ».

«أو أن يلتقط الأجزاء المتناثرة».

«قد يكون ذلك أمراً مختلفاً. لننقل إعادة تنظيم الأجزاء. لكن ذلك في علم الغيب. مشكلتنا هي هنا والآن، مع بيتر البوري».

كان ألبوري مديراً للمجموعة، وكان يُعتبر عادةً شخصاً محترماً مستقيماً لكنه كان عاجزاً عن مواجهة تأثير كراوفورد المتعجرف. ولم تكن حقيقة وجود مكتب للمدير - وهو ثاني أفضل مكتب في المبنى، قرب مكتب المسؤول التنفيذي الرئيس الذي شغل أفضل مكتب - تعني أن تأثيره الهادئ كان قادراً على تغيير أو حتى على تحسين أي من القرارات التي يتخذها كراوفورد. لم يكن ألبوري ليتمتع بالحيز الكافي الذي يتيح له العمل بحرية، أو بالوقت اللازم لتنفيذ القرارات قبل أن يتدخل كراوفورد في العمل بأسلوب لا يستطيع أحد إنكار فعاليتها. كان كل من دايان ومارك يدرك بأن النظرة المثالية للأمور تستوجب قيام المدير بتوجيه أعضاء مجلس الإدارة، لكن على المدير أيضاً أن يتمكن من أن يكون جزءاً من فريق الإدارة إذا تطلب الأمر ذلك. لم تكف دايان، طوال العام الفائت، عن بذل محاولات بارعة تهدف لإقامة تحالف مع المدير، لكنه كان يرفض باستمرار مخافة إلزام نفسه بأية خطة عمل قد تؤدي إلى إحداث تمرد داخل غرفة مجلس الإدارة.

قال مارك: «لا شك بأن بيتر هو شخص محترم، لكنني لا أعتقد أنه سيخاطر بخذلان زوجته وأبنائه».

«هذا إذا لم نأت على ذكر العنزات الصغيرات وتلك الشركة اللعينة التي يحاول إحياءها منذ أن عرّفته. لا شك بأنه يعمل في شركة لا تناسبه، يجب أن يلتحق بالعمل لدى شركة محترمة مثل لويس بارتيرشيب».

ضحك مارك، فقد كانت الصورة التي رسمتها دايان لألبوري الرزين صحيحة تماماً. فلم يكن يمر يوم دون أن يروي ألبوري قصة جديدة عن حيواناته أو عن سيارته. كان مارك قد أعلن يأسه من نجاح ألبوري في عمله لكن الأمل لم يفارق دايان. فقد قالت ذات مرة: «داخل كل منا هناك شخص متمرد مهما كان عميق الغور. عليك فقط أن تتمتع بالدأب الكافي لكشف هذا الشخص». تساءل مارك في سرّه إن كان هناك شخص متمرد داخله - وإن كانت دايان ستقوم يوماً ما بإغواء هذا الشخص إلى درجة تدفعه للكشف عن نفسه.

الاستيلاء

قال مارك وقد دفعته غريزة المحاسب، للعودة إلى الموضوع الأصلي: «ما رأيك في الأسبوع القادم، أعني الاجتماع؟...».

«مجلس الإدارة الناجح يجب أن يتمتع بمنظومة إنذار مبكر ناجحة. مجلس الإدارة في الشركة ليس بالمجلس العظيم، لكنه أيضاً ليس على هذه الدرجة من السوء - فبدون، لا داعي طبعاً لذكر اسمه، قد نحظى بفرصة القيام بشيء مهم - ولكن لندع ذلك جانباً الآن، أنا لا أشك في أن بإمكاننا أن نلاحظ أية إشارات تنبئ بوجود متاعب، كما أنني أعتقد بأن البروي يُطلَّعُنا على أية مشاكل تقلقه بخصوص العمل، لا أذكر أنه ذكر أي شيء من هذا القبيل في الاجتماع السابق».

«كلا، لقد عدتُ لقراءة محضر الاجتماع. لا يوجد هناك شيء، ولا حتى تلميح».

قالت دايان: «من يكتبُ محضر الاجتماع يسيطرُ على الاجتماع. تفضل لنتناول العشاء سوياً».

هز مارك كتفيه وهو يقول: «آسف، أود ذلك لكن عليّ اصطحاب مانجيت للتسوق».

«كما تشاء. وأمعنُ السمع، أليس هذا ما تقولونه هنا في بريطانيا؟...».

«نقول نصيح السمع، فالإمعان يكون بالنظر».

«صحيح. عَمَّتْ مساء».

استدارت، فاح شذا عطرها - تساءل في قرارة نفسه إن كان بإمكانه معرفة اسم العطر ليبْتَاع زجاجة لمانجيت، لكن ذلك سيبدو أشبه بالخيانة - ثم سارت بسرعة باتجاه الباب الدوار حيث اختفت برهة داخل الخيالات المنعكسة قبل أن تبرز من الجانب الآخر للباب لتستوقف سيارة أجرة، وسرعان ما عثرت على سيارة. أغلق مارك عينيه بشدة واصطخبت الأفكار داخل رأسه: «يا لك من أحمق، لماذا لم

تستجب للدعوة؟... ماذا ستفعل بدل ذلك؟... ساعة ونصف في ويتروز، مشاهدة التلفزيون. مانجيت مستغرقة في قراءة مجلتها العلمية والاستياء يتجلى في كل جزء من ظهرها الذي تديره باتجاهه. كان يكره حياته أحياناً، ويرغب في أن يحدث شيء ما، أي شيء».



obeikandi.com

اليوم - ١٧

الجمعة ١٥ أكتوبر ١٣: ٠٠

ريفيير كافيه، لندن

ارتسمت على وجه النادل الشاب ابتسامة عريضة، ثم جلس إلى جانب الطاولة ووضع ذراعه على حافتها وقال: «هل قررتم؟...».

لو أن ذلك جرى في أي مطعم آخر في لندن، لكان من الممكن أن يُعتبر تصرف كهذا خارج حدود اللياقة المسموح بها، ولكن في مطعم ريفيير كافيه، وضمن روح الجمال العملي التي تتبدى من خلال تصميم ريتشارد روجر، وقرب الموقد المفتوح الذي يحترق فيه الخشب، وبين المشاهير الذين يحفل بهم المكان، بدت تلك الحركة العفوية في مكانها الصحيح تماماً - ودية ولكن دون إلحاح أو تذلل.

نظر كراوفورد وأوين بويز إلى سيليا هارت - كما نظر إليها النادل ولكن بإعجاب لا يخفى - بانتظار أن تبدأ هي في الطلب.
«فليفلة وباذنجان مشويان ثم السلطة».

حذا الرجلان حذوها وطلبا نفس الطبق الأول، أضاف بويز السلطة بينما اختار كراوفورد سمك موسى. شرب كل من سيليا و بويز ماء لكي يحتفظا بصفاء تفكيرهما من أجل فترة العمل بعد الظهر لكنهما طلبا شيئاً آخر لكراوفورد لأن الضيف يجب أن يُعامل بالسخاء الذي تتطلبه الضرورة. وخطر ببال بويز، رغم أنه لم يقل ذلك، أنهما كانا رغم كل شيء ينفقان من ماله.

ابتسم النادل لسيليا وقال: «رائع» ثم ذهب وهو يتبخر إلى البار الطويل ذي السطح المكسو بالمعدن الذي كان يحتل جداراً كاملاً من قاعة الطعام.

تساءل بويز: «ما سر العلاقة بين النساء والندل؟... سيليا، أعني... هل هي مهارة فطرية لديك؟...».

«أوين، إنه مجرد شيء يحدث. قد يصبح بإمكانك القيام بذلك إذا ما لوّحت لهم بالمال».

كانت هناك إشاعة عن وجود خلاف بين سيليا وبويز، عندما كانت خريجة في طور التدريب، لم يكن أي شخص ممن يحيطون بهما يعرف التفاصيل ولكن كان واضحاً أنهما لا يحبّ بعضهما بعضاً. كما أنه لم يكن سرّاً أن سيليا كانت تتوق بلهفة للوصول إلى المقر الرئيس في نيويورك لتعمل في مجال المضاربات. وشأن معظم أقرانها، كان تفكيرها منصبّاً على تحقيق أهدافها ضمن مجال حياتها المهنية ولم يكن ليغيب عن بالها أنها، في تلك المرحلة بالذات، كانت بحاجة لبويز. لقد تغيرت الأمور منذ أواسط التسعينات، بعد أن تسبّب أحد رجال الأعمال الشباب الذين كانوا يعملون دون إشراف من أحد، في خسارة بلغت الملايين، وفي إفلاس أصحاب الشركة التي كان يعمل بها. في ذلك الوقت، كان هناك في مركز لندن التجاري نظامٌ تراتيبيّ صارم يفصل بين المحلّين ورجال الأعمال والمضاربين، ثم يأتي أصحاب المصارف المتعجرفين في أعلى السّلّم. ولذلك كان أولئك الذين يقبعون في المراتب الدنيا كثيراً ما يعملون دون إشراف، أو أن عملهم لم يكن مفهوماً بصورة صحيحة، بالتالي كانت النتائج كارثية، لقد تغيرت الأمور بصورة سريعة وعنيفة بعد قضية ليسون، فرغم أن المصارف الاستثمارية لا تزال تمارس عملها بأسلوب يعتمد على التقسيم الإداري، إلا أن الرؤساء يعملون دائماً على أن يتأكدوا بدقة مما يدور في أذهان مرؤوسيهـم. كانت سيليا في تلك الفترة بالذات بحاجة لناصره بويز - ولكن إذا حدث لاحقاً أن تلكاً قليلاً في عمله، بإمكانها آنذاك أن تحل مكانه، فضمن مستوى الأجر الذي يتلقّياه، يُعتبر الأداء كلّ شيء وليس هناك من هو بمأمن من الخطر، كان وضعاً يعيه كل منهما جيداً، إضافة إلى أنه كان مصدر تسلية بالنسبة لكراوفورد.

لقد تحدثت مع أندريا قبل بضعة أيام».

سألته سيليا: «كيف أحوالها؟... بلغها تحياتي. يجب أن نجتمع لنتسوّق سوية».

قال بويز: «سيليا، لم يخطر ببالي مطلقاً أنك من النوع الذي يتسوّق».

قالت سيليا: «أوين، التسوّق هو الحياة». ثم عادت وتوجهت بالحديث إلى

كراوفورد: «أخبرها أنني سأتصل بها هاتفياً خلال مدة وجيزة».

دفع كراوفورد بمقعده إلى الخلف بضع بوصات، وهو الحد الذي كان يسمح به

وضع الكراسي على المائدة المجاورة، وقال: «سأخبرها. إذاً ها نحن قد اجتمعنا».

سأله بويز: «آمل أن يكون المكان مستوفياً شروط الكتمان الكافية بالنسبة لك».

لقد فكرنا أنا وسيليا أن هذا المطعم سيكون أفضل من غيره من المطاعم التي يتردد

إليها كثير من المصرفيين». ثم قام بتفقد الرسائل الواردة إليه وكأن الكلمات التي

قالها ذكرّته بشيء ما - كان من الواضح أنه يكره البقاء طويلاً خارج مكتبه.

قالت سيليا: «وكثير من الصحفيين المأجورين». ثم تفقدت هي الأخرى الرسائل

الواردة إليها.

سألها كراوفورد: «وهل يشمل ذلك صديقك؟... أعتقد أن اسمه ميد أليس

كذلك؟...».

«هيو ميد. يجب أن أجمعك به يوماً ما، لاشك أنك ستحبه. فهو من نوعية

الرجال الذين يحوزون على إعجابك، فإنه لايفكر سوى بنفسه».

قاطع بويز ضحكة كراوفورد، فالوقت ثمين حتى أثناء تناول الغداء، وقال: «لقد

راجعنا الأرقام ويعتقد مجلس الإدارة أن علينا مساندتك».

الاستيلاء

تهلل وجه كراوفورد وقال: «رائع. لقد كنت أعرف أن هذا سيكون موقفكم، ولن تتقدموا على ذلك».

قال بويز: «لن نندم بالطبع، فنحن مصرفيو استثمارات، ونخرج من الصفقات بأرباح». كان من المستحيل أن يتأكد المرء ما إذا كان بويز جاداً أم هازلاً.

قال كراوفورد: «مادامت مصالحنا متفقة. أليس كذلك؟...».

رفعت سيليا يدها محذرة وهي تقول: «نعم هذا صحيح» بينما كان النادل يقترب من الطاولة.

كان ضجيج الأحاديث في الغرفة من حولهم يحول دون سماع أي شخص يجلس إلى المائدة المجاورة لحديثهم، لكن الندل، شأن سائقي سيارات الأجرة وموظفي الاستعلامات وعمال الصيانة، يتمتعون بسمع حاد إضافة لإحساس لا يضاهى بقيمة المعلومات - في مدينة لندن على الأقل.

وضع النادل الباذنجان والفليفلة المشوية على الطاولة أمامهم برشاقة، ثم صب كأساً لكراوفورد ليختبر مذاقه وابتعد عنهم.

قال بويز: «هل تريد أن نُعدَّ وثيقة العرض سوياً؟...».

«بالطبع. سأوافيك بكل ما تحتاجه حول أيوت. ماذا بشأن بايفيلد - كيف ترى سير أعمالها؟...».

أوماً بويز برأسه عبر الطاولة قائلاً: «سيليا...»، بعد أن رشفت المحللة الماء الغازي من كأسها بطريقة تتم عن استمتاعها به، قالت: «جيمس، نحن لم نستطع بعد أن نفهم سبب رغبتك في الاستيلاء على الشركة. أعتقد أن أحد أسباب بقاء الشركة هو أنها لا تعتبر شركة مهمة. أحوالها لا تتحسن ولا تسوء، كما أنها ليست بالشركة المبدعة، رغم ما قلته عن المصممين الشباب الذين يعملون فيها. ويبدو لي أن أية موهبة اتفق أن كانت موجودة هناك منذ بضع سنوات قد خمدت بدافع الرغبة في إرضاء الجو المحيط بها. لا أنكر أن القسم العامل في مجال البناء

والأنشطة المختلفة يلقي نجاحاً ولكن ليس هناك ما يثير الاهتمام بشكل خاص، رغم كل ما يقال عن ازدهار حركة بناء المنازل خلال السنوات القليلة القادمة. الأعمال الأساسية المتعلقة بالأجهزة الإلكترونية، كما تحققنا....».

نظرتُ إلى بويز الذي تابع الحديث قائلاً: «لا بأس بها. يمكن لها أن تكون أفضل لكن هناك لاعبون أكثر أهمية ضمن هذا المجال تمكنوا من تأسيس موطئ قدم لهم في الأسواق الجديدة. لماذا لا تسعى باتجاه شركات كهذه؟... يمكن لنا بسهولة أن نعد لك عرضاً».

«ربما في ما بعد. لكنني الآن أريد....».

«بايفيلد. هذا رائع. إذا كان ذلك يسعدك، وإذا شعرنا نحن بأنك لن تتراجع عن موقفك في منتصف الطريق لأسباب تكتيكية...».

«أوين، ليس في ذهني أي شيء من هذا القبيل».

«كما تعرف إذاً، إن مجموعة المبادئ النازمة لعمليات الاستيلاء واضحة بهذا الشأن. علينا، وأنا هنا أكرر ما جاء فيها حرفياً، علينا أن نفي العرض حقه من التفكير الدقيق المسؤول قبل تقديمه بحيث تتكون لدينا قناعة بأننا نملك وسوف نملك في المستقبل، إمكانية تنفيذ العرض. وهذا يسري علينا كما يسري عليك».

أزال كراوفورد قطعة خبز كانت قد سقطت في الصلصة المتبقية في صحنه، وقال:

«أوين، أنا أعرف أن السمعة التي أمتع بها هي أنني قرصان إلى حد ما».

قالت سيليا: «إلى حد ما؟... أنت صاحب اللحية السوداء بين القراصنة. وأعتقد أنها ليست المرة الأولى التي تسمع فيها ذلك».

مسح كراوفورد بيده على ذقنه الحليقة، وتابع كلامه قائلاً: «لا عليك، ولكن هذا العرض، بقدر ما يمكن لي القول في هذه المرحلة، هو عرض حقيقي تماماً. أرغب في الاستيلاء على شركة باركر. سأتابع خطوات العرض إلى حين الوصول إلى النهاية المبررة. آمل أن تكونا قد شعرتما بالرضى؟....».

أوماً كل من سيليا وبوبز برأسه، بعد أن فكرا بالأمر لبضع دقائق، جرت خلالها إزالة الأطباق عن الطاولة.

جلس الثلاثة صامتين تتقاذفهم الأفكار بشأن الأيام والأسابيع التالية إلى أن أحضر الطبق الرئيس. قال بوبز: «سنباشر العمل بجد، سننظم عرضاً مالياً ونوافيك به، سنكتشف وجود أية تصفيات أو أية منافسات، رغم أن ذلك سيكون دون شك نوعاً من المضاربة المحفوفة بالخطر، لأنه لا يمكن لأحد أن يتنبأ برد فعل السوق الفوري أو بما تفكر به الشركات الأخرى بشأن الصفقة بكاملها. سوف نستعين بشركة للعلاقات العامة بالسرعة الممكنة، أعتقد أن بيرى كينغ من شركة كينغ أسوشييتس رجل لا بأس به».

قالت سيليا: «لا أظن أن هذا هو رأي زوجته، أو فلنقل زوجته السابقة. لقد انفصلت عنه وأنشأت شركتها الخاصة، كوينزوي كونسالتنغ».

قال أوين: «لا أعتقد أننا سنقاطعه لمجرد أنه تخطى عن زوجته. وفوق ذلك، إنه يتمتع بموهبة فطرية لا بأس بها بشأن ما ينبغي أن يُسرَّب إلى وسائل الإعلام. كما أنه لا يلجأ للمبالغة، وهي الخطيئة الشائعة التي ترتكبها الشركات عندما تبدأ في تقديم نفسها إلى محلي مركز المدينة التجاري. سأتصل به هاتفياً - لست مضطراً للاجتماع به في هذه المرحلة، إلا إذا كان هناك أمر ما محدد ترغب في تأكيده بشكل خاص؟....».

قال كراوفورد: «لقد أصبح الموضوع الآن بين يديك». كانت تلك هي الحقيقة. فاعتباراً من اللحظة التي قرر فيها الثلاثة المضي في الأمر، أصبح المصرف الاستثماري هو الذي يتصرف باسم كراوفورد متجاوزاً مجلس الإدارة. صار المصرف هو الجهة التي تقوم بإعداد العرض وتقديمه إلى المساهمين في شركة بايفيلد، وهو الجهة التي تعطي التعليمات للمحامين وشركة العلاقات العامة وإلى أي شخص آخر قد تكون هناك حاجة للعمل معه. كانت مهمة بوبز هي معرفة الأشخاص المناسبين

والوقت المناسب للاتصال بهم بغية جعل الأخبار تبدو جيدة. وإذا كانت الأخبار جيدة، أو إذا بدت كذلك، فإن مركز المدينة التجاري سيلاحظ ذلك. المركز التجاري يرحب بالمفاجآت، لكنه يكره الصدمات: إنه يفضل موزارت أكثر من بيرتوسيل، رغم أن هذا المركز قد يسعده، إذا اقتضى الأمر، أن يرضى كليهما.

بدت إمارات فوضى طفيفة في الطرف المقابل من المطعم، توجه الثلاثة بأنظارهم إلى هناك ورأوا ريتشارد روجرز بدمه ولحمه يدخل القاعة. كان يرتدي قميصاً وبنطالاً فضفاضين من الكتان.

قالت سيليا: «يا لهذه المادة، بإمكانك أن تشم رائحة الكتان».

سار روجرز باتجاه البار وصافح بعض الندل وبعض الأشخاص الجالسين إلى البار، ثم جال بنظره خلسة في أرجاء القاعة وهو يومئ محيياً لبعض معارفه وربما أيضاً لبعض الموظفين - بما أن ريفير كافيه كانت في الأصل المطعم الخاص بالموظفين ضمن مجال الهندسة المعمارية التي يعمل فيه. عندما رأى كراوفورد رفع يده محيياً وسار باتجاهه.

قال روجرز: «جيم، يسعدني أن أراك». تصافح الرجلان بحرارة.

كانت السمرة تلوح وجه روجرز بصورة بارعة متقنة لا تتحقق سوى للأشخاص الموهوبين فاحشي الثراء. «متى ستجد لي عملاً لديك؟...».

قال كراوفورد: «لا يبدو لي حالياً أنك تعاني من مصاعب مالية. وفوق ذلك، ليس في طاقتي دفع أجرك وخاصة بعد أن تناولت الطعام هنا».

ضحك روجرز وقال: «كان علي انتهاء الفرصة عندما كان المال بحوزتك». ثم ربت على كتف كراوفورد وهو يومئ بلطف إلى كل من بويز وسيليا ومضى باتجاه مائدة أخرى.

قال بويز: «لم أكن أعلم أنك تعرف روجرز».

الاستيلاء

قالت سيليا: «إنه يعرف الجميع، أليس كذلك يا جيمس؟...».

«هل سبق أن واثتت الفرصة للاستفادة من خدماته؟...».

«منذ بضع سنوات، عندما كنت أقوم بتأسيس دار كراوفورد. لقد كان ذلك أحد الأمور التي ندمت لأنني رفضتها. ولكن، الماضي قد ولى إلى غير رجعة، أمامنا المستقبل، أتعلمان؟...». انتظر كراوفورد إلى أن نظر إليه كلٌّ من سيليا وبويز ثم قال: «أعتقد بأننا سنقضي وقتاً ممتعاً».



اليوم - ١٥

الأحد ١٧ أكتوبر ١٨: ٥٥

كانتيني B.B.C، دار الإذاعة

تمطى هيو ميد ثم أرخى جسمه ودفع بقدميه تحت الطاولة. وضعت المنتجة العاملة معه، أنجيلا دانيالز، أمامه فنجاناً من الورق المقوّى مليئاً بقهوة عكرة. كانا قد أمضيا الساعات الست الماضية في محاولة قراءة مصدر إخباري مشوّش بغية إعداد تقرير.

نظر هيو إلى وجه الفنجان الذي يتصاعد منه البخار وقال: «ألم أطلب شايًا؟...». جلست أنجيلا في المقعد المواجه وقالت: «الواقع أنك طلبت بيّرة، رغم أن من الواجب أن تكون على علم بعد مضي كل هذا الوقت أنه ليس بإمكانك أن تبتاع مشروباً كحولياً دون وجبة».

«آه من الخصخصة».

«كنت أعتقد أنك من مؤيديها».

«رجاء، أنا محرر مالي مأجور، ليست لدي أية أفكار».

ضحكت وقالت: «ولا أية مُثُل»، نزعَتْ غطاء زجاجة الماء فصدر عنها أزيز كاد ألا يُسمع.

«هيو، لقد أبدعت في عملك. وأنت أيضاً أنجيلا. أعتقد أنكما أدركتما المطلوب تماماً». كان ذلك رجلاً إسكتلندياً نحيلاً قام بتطوير الشبكة تطويراً جذرياً. كان هو الحكم المطلق في ما يتعلق بمصيرهما، وكانت إشارته المشجّعة إلى التقرير الطويل الذي كان قد أذيع في الأسبوع السابق تشكل نقطة إيجابية تصب في صالحهما، رغم أن حقيقة كونه سيترك العمل خلال فترة قصيرة كانت تجعل درجة الإيجابية موضع نقاش.

«شكراً جيمس...». أوماً له الاثنان وابتسما له عندما مر بهما.

قال هيو: «لم يكن ليتبادر إلى ذهني أنه يعرفني، دَعَكَ من معرفة اسمي».

قالت أنجيلا: «إنهم يعرفون كل شيء. لكنه كان على حق، التقرير جيد. فقد دفع الناس لأن يطيلوا السهر لمشاهدته. لقد أفردتُ صحف أيام الأحاد للبرامج المتعلقة بالأعمال أكثر مما كانت تفرد لها منذ عصور».

قاطعها هيو: «وليس فقط على الصفحات المالية. لقد تمكنا من تجاوز الحدود المرسومة لنا. أصبح الأشخاص العاديون يصغون لما نقول».

«الأهم من ذلك أن الأشخاص العاديين بدؤوا للمرة الأولى يفهمون ماذا يجري داخل غرف مجالس إدارة مؤسسات المرافق الكبيرة، مثل قضية حاجة ميدلاند ووتر للتوسع لتتجاوز مشاريع التغذية بالماء والتصريف الصحي واختيار...».

ابتسم الاثنان عندما تذكرا المقابلة التي أجراها هيو مع أحد مدراء مؤسسة المرافق العامة. كان هناك قضية وُصفت بأنها من العثرات الكلاسيكية المضحكة. فقد كان الرجل ينكر بصورة فعلية إشاعة أكدها بيان صحفي صادر عن مكتبه، وقد أبرز هيو البيان بعد أن كان المدير قد غرق في الأكاذيب حتى وسطه. وعندها، وبدل أن يأخذ بنصيحة دينيس هيلي المعروفة، ويتوقف حتى لا يتورط أكثر، تابع كلامه حتى غاب تماماً تحت أكوام الأكاذيب.

قال هيو: «هذا النوع من الشخصيات يبدو عاجزاً تماماً بمجرد إبعاده عن مستشاريه. يجب إجراء تدريب إجباري بشأن الوعي الإعلامي لأي شخص يصل لمنصب عضو مجلس إدارة شركة. انظري إلى معظم هؤلاء الأشخاص: سوف ترين محاسبين ومحاسبين سابقين، وأحياناً بعض المهندسين، لكنك إذا بحثت في قسم المصادر البشرية أو التسويق فلن تجدي هذا العدد. أما إذا حاولت العثور على شخص، أي شخص، يستطيع التعامل معنا - فلن تجدي أحداً على الإطلاق».

قالت أنجيلا: «هذا أفضل، لأن ذلك قد يفقدنا عملنا».

«لا تصدقي ذلك - هناك دائماً قصة وراء كل قصة، صحيح أنه قد يكون من الصعب أحياناً العثور على القصة الحقيقية، لكنها موجودة رغم ذلك. وهذا ما يجعل عملنا الإعلامي مثيراً. فقد يكون هناك رجل...».

قاطعته أنجيلا: «أو امرأة، دعنا من التحيز الجنسي».

«رجل على الأغلب - لنكن واقعيين - قد يكون هناك يعيث في مكان ما غير معروف. لنقل مثلاً في مدينة نوريتش...».

قالت أنجيلا: «لقد دُعيت من قبل أحدهم لقضاء عطلة نهاية أسبوعٍ صاخبةٍ في نوريتش».

«شخص يعمل في الدار هنا؟... هل هو شخص أعرفه؟...».

«هل تعرف هنا شخصاً من النوع الذي يرغب في قضاء عطلة نهاية أسبوع صاخبة؟...».

«كلا. لعله كان طلباً للزواج؟...».

«لابد أن ذلك كان سيترك وقعاً مدوياً».

«بماذا أجبتَه؟...».

«أجبتَه - دعنا من التحيز الجنسي - بأننا لا نستطيع إقامة علاقة في نوريتش، لأن الأمر سيبدو مضحكاً».

شرب هيو قهوته دفعة واحدة وهو يزمجر ساخطاً. عندما انتهى، مسح عينيه ونظف ما انسكب من القهوة ثم وضع منديلاً على بنطاله لامتناس القهوة التي كانت تبرد بسرعة. قال لأنجيلا: «وصلتُ الفكرة. كنت أقول لك: هذه المديرية تعتقد أنها ضمن أعضاء مجلس إدارة شركة ما في نوريتش، تعبت...».

«لقد سبق لك وقلت ذلك، المأجور الناجح لا يكرر ما قاله».

«الفكرة هي أن أي شخص في موقع الإدارة قد يجد نفسه عرضة لاهتمام وسائل الإعلام. الأعمال تواجهنا حيث توجهنا، سواء في نوريتش أو أدونكاستر أو في أي مكان كان، قد يبرز الصحفيون المليون المأجورون من الألواح الخشبية للأبواب والأثاث في أي وقت - معظم هؤلاء الأشخاص لا يتمتعون بالخبرة الكافية للتعامل مع موقف كهذا».

«هل ستكون هذه قصتك التالية؟...».

«كلا، قد أقوم بإضافتها لكنها لن تكون كافية لإنجاح برنامج مؤسسات المرافق العامة. إذا تمكنا من الحصول على ثلاثة أو أربعة موضوعات مثيرة فعلاً، قد نكون أكثر أماناً مما نحن عليه الآن».

«هيو، ليس هناك من هو آمن».

«أعلم ذلك. لقد قلت أكثر أماناً. أنجيلا، أريد أن أكون أكثر شهرة. أريد أن أسترعي مزيداً من الانتباه: أن أكتب مسلسلاً، أو كتاباً من سلسلة كتب، أريد أن أدعى للكتابة في الغارديان، في أية صحيفة مهمة لا على التحديد».

«ماذا يدور في ذهنك؟...» لم تكن أنجيلا حمقاء، كانت محررة من الطراز الأول، وكانت تدرك بالغريزة ما الذي يجعل نبأ ما ذا وقع مدوّ. كانت قد حازت مرتين على جائزة سوني، ولم يكن في نيتها أي هدف آخر سوى الارتقاء في مهنتها أو التحول للعمل في التلفزيون. كانت في السابعة والعشرين، أي في العمر المناسب - إذا لم تكن قد حققت النجاح لدى بلوغك الثلاثين، فلن تنجح مطلقاً. كان هيو في التاسعة والعشرين، وقد مضى عليه ثلاث سنوات في عمله هذا واضعاً نصب عينيه أن يستمر فيه سنة إضافية لا أكثر.

«صديقتي...».

«سيليا هارت؟...».

«لا شك بأنك تعرفين أنها تعمل مع جيم كراوفورد؟...».

«أعتقد بأنك سبق أن ذكرت شيئاً من هذا القبيل».

«هناك صداقة تربط بينهما، وهو كثيراً ما يحدثها عن شؤونه».

«ماذا تعني؟...».

«تحدث إليها الأسبوع الماضي».

«وبعد؟...».

«لا شيء».

«هيو، سأكرر ما قلته، وبعد؟...».

«بعد ذلك تحدثت وإياها».

«هل هذا كل شيء؟...».

«وتحدثنا. أنا وهي».

«إلى أين سيقودنا هذا الحديث؟...».

«إذا اجتمعت سيليا مع كراوفورد ولم تذكر، أثناء الحديث، الموضوع الذي قاما

بمناقشته، إذا لم تقل شيئاً، إذا لم تذكر حتى الاجتماع ذاته...».

«إذاً كيف...».

«لقد تفقدت دفتر مواعيدها. فهي تتركه حيثما اتفق».

«هيو، أنت شخص يملؤه الشك، أنت...».

«مأجور. تماماً. أنا الكلب الجوال ليلاً».

«شرلوك، تابع كلامك».

«كراوفورد يتعقب الشهرة ككلاب الصيد، لكنه هذه المرة لم ينبح، ألا يحمل ذلك معنى؟... سيليا تحب أن تتحدث عن عملها. لكنها لم تنطق بكلمة هذه المرة. إذاً...».

«هل تعني أنهما يتكتمان أمر شيء ما؟...».

«أعتقد ذلك، وأنوي متابعة الأمر».

«وهل هناك سبب معين يدفعك لذلك؟...».

«كراوفورد هو مصدر محتمل للأنباء، فهو رجل أعمال، إضافة إلى أنه مقامر. الربح يلزمه في مجال الأعمال وفي أندية القمار حتى هذه اللحظة. إن جميع ما لدي من غرائز توحى لي بأنه مُقْبِلٌ على فورة نشاط، وبأن هذه الفورة لن تستمر طويلاً. أنا أريد أن أكون موجوداً عندما تبوء جهوده بالفشل».

«لكنه قد يتمكن من التغلب على المصاعب وتحقيق ما يريد، مهما كان «الشيء» الذي يريده».

«صحيح. وهذا أيضاً لن يقل روعة. فالرجل بحد ذاته يثير الاهتمام مهما فعل. هل تذكرين الفضيحة التي أثّرت بشأن عشيقته».

«هل سبق لك أن قابلتها؟...».

«نعم، لقد اجتمعتُ بها مع سيليا لتناول العشاء، إنّها سيدة لطيفة. إنها تدعمه وتشجعه وهو ما يحتاجه، شأنه شأن العديد من الرجال الذين يحملون في أعماق نفوسهم الكثير من مشاعر القلق. هل تعلمين أنه عاد لزيارة مدرسته القديمة؟...».

«قالت أنجيلا: «ما المانع؟... كثيرون يفعلون ذلك».

«يزورون مدرسة ثانوية حديثة؟... لقد أصبحتُ حالياً مدرسة عامة ذات تقاليد صارمة. أهدي المدرسة صالة رياضية أو شيئاً من هذا القبيل. كانت لفظة مؤثرة».

«لا يمكن لمعظم الناس أن يتوقعوا قيام كراوفورد بأمر كهذا».

«تماماً. إنها قصصٌ من النوع الذي قد يفتح أمامنا باب النجاح على مصراعيه، إذا تابعتها منذ بدايتها قبل أن يدس المأجورون الآخرون أنوفهم فيها. موجز عن حياته بعنوان: «شخصية رجل أعمال». تخيلي نفسك داخل ماكسويل هاوس أثناء انحدار كابتن بوب».

«هيو، لم أكن لأشك لحظة في أنك رجل ذو مزاج وقيم حياتية معينة. لكن كراوفورد ليس رجلاً من طراز ماكسويل. فهو لا يعدو أن يكون شخصية عامة قامت شهرتها على إعلانات قديمة عن ورشة إصلاحات منزلية».

«صحيح. ولكن كم عدد رجال الأعمال الذين يمثلون شخصية عامة؟... فهناك في العالم الواسع خارج عالم الأعمال، لا يميز الناس بين رجل الأعمال وغيره، لأن عالم الأعمال يعتبر جمعية سرية بالنسبة لمن هم خارجه. إذا أردنا تقديم قصة تتجاوز حدود صفحة الأعمال، فإننا بحاجة إلى شخصية قوية تكون عماد القصة. كراوفورد هو الرجل. الناس العاديون يعرفون وجهه ويعرفون صوته. تخيلي بيرنارد ماثيوز ضالماً في معركة للاستيلاء على شيء ما وهو في أوج شهرته. تخيلي العناوين التي ستتصدر الصحف: «هذا لا يليق ببارني». هذا ما سيكون عليه الوضع في حال كون الشخص هو كراوفورد».

«هذا يفترض وجود قصة تجري روايتها».

«حتى هذه اللحظة لا تزال مجموعة أيوت دون الحدود المتعارف عليها، والواقع أن مركز المدينة التجاري لا يعبأ كثيراً بالشركات التي لا يتجاوز حجم أعمالها التجارية هذا الحد، لكنه إذا سعى للاستيلاء على شركة أحدهم، حتى ولو كان أقل أهمية منه، فسوف يجد نفسه في موقع متقدم عن الآخرين وقد سلّطت عليه فوهات البنادق».

الاستيلاء

نظرت أنجيلا إلى ما تبقى من الماء في كأسها دون أن تشربه وقالت: «تمهل لحظة، هذا لا يعدو أن يكون مجرد تخمينات».

«أنجيلا، دعينا نطلق عليه حدساً غريزياً».

«هيو، دعنا نسمِّه هراء. ولكن من ناحية أخرى، يمكن أن نجعل منه قصة...». زمت شفيتها وهي تفكر «دعنا نجازف على ألا يشغل ذلك سوى جزء من وقتنا فقط. لنُعِدْ الآن مادة حول التدريب ضمن مجال الإعلام من أجل برنامج الشهر القادم. فرغم كل شيء، لا يمكن أن تكون واثقاً تماماً، حتى ولو كنت نسرأ».

علت وجهه هيو ابتسامة خبيثة، رفرف بذراعيه ونعق قائلاً: «أريد جيفة، أعطني جيفة».

قالت أنجيلا: «سأعطيك شهراً، والآن أعتقد أن عليك أن تدعوني قبل العودة إلى المنزل».



اليوم - ١٣

الثلاثاء ١٩ أكتوبر ١٥ :٥

ويموث، باترنوستر،

مركز لندن التجاري

«سنقضي وقتاً ممتعاً». قالها وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة كريهة.

«لا ريب بأن الغرور قد رَكِبَهُ لكنهم جميعاً على هذه الشاكلة، فقد قيل لهم في عهد تاتشر إن الشمس تشرق من مؤخراتهم وهم لا يزالون مقتنعين بذلك منذ ذلك الوقت. لكن، إذا أردت رأيي، فنحن على الأغلب لن نقضي وقتاً ممتعاً. سنواجه كثيراً من المنغصات وسوف نحصل في النهاية على أرباح زهيدة لا تُذكر».

كان أوين بويز يتحدث مع أحد زملائه من المدراء، كريس «تشيب» كارينتر. كانا جالسين في مكتب كارينتر وأمامهما على طاولة المكتب مسودة مذكرة العرض. نقر كارينتر بأصابعه على المقطع الأخير.

«لا أعتقد أنه يتمتع بكفاءة عالية. الأرباح السنوية لا بأس بها لكنها ليست مذهلة، أما في ما يتعلق بفكرة اقتحام مجال البناء، أي فكرة دمج آلياته مع شركات البناء لدى بايفيلد... ماذا يعني ذلك ضمن المنظور العالمي؟... بضع بنسات لا غير».

قال بويز: «يعني نقداً يمكن الركون إليه سنة بعد سنة».

«أوين، لا يمكن الركون إلى أي شيء، أعني على المدى الطويل. ماذا يريد؟... هل سألت نفسك هذا السؤال؟...».

الاستيلاء

«لقد أخبرني أنه يريد بايفيلد».

«لكنني أتساءل، ماذا يريد فعلاً؟... أنت تعرف طبيعته...».

«لا أعرفها قدر ما تعرفها سيليا هارت».

«ما رأيها؟...».

«رأيها أنه قد أصبح جاهزاً للانضمام إلى عصبة الكبار، وهو يرغب في أن يصبح له دور مؤثر».

«أوين، إذا كان الأمر كذلك، أخبرني بربك لماذا إذاً يعبث كل هذا العبث للاستيلاء على هذه الشركة التي لا تتمتع بأي وزن يذكر».

«الجواب المنطقي يجب أن يكون لأنه يعرف شيئاً نجهله، وهو أن شركة بايفيلد أجلاً أم عاجلاً لن تظل شركة لا تتمتع بأي وزن بل ستصبح شركة ذات شأن، وإذا تمكن هو من السيطرة عليها، فإنه سيصبح رجل أعمال ذا شأن».

«لا أظن أنه سيجرؤ على العبث بنظم الاستيلاء، هل تعتقد ذلك؟... لأنه في حال تسرب خبر كهذا، فسيكون الوضع أسوأ من وضع التصرف على أساس المعلومات السرية المتوفرة لديك».

نظر الرجلان إلى بعضهما. كان شبح قيام موظف في مصرف تجاري بشراء أسهم في شركة ينوي أحد زبائن المصرف الاستيلاء عليها بغية الحصول على أرباح، يشكل عاملاً مثبطاً للهمم لا يمكن تجاهله. فقد كان قسم منح الموافقة في المصرف جاهزاً على الدوام لضبط التعاملات اليومية وذلك للحيلولة دون قيام أي شخص، حتى ولو استسلم للإغراء، باختراق فعلي للأسوار الحصينة العديدة القائمة حول المواقع الحساسة. ورغم ذلك، كانت مثل هذه الأمور تحدث أحياناً—أدت فكرة التورط في فضيحة، حتى ولو كانت تتعلق بمعلومات مفيدة تؤثر في الأسعار لا بأسهم، أدت إلى إحساس الرجلين بالقشعريرة. ولم يكن السبب عائداً إلى أية مشاعر أخلاقية—بل لمجرد أنهما كانا يعرفان أن ذلك سيقضي على حياتهما المهنية.

«تشيب، لقد قطع أمامي عهداً. الأمر لا غبار عليه».

ولكن حيث يوجد المال، يوجد الجشع - وحيث يوجد الجشع، توجد الجريمة. ورغم أن مركز المدينة التجاري يبذل أقصى ما بوسعه لضبط التعاملات فيه، إلا أن أقصى ما بوسعه لم يكن على الدوام كافياً.

«أوين، هل تصدقه؟...».

«إنه رجل مستقيم. على الأقل، لم يسبق له أن قدم لي سبباً يدفعني لأن أظن العكس».

«أنت تصدقه لأنه لم يسبق له أن قدم لك سبباً يدعوك لأن لا تصدقه - لا يبدو ذلك دافعاً قوياً، ألا تعتقد ذلك؟... ولكن رغم ذلك عليك أن تثق بالناس، إلا إذا كان اسم الشخص غوميز وجاء إليك وهو يحمل كيساً مليئاً بالدولارات الأميركية وبعض المساحيق البيضاء».

«إنه مشروع صغير من النوع الذي لا نقوم به عادة - ما لم يكن أحد الزبائن القدامى معنياً به».

«وما لم يسأل الوزير لماذا لا تقوم المصارف بتقديم دعم أقوى لرجال الأعمال. على أية حال، أتمنى لك حظاً سعيداً. يجب أن يكون أعضاء مجلس الإدارة على اطلاع دائم بما يجري، وإذا لاحظت شيئاً ما على غير ما يرام... أنا أعرف بضع شركات يهملها النيل من كراوفورد. هذا إذا تدهورت الأمور. علينا أن نعد العدة، لعل شيئاً ما يحدث».

«لعل شيئاً ما يحدث. سأطلب من سيليا أن تراقب الأمور عن كثب من موقعها».

«أطلب منها ذلك... ما هي المشكلة بالضبط بينك وبين سيليا - أوين، ماذا فعلت بها؟...».

هز أوين كتفيه وقال: «أحمد الله على أن الحياة طويلة والذاكرة قصيرة».

obeikandi.com

اليوم - ١٢

الأربعاء ٢٠ أكتوبر ٢٠٠٠

القبو ، ٧٧ كيبل ستريت، فيكتوريا، لندن

يظهر على الشاشة منزل محاط بصف من المصاطب. خارج المنزل تقف سيارة فورد إسكورت تعود إلى العام ١٩٧٩. تتسدل على نوافذ المنزل ستائر من قماش الشبك. هناك صبي في حوالي العاشرة من العمر يمتطي دراجة. آلة التصوير ثابتة في موقعها حيث تبدو واجهة المنزل. اللون في الصورة حائل قليلاً مثل معظم الأفلام القديمة. بعد برهة من الصمت تتعالى من المنزل صرخة حادة، يعقبها صمت ثم صرخة أخرى، يُفتح الباب وتندفع منه سيدة تجرُّ خلفها طفلين. آلة التصوير لا تزال ثابتة في موقعها. تتعالى صرخة أخرى أكثر حدة من سابقتها. يُفتح الباب وتندفع منه قطة ثم كلب يعدوان إلى خارج المنزل يتبعهما، بعد فترة قصيرة، ببغاء أسترالية وخنزيران وأرنب. يدخل المشهد من الطرف الأيسر للشاشة شخص يرتدي بذلة من النوع الذي يرتديه العمال وقبعة صغيرة مسطحة ويحمل صندوق أدوات كبيراً كتب عليه بحروف كبيرة «بإمكاني إصلاح كل شيء». تتبعث صرخة أخرى من المنزل، يتوقف الشخص. تقترب آلة التصوير من وجهه في لقطة مكبرة. يهز رأسه ويقول: «يبدو أن هناك من هو بحاجة للمساعدة». ينتقل المشهد إلى جرس الباب حيث تبدو أصابعه وهي تضغط على الجرس وتتعالى نغمات صوت الجرس. ينقسم المشهد إلى عدة مشاهد ثابتة نرى فيها الرجل وهو يعيد النظام إلى المنزل خلال ثوان. أخيراً، نرى مشهداً ثابتاً تبدو فيه العائلة وحيواناتها الأليفة على باب المنزل يهمون بالدخول إليه. انتهى المشهد.

الاستيلاء

يظهر على الشاشة زوجان شابان في حمام منزلهما. هناك مأساة: فالجدران ترشح بالرطوبة. جزء من بلاطات الجدار مكسور والجزء الآخر مفقود، الخدوش تملأ الحمام، الطلاء يلطخ كل شيء، مقعد المرحاض في حالة يرثى لها، الصنابير تغطيها الندوب ويتسرب منها الماء، حتى الشمع الذي يكسو الأرضية يبدو مشققاً وقد برزت منه ألياف دقيقة. يهز الشاب رأسه، تمسح المرأة، التي أصبحت فيما بعد نجمة برنامج بوليسي، دمعة انهمرت على وجهها. تقول المرأة: «تيم، كان علينا أن نتجنب شراء هذا المكان. ماذا يسعنا أن نفعل الآن؟...». يقول: «لا شك أننا بحاجة لمن يساعدنا». يقرع الجرس في الطابق السفلي. ينقسم المشهد إلى عدة مشاهد ثابتة نرى فيها الحمام يستعيد تألقه بفضل جهود -لا شك بأنكم عرفتم من- الرجل الذي بإمكانه إصلاح كل شيء، وصندوق أدواته الكبير.

يظهر على الشاشة مبنى منارة تحت رحمة العواصف البحرية. ينتقل المشهد إلى داخل المبنى: المسؤول عن المنارة يحاول إصلاح مفصل الباب. تتدفق المياه إلى الداخل لأن فتحة المدخل لا تناسب الباب. تبدو خلف الدرج عائلة الجرذان وقد أعدت حقائبها وسترات النجاة من الفرق. يرمي الرجل بسخط أدواته التي يبدو واضحاً أنها لا تصلح لشيء وينضم إلى عائلة الجرذان وهي تهم بالرحيل. ولكن... مهلاً، تتعالى النغمات المألوفة وظهر الكابتن الذي يمكنه إصلاح كل شيء على الجسر وهو يحمل...

«ما هذا الذي تشاهده بحق السماء؟...».

قال هيو: «لقد عثر عليها صديق لي يعمل في وكالة الإعلانات، وهي تعتبر الآن من كلاسيكيات حملات الإعلانات، رغم أنها تبدو حالياً نوعاً من الفن السورالي. لم يكن هناك من يكثرث بالمادة التي تُقدَّم طالما أنها تضم النغمات المألوفة والرجل الذي يمكنه إصلاح كل شيء وهو يحمل أدواته».

تهالكت سيليا على الأريكة إلى جانبه وقالت: «كراوفورد. أنا لا أصدق. أعدّ عرض الفيلم».

أعاد هيو عرض الفيلم، نزع الكابتن الذي يمكنه إصلاح كل شيء الشريط العازل عن الأرضية، أعاد أكثر من مائتي أداة إلى الصندوق الكبير وركض باتجاه الخلف متسلقاً اللوح الخشبي الخاص بطاقم العدة، لبث في مكانه برهة، ثم بدأ ينحدر إلى الأسفل بسرعة تدير الرؤوس وإن خلت من الهيجان السابق. خفض هيو الصوت.

سألت سيليا: «كم كان يبلغ من العمر آنذاك؟...».

«هذا الفيلم يعود إلى عام ١٩٨٠، أعتقد أنه كان في الثلاثين أو في الثامنة والعشرين من عمره. وهذا ما يبدو عليه برأيي».

«من الصعب معرفة ذلك وعلى وجهه ذلك الشارب الأبيض».

«لكنه يبدو حليقاً في معظم الإعلانات الأخرى. كما أخبرتك سابقاً، أصبحت الإعلانات في نهاية الأمر تتسم بالغرابة والحماقة - لكنه ظل مع ذلك شخصية معروفة في كل أنحاء البلاد، هل تذكرين تلك النغمات اللعينة؟...».

عندما رفع هيو الصوت، تناهت إلى سمعه اللحظة الأصداء الخفيفة للنغمات التي أزعجت بريطانيا وأغضببتها وجلبت لها السرور لعدة سنوات في نهاية السبعينات وبداية الثمانينات، لدرجة أن كورس سانت وينيفرد أدرجها ضمن الأغنية التي أداها بمناسبة عيد الميلاد، تلك الأغنية الخالدة التي لقيت رواجاً كبيراً «ليس هناك من يشبه جدتي».

أنت سيليا بامتعاض وقالت: «أذكر، لقد كان من الصعب نسيانها. والآن هل بإمكاننا الالتفات إلى شؤون أخرى؟...».

أطفأ هيو جهاز العرض. وقال: «هل ترغبين في شرب شيء ما، شاي أو قهوة، هل ترغبين في الطعام؟... لدي بعض المعجنات الطازجة، هل ترغبين بالسلطة؟...».

«رائع. لماذا لا تقوم بإعداد الطعام بينما أقوم بإلقاء نظرة على هذه الأجزاء من أفلام كراوفورد التي تركتها بالصدفة متناثرة هنا وهناك... هيو؟...».

الاستيلاء

اعترف الآن، «ما قصة كراوفورد؟...».

«أنا أقوم بإعداد لمحة موجزة عن شخصيته، هذا كل شيء، من أجل البرنامج طبعاً. خطر لنا أن الفكرة قد تكون مناسبة».

«مناسبة لأي شيء؟...».

«إنه شخصية مثيرة للاهتمام. أعني أن الناس يهتمون بأخباره». جلس القرفصاء أمام إحدى الخزائن وسحب منها علبة من المعجنات الإيطالية. «هل لك أن تغلي بعض الماء؟...».

وضعت سيليا ماء في الغلاية وضغطت زر التشغيل. كان هيو يخرج لوازم السلطة من درج المجمدة: الجرجير والقرّة وأوراق السبانخ. يبدو أنها تميل مؤخراً لتناول الكثير من الطعام الإيطالي، كما يبدو أنها تجتمع كثيراً بكراوفورد وتسمع أخباره. «هل ترغبين ببعض البندورة في السلطة؟...».

«كلا، فالبندورة لا تؤكل في هذا الوقت من السنة. ما رأيك بالجرجير وجبن البارميسان؟...».

«رائع».

«وما رأيك بالتزام الصدق؟...».

«تقصدان في ما يخص كراوفورد؟...».

«نعم». كانت سيليا امرأة من النوع الذي يجيد الإيجاز في القول عندما تجد في نفسها الرغبة بذلك.

«أنا لم أحاول التطفل مطلقاً لكنني لا أستطيع أن أمنع أذني من السماع ويبدو...».

أمسكت سيليا بالغلاية التي بدأ يتصاعد منها البخار وحملتها إلى القدر حيث صبت الماء، ثم أعادت ملأها بالماء وضغطت زر التشغيل، وقالت: «استمر».

«هناك شيء ما يحدث. فقد عقدت مع كراوفورد اجتماعين على الأقل دون أن تروي لي قصة واحدة عنه. وفي الأسبوع الماضي قمت بالاتصال بأوين بويز لترتيب موعد لتناول الغداء في ريفير كافيه. هل لي أن أفترض أن الطرف الثالث الذي كان حاضراً في موعد الغداء والذي لم تأتِ على ذكر اسمه كان... جيم كراوفورد؟... وهل لي أن أفترض أيضاً -وأنا هنا أصر على أنني لا أطلب منك أن تخونني الثقة- أنه يفكر بالقيام بحركة ما تتعلق بالعمل؟... ما هي؟... قضية أسهم؟... هذا أمر لا يستدعي السرية. التقاعد؟... غير محتمل. تغيير مهنته؟... هذا أيضاً غير محتمل. الأرجح أن الأمر يتعلق بعملية دمج أو استيلاء، وإلا لسمعتُ منك شيئاً عن الموضوع». بدأ يقطع شرائح رقيقة من حافة قطعة جبن البارميسان فوق طبقة الجرجير.

رشفت سيليا من كأسها وقالت: «هذا ما تظنه، أليس كذلك؟...».

«أنا أظن أنه يستحق أن تُعدَّ عنه لمحة موجزة في أي وقت كان. إذا استعدنا تاريخ حياته العملية، على الأقل المرحلة المعروفة منها، أعتقد أنه لا يزال يحمل بعض الطموحات كما أنني أعتقد أنه كلما قمت بمجازفة، أو قمتُ أنا بمجازفة، زاد احتمال أن يحالفني الحظ».

«لن أؤكد أو أنفي شيئاً مما قلته - ولكن هل حاولت إلقاء نظرة على شركته أوت؟...».

«نعم، ناوليني الغلاية من فضلك».

ناولته الغلاية، وأضاف الماء الموجود فيها إلى القدر. «نصف مقدار آخر وأعتقد أننا سنكون جاهزين». ملأ الغلاية بالماء من الصنبور ثم أعادها إليها. «النتائج التجارية لا بأس بها، لكن إدارة الشركة ليست على ما يرام. لا يبدو لي أن مركز المدينة التجاري يعنيه ذلك بشكل خاص، العوائد جيدة رغم كل شيء، ولكن...أعتقد...».

«ماذا تعتقد؟...».

«أعتقد أن كراوفورد يحتاج إلى معركة ليحافظ على نشاطه وحدة ذهنه. عندما تهدأ الأمور فإنه يفقد اهتمامه. إنه لا يستطيع إدارة شركة على أسس يومية، وفي الوقت نفسه، لا يستطيع التزام الصمت والمشاركة في المسيرة. إنه أسوأ نوع من الأشخاص الذين يحاولون توجيهك وهم متكئون في أماكنهم. هذا رأيي الخاص. أنا أعرف أنك تميلين إلى ذلك الرجل».

«نعم أنا أميل إليه، لكنني لا أحاول تخمين ماذا يدور في ذهنه».

«وهل هذا ممكن؟...».

مدت يدها قائلة: «كلا. أنا مجرد مستشارة، محللة. جيم كراوفورد هو أشبه بقانون بالنسبة لنفسه. هيو، هل تمنع في أن نتوقف عن الحديث بهذا الشأن حالياً؟... في اللحظة التي يحدث فيها ما يمكن أن أقوله لك، سأخبرك فوراً. ولكن إلى أن تحين تلك اللحظة، تابع إعداد لمحتك الموجزة وأنا ...».



اليوم - ٥

لأربعاء ٢٧ أكتوبر ١١:٠٠

غرفة اجتماعات مجلس الإدارة، دار كراوفورد، إيستون رود، لندن.

في العادة، كان سكرتير الشركة ينسق مع المدير ومع المسؤول التنفيذي الرئيس كي تسير اجتماعات مجلس الإدارة بأقصى ما يمكن من السلاسة والفعالية. فكر مارك تشيما ملياً، لم يكن ذلك هو الأسلوب الذي يميل إليه كراوفورد، بل كان يفضل أن يسود الأجواء بعض الانفعال، وهو ما يترك مدراءه «لا شك بأنه كان يعتقد بأنه يمتلكهم» عاجزين في وجه الحركات المسرحية التي تبهر الأنفاس والتي كانت تبعث في نفسه السرور.

كان مارك قد تدبّر أمر تبادل بضع كلمات مع دايان ايلروي قبل الاجتماع، لكن أياً منهما لم يكن قد تمكن من اكتشاف شيء بخصوص ما يبيته المسؤول التنفيذي. كان السؤال، على أية حال، قد اتخذ الآن طابعاً نظرياً بما أن الأرنب سرعان ما سيخرج من القبة.

كانت غرفة اجتماعات مجلس الإدارة في دار كراوفورد، إذا توخينا لطف التعبير، خالية من أي شيء فائض عن الحاجة. جداران أبيضان، تشغل كلاً منهما لوحة تجريدية كبيرة من اختيار المصمم، نظراً لأن ذوق كراوفورد في الفن لم يكن ليتعدى الحدود التي تفقد بعدها الهيئة البشرية شكلها الطبيعي. الجداران الآخران عبارة عن نافذتين، كان زجاج النافذتين صافياً لدرجة تثير الدهشة، وكانت النافذتان تطلان على إيستون رود. كان بالإمكان إعتام النافذتين حسب الرغبة، وكان كراوفورد كان يتمتع بالقدرة على التحكم بضياء الشمس. كان الزجاج، في

هذا اليوم بالذات، صافياً مما سمح بدخول ضوء يميل لونه للرمادي بدا وكأنه يتلوى ببلادة تحت السحب المنخفضة دون أن يحمل معه شيئاً من نور الشمس. وكانت حركة المرور في الشوارع المزدحمة، التي تطل عليها النافذتان، تدب ببطء وتضيف إلى المزيج الدخان المنبعث من عوادم السيارات. كان في أحد أطراف الغرفة خوان من الخشب الفاتح يضم أواني صنع الشاي والقهوة، أما طاولة الاجتماعات فكانت عبارة عن لوح بسيط من مادة ذات لون اسود -كان كراوفورد يشعر أنها تشترك مع الصرح الحجري في فيلم كوبريك: ٢٠٠١ في خاصية امتصاص الضوء- وضعت عليها الأوراق وأقلام الرصاص في أمكنة جلوس المدراء كما اصطفت الأباريق والكؤوس الزجاجية على طول مركز الطاولة.

«هل أنت مستغرق في الأحلام؟...».

مسّت دايان إيلروي كتفه لدى مرورها به وابتسمت له بينما كانت ترتب كومة الأوراق أمامها. بادلها الابتسام وغمره إحساس برغبة عارمة تبعها على الفور شعور بالذنب. فكر في نفسه، إنه ذلك الفعل الأزلي الرائع ذو الطبيعة المزدوجة: الرغبة والذنب. يدفعانك للضحك ويدفعانك للبكاء. يدفعانك للتفكير بتجريد مديرة شؤون التطوير من ثيابها وتأمّل كل جزء من جسمها بدّل أداء العمل المترتب عليك - اندفع الدم إلى وجهه، لكنه نجح بعد جهد جهيد في تحويل أفكاره ليعود ويركز انتباهه على العمل الموجود أمامه على الطاولة.

كان بيتر ألبوري، المدير، بأناقته الكاملة المعهودة يرتدي بذلة رمادية غامقة ويترأس الطاولة ويتبادل الحديث مع نورمان براون، أحد المدراء غير التنفيذيين، وهو تاجر مصرفي من الرعيل القديم، كانت مهمته المفترضة هي العمل كعنصر ارتباط مع مؤسسات مركز المدينة التجاري التي كان يعرفها حق المعرفة، رغم أن هذه المعرفة كانت حالياً تقتصر على مستوى عالٍ يضم النخبة. والواقع أن كراوفورد، بصفته المسؤول التنفيذي الرئيس، كان ضليعاً بشؤون متاهة سكوير مايل لدرجة لا

تقل عن براون، وكان مارك كثيراً ما يتساءل لماذا يحتفظون ببراون ضمن أعضاء مجلس الإدارة وما هو العمل الذي يؤديه لقاء ما يتلقاه من أجر. كان كل ذلك يشكل جزءاً من اللغز الغامض الذي يحيط بالعلاقة القائمة بين بيتر ألبروري، بصفته المدير، وبين كراوفورد، بصفته المسؤول التنفيذي الرئيس. لقد انقلب الترتيب الطبيعي للأمور رأساً على عقب. لا شك بأن المسؤول التنفيذي الرئيس في أية شركة كانت، ينبغي ألا يكون شديد الخجل والتواضع، لأن نشاطه وحاجته للنجاح هما ما يؤمنان الأرباح للمجموعة - ولكن، وهنا نشدد على كلمة ولكن، على المدير أن يكون متواجداً على الدوام كمرجع نلجأ إليه في خاتمة المطاف، كآلية لا تعرف الإخفاق بإمكانها، إذا حدث أن أصبح المسؤول التنفيذي الرئيس ميالاً للنقد، تشغيل العمليات المتتالية المؤدية لتعليق العمل، باختصار، إذا لم يعد بالإمكان كبح جماح المسؤول التنفيذي الرئيس، فقد يجد المدير أن عليه صرفه من العمل لأن تلك، في نهاية الأمر، هي تعليماته الأساسية. لكن أي شخص يعرف بيتر ألبروري، ذلك الرجل الطيب لا بد أن تخامرته شكوك كبيرة بشأن ما إذا كان قادراً على أن يجد داخل نفسه الفولاذ الذي يمكن أن يتحول، بعد صَهْره داخل أتون إدارة الشركة، إلى نصلٍ بإمكانه طعن كراوفورد في الخلف، أو من الأمام أو في أي جزء آخر من جسده.

إن العلاقة بين المدير وبين المسؤول التنفيذي الرئيس ينبغي لها أن تكون ديناميكية، وأن تتحول من الشك المتبادل إلى الثقة. لكن رأي دايان إيلروي هو أنه ضمن أعضاء مجلس الإدارة في الشركة، كانت العلاقة قد تحولت، بعد مرورها بهزيمة ماحقة، من الشك المتبادل إلى عبودية ذليلة. كانت تعترف أحياناً، في لحظات أكثر صفاء، أن ذلك قد يكون رأياً متطرفاً إلى حد ما - ولكن إلى حد ما فقط. إذا كانت العلاقات هي العامل الحاسم في نجاح الشركات، توجب أن تكون أيوت شركة فاشلة. لكن حقيقة كونها غير فاشلة كانت تشي بالكثير عن كراوفورد وعن الأسلوب الذي يتدبر به بقية أعضاء مجلس الإدارة شؤون الشركة. أما ما يمكن أن يقال بشأن المستقبل فكان -مثل كثير مما ينتظرنا جميعاً- لا يزال في علم الغيب.

الاستيلاء

كان جيف كوتس، المدير المالي، وهو محاسب التحق بالشركة قبل بضع سنوات، يتلهى وهو شارد الذهن بالرسم على الأوراق الموجودة أمامه. كان يرسم وجوهاً صغيرة بشكل زهرات عباد الشمس. كان بطبيعته رجلاً لا يهتم سوى بالأمر المالية ونادراً ما قدّم أية آراء خارج نطاق دائرة المحاسبة. أما مدير قسم المبيعات والتسويق، فيليب غودمان، أصغر أعضاء المجلس سناً، فكان شاباً في مستهل الثلاثينات من العمر يتقدّم طموحاً، الأمر الذي كان يصب في صالح أيوت. كما أنه كان العضو الوحيد في المجلس، باستثناء دايان إيلروي، الذي يتمتع باستمرار بالجسارة الكافية للتصويت ضد كراوفورد. كان مارك يعتقد أن المدير يميل لأن يرى في نفسه رجلاً يشجع هذا النوع من الإدارة التي تؤيد النشاط والفاعلية، وإذا حدث وتابع نجم غودمان صعوده وشغل مراكز أفضل وأكثر أهمية خلال مدة وجيزة فلن يشكل ذلك مفاجأة لأحد. كما كان هناك كولن بوروز، مدير المصادر البشرية الذي كان مسكوناً بفكرة خفض عدد العاملين في الشركة، وكان رأي مارك أنه لن يتوانى، لو سنحت الفرصة، عن صرف ثلث العاملين في أيوت دونما اعتبار للكفاءة والفعالية.

دخل اثنان من المدراء غير التنفيذيين سوية -كانا يشكلان حالة من التناقضات تستدعي الدراسة. كان بيير كوستو يمثل الرجل الفرنسي أفضل تمثيل - حاضر البديهة، مهذب، أنيق اللباس، حاد الذهن. أما كافين كلوني فكان أقرب لأن يكون صورة ساخرة عن الرجل الأكاديمي، بذلة عتيقة الطراز وسترة صوفية يبدو كأن أحداً قد تخلّص منها منذ سنوات بأن أعطاه إياها. كانت المفارقة الكامنة في ذلك الوضع هي أنه بينما كان بيير يبدو كأنه يمثل دوراً، كانت حقيقة كافين كلوني فعلاً هي كما يبدو من مظهره. فقد كان رجلاً يهتم بالعموميات، وكان قادراً على تجاوز التفاصيل ورؤية الأهداف الاستراتيجية بعيدة المدى التي قد تغيب عن بال المدراء، المحصورين ضمن إطار الإدارة اليومية للشركة. كما أنه كان قادراً، دون أن يثير استياء أحد، على إظهار الثغرات الموجودة في الحجج التي يسوقها زملاؤه من أعضاء مجلس الإدارة - وكان أسلوبه الحرّفي الذي يحمل طابع اعتذار خفيف خير

معين له في هذا المجال. كان مارك يعرف أن كلوني يعمل في عدد من مجالس الإدارة الأخرى وأنه كان يتمتع بتقدير بالغ نظراً لما يتمتع به من معارف عملية ونظرية. فقد بدأ عمله كأكاديمي، وانتقل إلى مجال الأعمال حيث أحرز نجاحاً باهراً والآن، وبعد فترة قضاها في أوروبا، كرس نفسه خلالها للعمل هناك، عاد ليقوم بالتدريس بدوام جزئي. خلال حياته العملية التي لم يعمل فيها ضمن مجال الإدارة التنفيذية، انسحب مرتين من عضوية مجالس الإدارة، وفي كلتا المناسبتين، ثبت أن انسحابه كان عملاً بعيد النظر. من ناحية أخرى، كان، شأنه شأن أستاذ فلسفة زن، نادراً ما يتقدم برأي، لكن آراءه كانت، بالنسبة لمن هم أدنى منه مكانة فكرية، تستعصي على الإفهام، شأنها شأن ولائه المطلق.

«صباح الخير». كان توقيت دخول كراوفورد مدروساً بالثانية، سار بمحاذاة الطاولة، وهو يومئ محيياً، باتجاه المقعد الخالي إلى جانب ألبوري. نظر إلى مارك وأوماً له بالتحية، ثم وضع على الطاولة أمامه مصنفاً رقيقاً من الجلد الأسود. «الجميع هنا - هل تناولتم القهوة؟...». تعالت غمغمة توحى بالإيجاب.

قال مارك في سره: «أو الشاي، إن شئت. يا للتوقيات الدقيق. من الناحية الفعلية كراوفورد لا يملك هذه الشركة لكنه يديرها وكأنه يملكها».

قال بيتر ألبوري: «جيم، نحن جميعاً جاهزون. أعتقد أن أعضاء مجلس الإدارة يودون معرفة السبب الذي دعا.... دعانا لنطلب عقد الاجتماع». برغم كل ما يتمتع به من منطق سليم وتهذيب، لم يكن ألبوري شخصاً هادئ الأعصاب، فقد كان مبدأ التوقيت أو إطلاق دعاية أو قول أي شيء لمجرد قوله فحسب، شيئاً غريباً تماماً بالنسبة له.

ابتسم كراوفورد وقال: «بالطبع سيدي المدير».

«على الرغم من كل شيء، الوقت له ثمن». كان ألبوري هو الوحيد - من بين الأشخاص الذين يعرفهم مارك - الذي يتمتع بالقدره على إيراد قول متداول مؤثّر وكأنه يعني ما يقول. كما أنه كان عاجزاً عن التظاهر بأنه يجهل الموضوع الذي كان

المسؤول التنفيذي الرئيس بصدد كشفه. تساءل مارك في سرّه من هم الأشخاص الآخرون الذين تم إشراكهم في السر، ولماذا لم يتم إعلام دايان، ومن غيره يجهل السر، وماذا يمكن أن يعني ذلك بالنسبة لمشاعر الولاء في المستقبل. كان مارك يشعر أحياناً وكأنه يشهد محاكمة تعود إلى عصر النهضة.

أجال كراوفورد البصر حوله، ناظراً في أعين الحضور ليستعيد انتباههم - رغم أنه لم يكن بحاجة لذلك. فهل كان بإمكان الحاضرين أن يتوجهوا بأنظارهم إلى مكان آخر؟...

«سوف تقوم أيوت بالاستيلاء على مجموعة شركات بايفيلد. طبعاً إذا قرر مجلس الإدارة تأييد رأيي بهذا الشأن». توقف عن الكلام برهة، وكأنه كان يترك مجالاً لسرب من الخزائير الطائفة لتمر قرب النوافذ.

فكر مارك، إذا قرر مجلس الإدارة تأييد رأيي بهذا الشأن؟...

«سيجري طرح العرض للمناقشة يوم الاثنين الأول من نوفمبر. أعتقد أنكم، بمجرد مراجعة الأرقام، ستوافقونني على أن هذه لن تكون فقط خطوة في الاتجاه الصحيح، بل على أن أيوت تضم الأشخاص المؤهلين والكفاءات اللازمة لإنجاح هذه الخطوة. هذا قرار إستراتيجي - تأكدوا من أن الأفكار التي أدت لاتخاذ القرار هي أفكار صائبة وحكيمة وأن تنفيذه سيكون ناجحاً بكل ما فيه من تفاصيل. لم يسبق أن كانت أيوت شركة مستكينة لتحكم البيروقراطية - لدينا الإدارة ولدينا المهارة وسنكون جاهزين في اللحظة الحاسمة للانتصار».

ساد الصمت برهة. ثم ساد الصمت لبرهة أطول. لكن الصمت كان يخفي ضجيج الأدمغة التي كانت تفكر بشكل محموم في محاولة لفهم عبارات المسؤول التنفيذي. استند ألبوري إلى ظهر مقعده وقد كسا وجهه تعبير يقول: لقد كنتُ على علم بالأمر. نقل مارك نظره بسرعة بين الأشخاص الجالسين إلى الطاولة ولاحظ أن عدداً من الوجوه الأخرى كانت تشي بالتواطؤ. أما بقية أعضاء المجلس، أي أولئك الذين كانوا خارج نطاق الدائرة المسحورة، فقد كانوا مشغولين بمحاولة اللحاق بما

يجري. خطرت له أسئلة عديدة ودَّ لو يطرحها مباشرة لكنه لم يكن، كونه سكرتير الشركة، يملك الحق في طرحها. كتب في دفتر محاضر الاجتماعات: افتتح المسؤول التنفيذي الرئيس الاجتماع بعبارة: الاستيلاء على بايفيلد.

قال بيتر البوري، وكأنما ليعجل ببدء النقاش: «للانتصار على جون باركر».

انحنى فيل غودمان إلى الأمام على الطرف الآخر للطاولة وقال: «أجهزة إلكترونية متوسطة. هناك أيضاً بعض الأشياء الأخرى، ولكن... برأيي أن الواجب أن... علينا أن». ثم استدار ليوواجه كراوفورد قائلاً: «ما هو مدى الشوط الذي قطعته هذه المسألة حتى الآن؟...».

«يجب أن يكون العرض جاهزاً في الأول من نوفمبر. ولا شك أن هذا يعتمد عليك. تم وضع الإستراتيجية، ونحن نتمتع بدعم المصارف وبدعم الشركات التابعة لنا، أو يمكن القول: إننا سنحصل على هذا الدعم عند الضرورة، إذاً هناك منظومة كاملة تشد من أزرنا وسوف تقوم بالعمل لصالحنا إذا واجهتنا أية مشاكل. وهو ما لن يحصل، أنا لا أريد أن تشعروا بأنه قد تم إقصاؤكم عن الأمر، ولكن كان هناك... أعني هناك الآن ضرورة توخي الحذر حتى هذه اللحظة، أنتم تعرفون دون شك أن هناك كثيراً من الثرثارين في مركز المدينة التجاري».

تنحى غودمان وقال: «الحذر من أعضاء مجلس إدارة شركتكم؟... ما أعنيه هو أنه إذا كان هذا رأيكم بنا، فالأجدي ألا نكون في هذه الغرفة على الإطلاق». كان من الواضح أنه يشعر بالغضب وأنه لا يبالي في أن يعلم الجميع بذلك. «أنت تعرف طبعاً أن هذا شأن يعنيننا».

«فيليب، أنا أعرف، وأنا أقدر شعورك بالتبرم». حانت لحظة إبراز كراوفورد المتواضع الذي يعتبر نفسه فرداً كباقي الأفراد. «ولكن صدقني أن الأمر يتضمن عوامل أعددك بأن تطَّلِع عليها بمجرد أن... بمجرد أن يصبح بإمكانني ذلك. وأنا أعرف أنك، بشكل خاص، لا ترغب في أن تشعر بأنك تحتجز أفكاراً جديدة، أليس كذلك؟...».

أوماً غودمان برأسه، لم يسكن غضبه لكنه أوقف الهجوم مؤقتاً، كان يرى في نفسه مبدعاً ولم يكن بإمكانه الاعتراف، وهو بكامل وعيه أو غروره ربما، بوجود نزعة طبيعية محافظة لديه. نظر كراوفورد إلى يساره حيث كان يجلس جيف كوتس الذي كان يفترض به، بصفته المدير المالي، أن يعبر عن أول رد فعل.

«جيف؟...».

«لقد سبق لنا مناقشة فكرة التطوير. دايان، أليس كذلك؟...».

قالت إيلروي: «هذا صحيح جيف. كنت وإياك نفكر، تحديداً، في التوسع إلى خارج حدود الاتحاد الأوروبي. لدينا أسواق أجنبية ولكن ليس لدينا قاعدة صناعية أجنبية، وأعتقد أن كلانا كان يرى ضرورة ذلك».

قاطعها كراوفورد: «دايان، أدرك ذلك، وبرأيي أنك ستجدين أن بايفيلد قد تساعدنا في هذا المجال. فالتناس غالباً ما يتحدثون عن حجم الصفقة لا عن مدى تعقيدها - عما يمكن أن تحققه لنا...».

قال غودمان: «ولكن على قدر معرفتي بالأمر، ليست لديهم أية علاقات ما وراء البحار».

أجاب كراوفورد: «قدر معرفتك الحالية بالأمر، تابع جيف...».

«إذا كنا نسعى للتوسع، ألا يتوجب أن نبدأ باستعراض البدائل؟... التطوير الداخلي، مثلاً. أليس البناء أفضل من الشراء؟...».

قال كراوفورد: «في حالات معينة، نعم. ولكن ليس دائماً. فالتطوير الداخلي لا يبدو مثيراً بالنسبة لمركز المدينة التجاري، لكن عمليات الاستيلاء لا تزال تبدو مثيرة؛ قد يبدو الأمر أشبه بحقنة مخدرة، لكنه قد يكون فعالاً ويمكن تحويله إلى شيء حقيقي».

«علينا على الأقل أن ندرس الإمكانيات؛ أليس هناك احتمال أن تذهب الموارد، التي يتعين استخدامها ضمن المجموعة، لتمويل عملية الاستيلاء؟... جيم، الناس هم الناس، إنهم مورد حيوي...». رمق بوروز بنظرة خاطفة - كان الاثنان على طرفي

نقيض في ما يخص العاملين في الشركة «وإذا شعر المدراء بأننا، عند مستوى مجلس الإدارة، مهتمون بالاستيلاء على أعمال أخرى أكثر من اهتمامنا بإدارة أعمالنا الحالية، فقد نشهد تراجعاً كبيراً في الروح المعنوية».

وقبل أن يتمكن كراوفورد من الرد، تدخل بوروز في الحديث قائلاً: «جيف، أنا أخالفك الرأي تماماً. أعتقد أن الأشخاص القابلين للتطور والقادرين على إدارة الشركة، الذين نرغب بهم والذين نحتاجهم، لا بد أن يتجاوبوا بصورة إيجابية للتحدي الكامن في عملية استيلاء».

قال كوتس: «قد يكون ذلك صحيحاً، لكنني لست واثقاً. وماذا عن ضم أشخاص جدد؟...».

قال بوروز: «هذا يعطينا مجالاً كبيراً للاختيار. نأخذ أفضل الموجود ونتخلص من الباقي».

رفع غودمان يده بضع بوصات فوق الطاولة ولمح مارك البريق الكابي للقطعة الذهبية النفيسة حول معصمه.

«يمكن لنا، من وجهة نظر المبيعات، أن نضع نصب أعيننا قاعدة أكبر من الزبائن، تقنيات جديدة... ثقة بالنفس. معاهد تدريس الأعمال تنظم دورات بهذا الخصوص - يمكن لنا أن ننجح وأن تكون ضربة موفقة. هناك بالطبع احتمال أن نصاب بالرشح أو بما هو أسوأ».

«أعتقد بأنك ستجد أن التقويم الأولي للشركة - وأعني هنا شركة بايفيلد - يكون صحيحاً في العادة. لن تكون هناك أية مفاجآت مزعجة».

أضاف نورمان براون أحد المدراء غير التنفيذيين: «كما أن طاقة الإنتاج ستزداد مباشرة دونما جهد يذكر».

قال كوتس: «هذا صحيح وواضح بالنسبة لنا ولكن... على المدراء الموجودين في الشركة أن يتكفلوا بأمر التعامل مع هذا الدفق الجديد. هل هم مستعدون لصرف بعض العاملين - أو لإدماج بعض العناصر الجديدة ضمن الأفكار السائدة في

الشركة؟...». همّ بوروز بالإجابة لكن كوتس تابع كلامه دون توقف: «جيم، لقد قلتَ الحصول على الشركة بينما قال كولن الاستيلاء على الشركة. أعني هل هذا ما تقصده... هل خطر ببالك، مثلاً، القيام بمشروع مشترك مع بايفيلد أو تحقيق اندماج من نوع ما، أو التوصل إلى اتفاق يتعلق بالتراخيص؟... أو القيام باستثمار بسيط على سبيل المثال؟...».

«جيف، لقد خطر ببالي ذلك، درست جميع الاحتمالات مع مستشاريَّ وخلصنا إلى أن وضع جميع البيض في سلة إستراتيجية واحدة سيعرضنا للأخطار في حال الخسارة. هذا لن يحدث. فالإستراتيجية الصحيحة والأشخاص المناسبون، مثلك ومثل مساعديك، سيؤمنون فرصة النجاح».

قالت دايان بلهجة تهكمية واضحة: «جيم، كنت أظن أننا مستشاروك؟...».

ابتسم الجميع، ولم يستطع كراوفورد إخفاء بسمة ارتسمت على وجهه، أجابها قائلاً: «دايان، أنتم مستشاريَّ بالطبع. وأنا أدرك أنكم تعرفونني جيداً. وأدرك أنكم تعرفون أن أسلوبنا في الإدارة...»، كان يقصد أسلوبه في الإدارة، «قد زاد من أرباح الشركة عاماً بعد عام لأكثر من عقد من الزمان. وأدرك أيضاً أنكم تعرفون أن أسلوبه، أو أسلوب أيوت، ليس الزحف كالحلزونات عندما يكون بإمكاننا... التحليق كالطيور وكسر الحلزونات التي يمكن الإفادة منها والتهامها. كما وأدرك أن الاختلاف غالباً ما يكون بشيراً بالاتفاق». أجال بصره في أعضاء مجلس الإدارة وقد علت وجهه ابتسامة عريضة، ثم أضاف: «فهو يُظهر أنكم مهتمون بالأمر، والاهتمام يوفر لنا الزخم اللازم للانطلاق. نحن بحاجة للحفاظ على هذا الزخم وإلا انقلبت الدراجة».

رفع بيير كوستو أحد حاجبيه - كان مارك يطلق على هذه الحركة أسلوب الدكتور سبوك - وغغم قائلاً: «دراجات، حلزونات، جيم، إلى أين سيقودنا ذلك؟...».

إلى مزيد من الأرباح وإلى المزيد من إثبات الوجود أمام الجميع».

قالت دايان: «تعني إلى المزيد من الشهرة؟... هل ستؤدي هذه الخطوة إلى حصولنا على شهرة أوسع؟...».

«نعم».

قال غودمان: «هذا يعني أن بايفيلد سوف تلجأ لمقاومتنا، ألا يُعتبر ذلك عملاً عدائياً؟...».

قال كراوفورد مؤكداً: «نعم، إنه عمل عدائي». لقد حاولت اللجوء إلى الأسلوب الودي، لكن أعضاء مجلس الإدارة كانوا واضحين في التعبير عن رفضهم لأي نوع من الاندماج وفوق ذلك، يطلب مستشاروهم سعراً أعلى مما تستحقه الشركة، بكل صراحة. إن أعضاء مجلس الإدارة في بايفيلد يفتقرون للديناميكية وللطموح».

قال جيف كوتس: «وهم لا يأكلون الحلزون. لماذا إذاً نقوم... عفواً جيم، لماذا إذاً نقوم بهذه الخطوة؟...».

«لأن المجموعة بحد ذاتها في وضع جيد وهي قابلة للنمو وتتمتع بإمكانات رائعة داخل الأسواق التي نرغب في أن نتواجد فيها. ولأنني وغد جشع». ولم تفلح الضحكة التي أطلقها في التخفيف من وطأة هذا التعبير. فكَرَّ مارك، الأنانية ليست القيادة - إنها مجرد... أنانية.

قال كوستو متسائلاً: «هل أظهرت الدراسة المتأنية... كل تلك الأمور؟...».

أكد ذلك ظنون مارك بأن كوستو إنما كان يستجيب لإشارات محدّدة يطلقها كراوفورد.

قال كراوفورد: «نتائج الدراسة تثير الإعجاب، كما سترون لدى مراجعة الوثائق التي قمنا بإعدادها من أجلكم. فيل، سوف تثير اهتمامك القائمة التي أعدناها كعيّنة، وهي تضم أسماء الزبائن وعناوينهم وأرقام هواتفهم. عليك أن تدرس القائمة بدقة وحذر، لكنني أعتقد أنك ستتفق معي في النتائج التي توصلت إليها بشأن الإمكانات المحتملة. أما أنت يا جيف، فلا شك بأنك سترحب بالتعرف إلى الإدارة والتنظيم وأعتقد أنك ستجد هناك مجالاً... للتعبير عن مواهبك».

تنحني كافين كلوني وتصنع السعال ثم قال: «إذا سمحت لي.... جيم، هل تقول دراسة متأنية؟... أعتقد أن دراسة من هذا النوع هي أشبه بإجراء تدقيق رسمي لحسابات الشركة. أعني تدقيقاً يجري ضمن الشركة». كان يتكلم بهدوء بحيث اضطر جميع الأعضاء لتركيز انتباههم حتى لا يفوتهم شيء مما يقوله. «نحن نميل لاعتبار مثل هذه الأشياء أموراً مالية، كما أننا نميل لاعتبار الأمور المالية كل شيء وهي القول الفصل، أليس كذلك؟... نحن ننسى أحياناً أن الدراسة المتأنية يجب أن تأخذ باعتبارها الأفكار السائدة في الشركة أيضاً. أي، بعبارة أخرى، الجو السائد. نبرة صوت الشركة التي نرغب بالاستيلاء عليها. أنا أقول هذا لا لشيء سوى لنكون واعين لحظة يحين الوقت. إن... قضاء ليلة واحدة لا يكفي لإنجاح زواج». ابتسم واستند إلى ظهر مقعده.

انحنى كراوفورد إلى الأمام باتجاه الطاولة وقال: «كافين، المؤسسة لا ينقصها الرسوخ. إذا كان الوضع على هذا النحو فلا شك أن العاملين...».

«جيم، عفواً للمقاطعة، لكن هناك شيئاً ما ضمن تركيبة المؤسسات يجعلها غير راسخة. الأشخاص راسخون بطبيعتهم. انظر إلى محاولات ماوتسي تونغ في إحداث ثورة ثقافية في الصين».

ران الصمت في الغرفة بينما كان أعضاء مجلس الإدارة يحاولون فهم أبعاد تلك النقلة الثقافية المفاجئة التي بدا كلوني وكأنه يعتقد بأنها واضحة للجميع.

استغلت دايان إلروي الفرصة لطرح سؤال: «جيم، ماذا عن خططهم بشأن توريث المناصب. كيف ترى الأمر؟...».

فكر مارك، إنه لسؤال ذكي لأن كراوفورد لم يكن قد فكر بوضع خطة لتوريث المناصب ضمن الشركة.

«دايان، لا زال الوقت مبكراً لمعرفة ذلك، ولكن تأكدي من أننا ندرك أهمية ذلك تماماً».

سأله كولين بوروز: «هل نحن جاهزون للعمل فوراً عندما تحين اللحظة الحاسمة لتنفيذ الإستراتيجية؟...».

«كولين، نحن جاهزون. سوف نتفق بشأن الهدف الذي نود تحقيقه على المدى الطويل، وفي اللحظة التي نضع فيها أقدامنا داخل الشركة، سنسعى لتحقيق الهدف».

«بما في ذلك خفض عدد العاملين؟...».

«بما في ذلك أي شيء يخطر ببالنا، أي شيء يرى مجلس الإدارة الجديد ضرورة تحقيقه».

«هل أنت واثق من أنك... من أننا نستطيع إحداث التغيير والإبقاء عليه بحيث نتمكن من تحقيق أهدافنا الإستراتيجية؟...».

«أكرر مرة أخرى، أعتقد أن لدينا، الآن هنا، الفريق القادر على القيام بذلك. وهذا ما يجعلنا ندفع لكم مرتبات عالية». صمت برهة كي يسمح لهم بإطلاق ضحكة لا مفر من إطلاقها، ثم تابع: «أنتم أشخاص بارعون، ابقوا كذلك طوال الفترة المطلوبة. الموظفون المناسبون والإستراتيجية المناسبة».

عاد كلوني للكلام: «ليس هناك ما يدعى بالإستراتيجية المناسبة. وكما أشار كارل بوبر في مؤلفه حول الأسلوب العلمي: هناك فقط أفضل أسلوب أو أفضل إستراتيجية متوفرة لدينا في هذه اللحظة. سوف يأتي ما هو أفضل. هذا هو سبب وجود نظرية النسبية، نظرية التطور. هناك إستراتيجيات عديدة مثلما هناك لغات عديدة. أعتقد أنه لا حاجة بي لأن أذكرك بكتاب ويتجينشتاين: تحقيق فلسفي».

سارع كراوفورد للكلام قائلاً. «لا حاجة بالطبع. إنه الكتاب الذي نقرؤه جميعاً قبل النوم». انطلقت ضحكة مصطنعة. أدرك مارك أن كراوفورد كان يدرك أن كلام كافين كلوني يمتاز بسلامة المنطق لكنه كان مصمماً، ولسبب ما، على الحيلولة بينه وبين المضي في الكلام.

استمر النقاش لفترة واستمر مارك في تسجيل ملاحظات كراوفورد وهو يتوجه إلى كل شخص في الغرفة ليعرض عليه ما يناسب ميوله، كان أداءً بارعاً ينم عن ثقة فائقة بالنفس، لكن مارك لا حظ أن ذلك الأداء لم يؤثر كثيراً في دايان أو في بيتر ألبوري - ويمكن أيضاً ألا يكون قد أثر في فيل غودمان. كان كلوني كعادته، سادراً في الحكم والأقوال المأثورة. أما باقي الأعضاء فكانوا يشعرون إما بالقلق - كان يشغل بالهم التفكير بمستقبلهم ضمن ذلك الكيان الموسّع الكبير - أو بإحساس لا يخفى بالترقب إزاء الاحتمالات التي يحملها الحدث. لكنهم جميعاً كانوا، دون أي شك، يفكرون بالقصص التي سيروونها بعد رفع الحظر عن الحديث بشأن العرض، سوف يستمتعون بالإثارة دون أن يخشوا المخاطرة. فليتحمل كراوفورد عبء المخاطرة - رغم أنه كان يتوجب عليهم أن يتساءلوا لمن يعود المال الذي يقوم المسؤول التنفيذي الرئيس بالمخاطرة به في هذه اللعبة.

انتهى كراوفورد من عملية تهدئة مخاوف محامي الشركة وساد الصمت، أجال البصر حول الطاولة بانتظار أية ملاحظات أخرى. قال أخيراً: «إذاً، أود منكم جميعاً الآن دراسة الموضوع للتعرف إليه، وإذا ساورتكم أية مخاوف أخرى، لا تترددوا في مقابليتي. في حال عدم وجود مثل هذه المخاوف، أعتقد أن باستطاعتي أن أعيدَ أيوت، وأن أعيدكم جميعاً، بأن هناك لحظات مثيرة تنتظرنا عندما نقوم ببناء صرح نجاحنا لنؤسس لمستقبل أكثر نجاحاً. أريد أن يعود أعضاء مجلس الإدارة للاجتماع بعد ظهر اليوم للتصويت».

وقف، وظل واقفاً ينتظر... وهي حركة تتم عن دهاء تضمّن له أن يغادر الجميع الغرفة قبله كي يقفوا في مجموعات مؤلفة من شخصين أو ثلاثة أشخاص لتبادل الحديث، بدلاً أن يظلوا في الغرفة لمناقشة الأمر كأعضاء مجلس إدارة داخل غرفة الاجتماعات. كان ذلك كفيلاً بمحو صفة الإدارة الجماعية وجعل أية معارضة تبدو أشبه بمؤامرة خفية، لا قراراً جرت مناقشته بأسلوب ناضج. قال مارك في سرّه، لا مناص من الإقرار بأنه داهية، إنه مغامر حقيقي.

كان مارك يضع اللمسات الأخيرة على محضر الاجتماع عندما وقفت دايان إلى جانبه وقالت: «كنا نتساءل، والآن نحن نعرف ما الأمر». كان حضورها طاعياً، تاه في دوامة العبير المنبعث منها الذي سرى من حوله وكأنه...

«نعم، نحن نعرف، الآن ما هو رأينا بعد أن عرفنا؟...». لا زال بإمكانه، على الأقل، أن يتفوه بكلام مفهوم. «ما هو العطر الذي تستعملينه؟... عفواً، لا أدري لماذا قلت ذلك». أدرك فجأة ما معنى أن يحمر وجه المرء بشكل صارخ. «قصدت أن أقول...».

انحنت دايان ووضعت يدها على الطاولة، كانت قريبة منه بحيث كان بإمكانه رؤية تقوس حنجرتها وظلّ القرط الفضي المتأرجح في شحمة أذنها والنبض - فكّر، يا إلهي - نبض الدم الساري في الوريد المارّ تحت أذنها مباشرة. خطرت مانجيت بباله، وتساءل في سرّه ماذا أرتكبُ بحقك وبحق الطفلين؟...

قالت دايان: «مارك، يجب أن نتحدث في الأمر، لكن ليس هنا، وليس في هذا المبنى. أعني في مكان ما خارج المبنى، لا أعرف ماذا يخطط ذلك الوغد العجوز، لكنني لا أعتقد أبداً أنه يخطط لشيء يصب في مصلحتنا. لديه جدول أعمال شخصي وهو يعتقد أن بإمكانه تنفيذه بهذه السهولة...». طقطقت أصابعها.

قال مارك: «الأفضل أن نقرأ وثائق العرض أولاً، وعندها يمكن أن نجتمع مع...». «لا أحد. سيحصل على التصويت الذي يرغب به بعد الظهر، لا مناص من ذلك. ليس هناك ما يمكن أن نعرضه، سيجلّه مثلاً... سوف يتحقق ما يريد بالكامل. علينا أن نحفظ بمشاعرنا المتعلقة بهذا الشأن حبيسة الصدور إلى أن نتوصل إلى مزيد من اليقين». أدارت رأسها ونظرت إليه، كانت عيناها الرماديتان الغامضتان على بعد بوصات فقط من عينيه، قالت: «إذا كنتُ سأصبح العوبة، أريد أن يكون لي رأي بالكيفية التي سيتم بها ذلك وبالزمان والشخص». ابتسمت وغادرت الغرفة تاركة مارك غارقاً في لجة أفكار لم يجرؤ على الاعتراف بها حتى لنفسه.

أستون رود ١٤:١٢

أحكم هيو ميد سترته الجلدية حول جسمه ثم زرّها . لم تكن السترة لتجدي كثيراً في حمايته من الرذاذ الخفيف البارد الذي بدأ ينهمر، لكنه لم يكن ينوي البقاء هناك مدة طويلة . لقد آتت مراقبة دار كراوفورد، المبنية من الزجاج والفولاذ، ثمارها فلم يسبق أن عقدت شركة أيوت اجتماعات مجلس الإدارة في أيام الأربعاء . وليس من عادة أعضاء المجلس عقد اجتماعات خارج الأوقات النظامية . ومع ذلك، توافد أعضاء المجلس، هذا الصباح، في موكب سريع من سيارات الأجرة والسيارات المستأجرة، ليدلفوا من الباب الدوار واحداً إثر آخر . كان كراوفورد موجوداً في المبنى منذ الساعة الثامنة - فقد كان هيو قد وازب خلال الأسبوع على الحضور ليقف خارج المبنى اعتباراً من الساعة السابعة، لقد توصّل إلى التأكيد الذي يصبو إليه: هناك شيء سينكشف سريعاً . لقد حان الوقت للقاء شخص ما بشأن عمل حر لا يرتبط فيه بأحد .



اليوم ١-

الأحد ٣١ أكتوبر ١٥:١٣

رصيف بتلر، لندن

بدت السماء فوق النهر أشبه بوعاء ضخّم أزرق اللون، زرقة تبعث في الجسم قشعريرة باردة. كانت الشمس تسطع بصعوبة وينبعث منها دفء خريفي يكاد لا يكفي لتبديد الضباب الرقيق الذي كان يغلف، كخيوط العنكبوت الحريرية، أعمدة جسر البرج والصارية الطويلة للمركب الشراعي الراسي على الضفة المقابلة من نهر التيمز. كانت قافلة من المراكب الكبيرة، المملوءة بالنفائيات، تبحر باتجاه مجرى النهر بينما كانت النوارس تنساب سابحة في الهواء فوق الأخاديد البيضاء التي كانت تتشكل خلف المراكب. كان مشهداً لا يتغير، قمامة لندن تُحمل بعيداً لإخلاء مكان لمزيد من القمامة، حتى قيل إن جزراً طافية من القمامة قد تراكمت عبر مئات السنين وهي تتحرك دون انقطاع مع تيارات مصب التيمز، ينبعث منها في الظلام وهجٌ وميضُ غاز الميثان - وتستدرج، دون شك، ربابة «السفن أو الأعمال؟...» المتهورين إلى مصير نتن.

شرب كراوفورد آخر رشفة من فنجان القهوة. كان جالساً على شرفته وقد التف بعباءة منزلية من الصوف الناعم وبدت على الطاولة إلى جانبه بقايا الفطور المتأخر الذي تناوله. كانت أندريا تستحم. لقد كان... كان - فكر برهة في الأمر. كان ينتظر، فكل ما جرى حتى تلك اللحظة كان مجرد استعداد ولم يبق هناك حالياً ما يمكن القيام به. تم رسم الخطة بالكامل وخلال بضع دقائق سوف يُجري الاتصال الهاتفي الذي سيحرك العملية برمتها. لا يوجد، بالطبع، شيء أكيد في هذه المرحلة

من الأحداث، لكن مذكرة العرض تبدو لا بأس بها، وهو يتمتع بدعم الأعضاء الأساسيين في مجلس الإدارة ويعرف أنه بالإضافة إلى أن الوقت كان مناسباً، كان المكان أيضاً هو المكان الأمثل لإطلاق العرض. كان يمتلك منزلين في بريطانيا ومنزلاً خارج البلاد لكن هذه الشقة بالذات، التي تشرف على النهر وعلى أكثر مواقعه روعة وقيمة تاريخية، كانت ذات أهمية استثنائية بالنسبة له. إنها تشكل تعويضاً عن طفولته. كان البناء، من الوجهتين المعمارية والتاريخية، مرتبطاً بالنهر الفاصل بين مرتع طفولته في ريدنج وبين لندن -نهر التيمز- وبالدروس التي علّمه إياها هذا النهر، وهي دروس لم ينسها قط.

حدث ذلك أثناء رحلة مدرسية -كان في السابعة أو الثامنة من عمره وكان قد جمع المبلغ اللازم للترفيه عن طريق أداء بعض الخدمات للقاطنين في المبنى الذي كان يقيم فيه مع والدته التي رفضت بإصرار دفع المبلغ- لأنه في حال تَوَقَّرَ المال الإضافي كانت تفضل إنفاقه على شراء الكحول لا على الطفل الذي كان يشكّل عبئاً دائماً يرهق كاهلها. ولم تتعد مساهمتها الوحيدة في دراسته إعادة شامبو القضاء على القمل الذي كان يوزع مجاناً عندما كان يُطلب من الأهل المساهمة بشيء ما في المهرجان الذي كانت تقيمه المدرسة.

كان الهدف من الرحلة هو زيارة أبنية البرلمان، لكن الطلاب قاموا برحلة بعد الظهر من ويستمنستر باتجاه مجرى النهر وصولاً إلى غرينتش وعادوا إلى ويستمنستر. كان يوماً رمادياً كثيباً وكانت الأمواج تتلاطم في مياه النهر، طلبت منهم المدرسة ألا يتكثروا على حافة المركب لكن كراوفورد كان مأخوذاً بالمناظر وبالأصوات الآتية من النهر وركض إلى مقدمة المركب حيث أخذ يتأمل المياه الخضراء ذات اللون الكامد وهي تغمر جانبي المركب الفولاذيين الصدئيين. لحقت به مدرّسته، الأنسة إيست -كان بإمكانه رؤيتها بوضوح في تلك اللحظة وكأنها تقف في الشرفة بسترتها الصفراء وشعرها الأجعد الداكن يتطاير حول وجهها ذي الشكل الشبيه بالقلب، ورؤية عينيها العطوفتين اللتين يتبدى فيهما الاهتمام- قالت له إن المياه التي كان

ينظر إليها هنا في لندن سبق أن كانت في ريدنغ، ومرت تحت الجسور الواقعة هناك، قبل بضعة أيام فقط، كأنما أُصيب بصاعقة: تَكشَّفت أمامه حقيقة أن كل شيء يتغير. ليس هناك ما يدوم إلى الأبد. تتدفق المياه تحت الجسر وتمضي لتصب في البحر. كانت تلك أول فكرة حقيقية خطرت بباله، وخلال الأيام والأشهر والسنين التي تلت، عندما بدأ برسم الخطوط العريضة لحياته، كان في كل مرة يشعر فيها بالضيق أو بالهزيمة يتوجه إلى أحد الجسور ويرمي في المياه عصا أو رزمة صغيرة ويرقب كيف تحملهما المياه باتجاه مجرى النهر، بعيداً نحو الغد، بالمعنى الحرفي للكلمة.

ها هو الآن، في المستقبل، إلى جانب النهر الذي مازالت مياهه تتدفق ولن تكف عن التدفق أبداً. أمسك بدفتر ملاحظات وفتحه على صفحة تقع في منتصفه. كان العنوان المكتوب في رأس الصفحة كالتالي: «لقد وهبتك أفضل ما لدي». ثم جاءت تحت العنوان ثمانية أسطر مكتوبة بالحبر الأسود:

لو كان بوسعك أن تُكنَّ لي من الحب

نصف ما أكنُّه لك.

إذا لم يكن ذلك بالإمكان، تذكَّر

أنني سأقول لشخص آخر:

خذ ما تبقى،

ولكن، عندما تأخذ، عليك أن تعرف

أنه لم يتبق لدي الكثير.

لقد وهبتك أفضل ما لدي.

لم يكن ليخطر ببال أحد أن كراوفورد ينظم الشعر، على الأقل هذا ما كان يعتقد هو. كان معظم الناس سيضحكون على مجرد الفكرة، أما الباقون، فسيهزون رؤوسهم متسائلين: ماذا يخطط في هذه المرة؟... وحدها الأنسة إيست، حيث

كانت ومهما كانت تُدعى الآن، سوف تصدق أن بإمكانه نظم الشعر. لقد كان هناك مدرّسون آخرون، ولا شك بأنه كان هناك بينهم بعض المدرسين الجيدين، لكن وحدها الأنسة إيست، في المدرسة الإعدادية، كانت تؤمن به - لا بمستقبله أو بموهبته، بل كانت تؤمن فقط بأن مجرد كونه طفلاً موجوداً في صفها يجعله جديراً بأن يُدرّس، كان يعني شيئاً ما. الأنسة إيست والنهر. لولاها، ربما كان قد قام في إحدى تلك الأيام بإكمال الدائرة وإغراق نفسه في النهر.

تناول قلماً وكتب تحت القصيدة: ج. كراوفورد. أكتوبر ١٩٩٩. ثم أغلق الدفتر ووضع داخل حقيبة الأوراق التي كانت تقف مفتوحة على الأرض إلى جانبه. لقد حان الوقت. نهض وغادر الشرفة.

عندما دخل الغرفة الرئيسية جرّ الباب الزجاجي وأغلقه خلفه، غابت ضجة حركة المرور والسائحين، ثم توجه نحو طاولة المكتب. لم يجلس بل تناول دفترأ مليئاً بالقصاصات كان موضوعاً فوق السطح المصنوع من خشب الزان المصقول. بدأ يقلب صفحات الدفتر، وهو يتوقف من حين لآخر ليقرأ قصة اقتطعت من جريدة أو من مجلة. كانت معظم تلك القصص تصف انتصاراته. وكان بعضها يتحدث عن شؤون أخرى. كانت القصة التي توقّف عندها من النوع الثاني، وهي قصة تتوسطها صورة غير واضحة لمجموعة من الرجال يرتدون سترات رسمية وقمصان بيضاء منشأة، يبتسمون لعدسة آلة التصوير وفي عيونهم تلك النظرة الزائغة التي تعقب أمسية حافلة بالطعام الفاخر والشراب الوفير والخطب الطويلة. تصدر المجموعة رجل أكبر سناً من الباقين وقف في موقع التكريم وقد أمال رأسه قليلاً إلى الخلف وعلت وجهه ابتسامة كأنه حقق لتوه انتصاراً شخصياً. ركّز كراوفورد نظره في وجه الرجل، وغمغم، دون أن يعي أنه كان يردد بصوت مسموع كلمات أخذت تتساقط كقطرات السم لتعكر صمت الشقة التي يغطي السجاد الوثير أرضيتها: «أيها الوغد، لقد نلت منك الآن».

ثم وضع دفتر القصاصات جانباً وتناول سماعة الهاتف.

ناد خاص للغولف، أوكسون، ٢٥: ١٣

وزّع جون باركر ثقل جسمه على قدميه بالتساوي - قد يتبادر للذهن أن هذا ما يفعله معظم الناس بصورة طبيعية، ولكن ليس بالنسبة للاعب محترف في النادي، خاصة عندما يحمل مضرباً ذا رأس خشبي لضرب الكرة مسافة ٢٥٠ متر بعيداً عن الممر بوجود شرك رملي غادر قرب المرج.

«جون، ألم تقرر بعد، أم أنك ستقضي بعد الظهر في هذا الوضع؟...».

كانت اللكنة الكندية الخفيفة التي تشوب كلمات شريكه في اللعب، مايك بري، تحمل بعض الدعابة. لم يكن بري أكثر مهارة من باركر في اللعب لكنه لم يكن ليقوم وزناً للخسارة، بالتالي، لم يكن يبذل جهداً كبيراً في سبيل الريح. كان موقفاً لا يمكن لجون باركر أن يفهمه، ما هو المغزى من لعب مباراة تنافسية إذا لم تحاول الفوز. تعلّمت ابنته كليز هذا الدرس وهي في التاسعة من عمرها: كان أسلوبها في التنافس في المباريات الرياضية يتسم بالنشاط والصخب، ولديها حالياً خزانة مملوءة بالميداليات والكؤوس الصغيرة التي يعلوها الغبار. ابنه بول، بالطبع، بول المؤمن الصادق، بول...

قطع سلسلة أفكاره ورفع المضرب وأرجحه بحركة انسيابية واحدة. شعر اللاعب المحترف بنشوة، لقد ضرب الكرة وسمع ذلك الصوت الصادر عنها الذي يجعل القلب يثب من مكانه وراقبها وهي ترتفع بشكل قوسٍ أنيق ثم تحط بلطف على المرج ثم تدحرجت إلى حيث لا تفصلها عن الحفرة سوى مسافة لا تزيد عن مترين واستقرت هناك.

قال وهو يضحك جذلاً: «أعتقد أن ذلك يعتبر إنجازاً، ما رأيك؟...».

أطلق بري صفيراً وقال: «لو كان بإمكانك حفظ ذلك في زجاجات وبيعه إذاً لجمعت ثروة أخرى».

أدخل باركر المضرب في الحقيبة وأمسك بمقبض العربة. كان يشعر بالسعادة وهو يسير باتجاه الحفرة. لو كان يعرف فقط أن تلك هي آخر لحظة يشعر فيها بسعادة حقيقية خلال فترة طويلة قادمة من حياته. ضربة موفقة، لحظة مثالية في يوم أحدٍ بدیع في أواخر الخريف.

بينما كان يضع قدميه على السطح اللين للمرج بدأ هاتفه الجوال بالرنين. قال بري وهو يحاول إخراج كرتيه من الرمل: «جون، ألم أطلب منك ترك هذا الجهاز اللعين في المنزل أيام الآحاد؟...». كان، بوصفه طبيب باركر، يتمتع بحق الغضب من مريضه بشأن مسائل الصحة والاسترخاء، لكن باركر، على أية حال، لم يكن ليصغي قط إلى ما يقوله طبيبه.

«آلو، نعم؟...».

في مكان ما، كان هناك كلب ينبج دون توقف. صوت خطوات بري وهو يسير خارجاً من الشرك الرملي. ضحكة. رائحة التبغ - هناك من يدخن سيجاراً خفية عن الأنظار، لكن عبير التبغ يظل عالقاً من بين آلاف الروائح في الهواء الخريفي الدافئ.

«جون باركر؟... أنا جيم كراوفورد».

«أهلاً جيم». كان يعرف كراوفورد من خلال عدد من اللجان والمناسبات الأخرى في مركز المدينة التجاري. لم يكن يشعر بميل نحو ذلك الرجل. كان هناك شيء يتسم بالفجاجة في طموحه وشيء بالغ الوقاحة والسماجة في شعوره بالسرور إزاء إنجازاته. لم يكن، ببساطة: «واحداً منا». وهناك، بالطبع، كل تلك الأعمال الأخرى - لكن لذلك أوانه ومكانه المختلفين...

«آمل ألا أكون قد اتصلت بك في لحظة غير مناسبة؟...».

ابتسم باركر وأجاب: «لقد قمتُ للتو بأفضل ضربة في حياتي وأنا على وشك دفع الكرة في الحفرة. كلا، لم تتصل بي في لحظة غير مناسبة. ما هي الخدمة التي يمكن لي أن أقدمها لك؟...».

بدت كرة بري من فوق حافة الشرك الرملي ثم تدرجت على المرح واستقرت في طرفه البعيد.

«الواقع أن الأمر لا يتعدى مسألة لياقة. لقد خطر لي أن من الواجب الاتصال بك وإعلامك...».

صدر صوت خفيض من وراء صوت كراوفورد - هل يمكن أن يكون نفير سيارة؟... أعمل باركر جزءاً من تفكيره في محاولة لتمييز الصوت. هل يمكن أن يكون صفارة باخرة؟... «بأنك ستلقى غداً عرضاً مقدماً منا؟...».

«عفواً؟...».

«جون، سوف تتلقى عرضاً بشأن بايفيلد. سأستولي على شركتك».

«شعر باركر برجفة تسري في ظهره - لكنه عجز عن تحديد ماهيتها: الخشية من شر مرتقب، الحذر أو الخوف ربما، لكن فوق كل شيء، وفي اللحظة الأولى، كان شعوراً بالغضب. كيف يجرؤ هذا الرجل على محاولة الاستيلاء على شركته؟...».

«كراوفورد، هذا أمر يثير السخرية». كانت نبرة صوته حادة وغاضبة بحيث وصلت إلى مسامع بري الذي كان بعيداً عنه مسافة ٢٠ متراً. توقف برهة وأمال رأسه متسائلاً. تأمله باركر لبرهة ثم عاد ليركز انتباهه على الجهاز البلاستيكي الأسود والفضي في يده. نظر إليه وكأنه ينظر إلى شيء لم يسبق أن رآه في حياته، وعندما تنأى إلى سمعه الصوت الخافت الحاد آتياً من السماع، وضع السماعه بعنف قرب أذنه.

كان كراوفورد يقول: «... هل تريد أن نتحدث في الأمر؟...».

«نتحدث، ليس هناك ما نتحدث بشأنه». في هذه الأثناء كان باركر قد تمكن من استعادة السيطرة على صوته وتمكّن، بعد جهد جهيد، من الحديث بلهجة عادية.

«كما ترغب يا جون». هل كان ذلك صوت ضحكة مكتومة؟... ما الذي كان يدور بخلد الرجل؟... «كنت أرغب فقط في أكون مهذباً وأن أبلغك بالأمر مباشرة. لكنني أعتقد أنني أخذت ما يكفي من وقتك الثمين». نعم، لقد كان الرجل يضحك، كان باركر واثقاً في تلك اللحظة.

«سأتركك لتتابع لعب الغولف. والآن، وداعاً».

«وداعاً سيد كراوفورد». قطع باركر الاتصال، بل إنه كاد أن يكسر جهاز الهاتف. لقد كان دوماً يكره الأشخاص الذين ينهون حديثهم بعبارة: «والآن، وداعاً». أما الأشخاص الذين ينادونك باسمك الأول دون أن تجمعك بهم معرفة - فقد كان ذلك يدل على منتهى الد... على سجية أميركية صرفة، كما كانت زوجته هيدر تقول.

تقدم منه بري بخطى متمهلة وقد كسا وجهه تعبير ينم عن شيء من القلق. «جون، هل هناك ثمة مشكلة؟...».

«لا، لا شيء على الإطلاق». جَهدَ باركر في السيطرة على صوته. لا شك بأن بري صديق مخلص ولكن في المرحلة الحالية، يجب ألا يدري أحد خارج نطاق الشركة بعرض كراوفورد. قال وهو يحاول ترتيب أفكاره: «إنه ذلك الشخص المدعو كراوفورد. لديه فكرة بشأن خط إنتاجي يريد منا أن نصنعه لحسابه».

لم تكن بالقصة المقنعة - لماذا يتصل رجل من نوع كراوفورد ليناقد عرضاً كهذا يوم الأحد؟... لكن بري لم يكن رجل أعمال، بالتالي، لم يدرك غرابة الأمر.

«كراوفورد، يخيل لي أنني أعرف هذا الاسم».

حاول باركر أن يسترجع في فكره آخر اجتماع عُقد مع مصرفيي الشركة، كانت الأمور تبدو جيدة، صحيح أنها لم تكن ممتازة، لكن الشعور بالولاء كان دائماً يشكل جزءاً مهماً من إستراتيجيته في إدارة الشركة، ولا شك أن بإمكانه الاعتماد على دعم المصرفيين والمساهمين. انتزع نفسه من أفكاره وعاد إلى دنيا الواقع، قال مجيباً بري: «إنه قرصان. رجل أعمال كما أعتقد. لا بد وأنتك رأيته في التلفزيون قبل بضع سنوات».

«لا أعتقد أنني رأيته».

«لقد رشح نفسه لمجلس النواب عن باسينغستوك أو عن منطقة أخرى لا أدري ما هي. ارتبط اسمه بفضيحة».

«صحيح، فقد هجرته زوجته. كان هناك حديث عن امرأة، عشيقته».

«إنها تعيش معه الآن. خسر الانتخابات، اضطر للانسحاب فالناس في باسينغستوك لا يرحبون بمثل تلك الأمور. عاد لميدان الأعمال وأنشأ شركته: أيوت. استولى على شركتين أخريين ودفعهما للنجاح أيضاً». بلغ ريقه ليتمكن من الكذب وقال: «إنه من نوع الرجال الذين لا أمانع في التعامل معهم، لأن لديه بعض الآراء الصائبة رغم مزاجيته».

أوما بري برأسه وقد بدا عليه الاقتناع وقال: «هل ستقوم بهذه الضربة؟...». كان يشير إلى الكرة التي كانت تقبع بإغراء على مسافة قريبة من الحفرة.

صرَّ باركر بأسنانه وابتسم قائلاً: «طبعاً يا صديقي». ضرب الكرة برفق لتقع في الحفرة دون أن يشعر بأية بهجة، كان ذهنه لا يزال يصارع الأفكار بشأن مئات بل آلاف الاحتمالات المختلفة التي لا يمكن له الإفصاح عنها في تلك اللحظة. خطر بباله لو أنه يستطيع أن يجار بأعلى صوته: «بم يفكر هذا اللعين؟...». بدل أن يتظاهر بالسعادة الغامرة كونه استطاع إدخال الكرة داخل الحفرة. سيطر على انفعالاته وتابع اللعب حتى انتهاء الجولة دون أن يبدو عليه ما يشي بالقلق الذي يملكه. خطر له أن منصب المدير قد يدفع بالمرء أحياناً إلى الإحساس بوحدة قاتلة. ضحك وقال: «مايك، هيا لنرى إن كنت تستطيع الإتيان بمثل هذه الضربة».

هيدلاندز، ويتشيرش هيل، أوكسون، ٥: ١٥

أدركت هيدز باركر أن هناك مشكلة ما لحظة أن تجاوز جون عتبة الباب، فقد مضى على زواجهما أكثر من ثلاثين عاماً. لا شك بأن عمل زوجها كان يشغل جُلَّ وقته خلال تلك السنوات، إلا أن كلاً منهما كان دائماً يحترم مشاعر الآخر ويسعد بصحبته. أحياناً كان يخطر ببال هيدز أن زواجهما كان زيجة مدبرة قدم فيها كلُّ منهما عرضه والتزم بالعقود المبرمة في السراء والضراء.

كانت هيذر قد تخلت عن عملها بعد زفافها مباشرة، لكنها كانت عضواً ناشطاً في قضايا السياسة المحلية كما كانت تترع في مواقع المسؤولين على المنصات. كانت تتردد إلى الكنيسة بانتظام برفقة جون رغم أنها، دون أن تعي كيف حدث ذلك أو أن تخبر جون، شعرت في السنوات القليلة الماضية بأن إيمانها قد وُضع في غير موضعه. قد يكون ذلك بسبب بول، ولدهما.

كانت تدرك أنها تستطيع، في قرارة نفسها، تجاهل جميع مشاعر الاستياء النابعة من أسلوب تنشئتها والقول: «لماذا لا يستطيع أن يكون على الصورة التي يرغب بها؟... هذا من حقه».

كان عملاً قاسياً فظاً، وشعرت هي بأن ذلك أصاب زوجها في الصميم وسبب له جرحاً أعمق من الجرح الذي أصابها. كانت تدعم بول لأنها تحبه، أما جون فكان يتعين عليه إيجاد أسلوب لدعمه لأنه كان يفكر بأنه على صواب- في الوقت الذي كان فيه على قناعة بأنه على خطأ. بالنسبة لجون، كانت خطيئة بول تكمن في خذلان العائلة، في نقض مبادئ الولاء، وهو نقضٌ أصاب كل ما يؤمن به والده بضربة مدمرة.

أصبح جون حطاماً وظهر، لأول مرة منذ زواجهما، الجانب الحساس سريع التأثير في طبيعته، وهو الجانب الذي كان أول ما أحبت فيه والذي لم تره منذ سنوات عدة. عادت مشاعر الحميمية والألفة لتقرب بينهما، وحملت هيذر التي كانت في التاسعة والثلاثين «فقد كانت تصغر زوجها بعشر سنوات». كانت النتيجة بهجة غمرت الزوجين، هذا إذا أمكن إطلاق اسم ملطف على الإعصار المسمى كليز.

صرخت كليز: «أبي، ها أنت قد عدت باكراً، هل يمكننا الذهاب الآن؟...». ثم اندفعت تهبط الدرجات وهي تحاول بجنون إدخال قميصها داخل خصر بنطال ركوب الخيل. «أنا جاهزة للذهاب، جاهزة تقريباً وقد قالت والدتي إن بإمكان تريشا العودة معنا لتناول الشاي. إذا كان ذلك يناسبها طبعاً».

رفع جون ابنته بيديه وقبل أنفها وقال: «آسف يا حبيبتي، ولكن حدث أمر ما».
«أوه... أبي!»

كلمتان بسيطتان لكنهما كانتا تحملان محيطاً تتلاطم فيه مشاعر الخيبة، خيبة لم يكن بالإمكان محوها بجميع الوسائل التي يمكن أن توفرها هيدر بقولها: «سوف آخذك أنا يا حبيبتي، وسأعود بك مع تريشا في ما بعد».

ناحت كلير قائلة: «أنت دائماً تأخذيني، هو لا يأخذني مطلقاً».

دمدم جون وهو يعيدها إلى الأرض: «ماذا أسمع؟... هو «ألا أستحق بعد الآن كلمة «أبي؟...»».

«إذا أخذتني لركوب الخيل. أريدك أن تراني. تقول كريستين إنني أتحسّن وبأن عليّ الاشتراك في العرض العام».

جلس جون القرفصاء ونظر في عينيها الزرقاوين الكبيرتين وقال: «بإمكانك أن تُرني مهارتك في المرج الصغير خارج المنزل على سنو دروب». كان هذا اسم مهرها الصغير.

قالت: «الأمر مختلف. لا يمكنك إدراك ذلك». ثم صعدت الدرج. كان ذلك حراً بفتاة مثلها تحمل طبيعة والدها في عزوفه عن إظهار دموع الخيبة.

«جون، سوف تتجاوز الأزمة، لا عليك».

«عندما تبذلين وعداً عليك الالتزام به. لكنني عندما وعدتها لم يدر بخلدي أن هناك من سيقدم عرضاً للاستيلاء على الشركة».

وضعت هيدر أصابعها على شفثيها وقالت: «يا إلهي، متى عرفت ذلك؟... من هو؟... كيف؟...».

«جيمس كراوفورد. إنه يدير مجموعة للأجهزة الإلكترونية تدعى أيوت. هيدر، إنه سمكة قرش تسبح باتجاه بايفيلد».

الاستيلاء

«هل ترغب في فنجان شاي أو في أي شيء آخر؟... هل ستستدعي أعضاء مجلس الإدارة لعقد اجتماع؟...». لقد عاشت في جو إدارة الأعمال مدة كافية لكي تدرك أن أي عضو في مجلس الإدارة يستحق الراتب الذي يتقاضاه، كان يقوم بعمل مزدوج. هنا كان دور الزوجة يعتبر عاملاً مهماً، خاصة إذا كانت زوجة من النوع المناسب: تدعم زوجها دون أن تكون ملحاحة، كفاء ولكن دون أن تلم بكل شيء، أسرة ولكن دون أن تكون أسرة جداً، وأهم من ذلك كله، أن تكون موجودة عند الحاجة. كان ذلك جزءاً من العقد: عقده وعقدها. عندما تحل لحظات صعبة، على الزوجة ألا تتذمر، بل عليها أن تقوم بمحاولة لإيجاد حل، فالمشاكل تعني الحلول ولا تعني مشاعر القلق.

«بإمكاني بسهولة أن أخرج شيئاً من المجمدة لإعداد وجبة أو شطائر، إذا كنت تفضل ذلك؟...».

«سأجري بعض الاتصالات الهاتفية. قدح من الشاي يكفيني، لا أريد - هذه كذبة».

سارا باتجاه غرفة الجلوس حيث كانت شمس بعد الظهر قد بدأت تفرق الغرفة عبر الأبواب الزجاجية المطلة على الحديقة. اتجه جون نحو أحد الأبواب ثم وقف وصرح بنظره...

كانت الحديقة - وهي مجال خبرة هيدر - قد بدأت تكتسي مظهراً شتوياً. فتح باركر الباب الزجاجي وبدأت رائحة أوراق الشجر المحترقة تنساب إلى الغرفة.

قدمت إليه هيدر القدح الزجاجي السميك وقالت: «بم تفكر؟...».

أطلق تهيدة وقال: «بكل هذا - البيت الحديقة، بكل ما بنيناه سوياً».

سألته: «هل يوجد ما يتهدد كل ذلك بالخطر؟...».

«ليس بالطريقة التي خطرت لك. نحن لن... حتى ولو نجح العرض، وأنا واثق من أنه لن ينجح، سنخرج من المحنة وقد ازدادت ثروتنا».

«لا أدري كيف أشرح لك الأمر».

سألته هيزر: «هل تشعر بأنك مهدد؟...».

«لست مهددًا تمامًا. بإمكانني المقاومة، بإمكانني تدبير أموري، أنا لا أشعر بالقلق عليّ أنا شخصياً بقدر ما أشعر بالقلق على... على الحديقة أو على كليز. عندما صعدت الدرج راكضة...».

«لأنها لا تريدك أن تراها باكية».

«هذا صحيح. وقد شعرتُ تجاه كراوفورد بغضب عارم لأنه كان السبب في ما حدث». «يقرأ المرء صفحات الشؤون المالية في الصحف، ويشارك في اجتماعات اللجان ويطلع على النشرات الحكومية، ويقوم بمناقشة كل ذلك بشكل عقلاني مع مستشاريه وزملائه ويبدو كل ذلك وكأنه المنطق بعينه، رجال أعمال يتحلقون حول طاولة لمناقشة بعض القضايا. وفجأة، لا تبدو الأمور على هذا النحو، بل تبدو وكأنها تتعلق بطفلة في التاسعة تصعد الدرج راكضة حتى لا أتمكن من رؤية عينيها المغرورتين بالدموع لأنني لا أستطيع أن أصحبها لركوب الخيل».

جرع ما في الكوب دفعة واحدة. «عليّ الآن أن أجري بعض المكالمات الهاتفية، إذا لم يكن لديك مانع».

تناولت الكوب من يده وقالت: «سأصحب كليز. هل تفضل أن تذهب هي إلى بيت تريشا اليوم؟... بدل أن تأتي تريشا إلى هنا؟...».

«الأمر سيان، فلن يسبب لي ذلك أي إزعاج». تحول تفكيره إلى منحى آخر فقد انقضت لحظة التأملات. «سنجلس في هذه الغرفة، ولا بأس ببيع الشطائر وبعض القهوة أيضاً. لا أستطيع تحديد الوقت طالما تستطيعين تأمين ذلك بحيث لا يتعارض مع دروس كليز».

اتجه صوب الهاتف، دون أن ينظر جواباً مُعتَبَراً موافقتها أمراً مفروغاً منه، فتح دفتر عناوين مكسواً بالجلد وبدأ يجري اتصالاً هاتفياً. صعدت هيندر إلى الطابق العلوي لمرضاة كليز.

الشقة ٧ ، فروغويل رود ، ويست دالويتش ، لندن ، ٣٠ : ١٥

كانت بيت امرأة نحيلة القوام يبلغ طولها خمسة أقدام وإحدى عشرة بوصة، تتحرك بثقة امرأة لا تسبب لها قامتها أي حرج. حملت كأسها واتجهت نحو الأريكة الوثيرة المكسوة بالجلد الأبيض وغاصت فيها باسترخاء. كانت ترتدي قميصاً قطنياً أبيض وبنطالاً رياضياً وجوارب مطرزة برسوم تان تان والكابتن هادوك. ملابس غير مألوفة بالنسبة لمديرة مالية في شركة أجهزة إلكترونية، لكن بيت، التي كانت في منتصف الثلاثينات، لم تكن نموذجاً مألوفاً لعضو مجلس إدارة. جرعت ما في كأسها دفعة واحدة.

«رائع».

ابتسم جاك، الذي كان يرتدي قميصاً قطنياً قديماً ممزقاً عليه رسوم مخلوقات فضائية. كان يشغل منصب مدير مدرسة ثانوية ضخمة في الجزء الغربي من لندن، كما كان أحياناً، برأي بيت، لا يختلف كثيراً عن تلامذته من حيث تصرفاته وأفكاره.

قالت بيت: «ما لديك ليس هو المهم، بل المهم هو ما تفعله بما لديك».

قالت بيت: «كان علينا أن نتناول بيرغر أميركي».

«لو كان بإمكاننا تناول بيرغر كالذي تناولناه في يونيون سكوير كافيه حتى ولو كان بنصف جودته...».

كان ذلك ليبدو أشبه بالفردوس. لقد كان رائعاً «ابتسمت بيت وتمطت وهي تستعيد ذكرى الإجازة التي دامت أسبوعين والتي قضياها في مانهاتن». «لكن، بإمكاننا على الأقل أن نعود لتناول لحم البقر الإنكليزي».

«لا، أرجوك». بدا الكرب على وجه جاك. «أنا أحاول منذ مدة أن أقنع المشرفين بأنه لا خطر في إعادته إلى قائمة الوجبات في المدرسة. لكنهم يخشون أن يكون اللحم قد تعرّض لعملية تعديل وراثي».

«ميزانية المدرسة لا تشمل لحم البقر، أليس كذلك؟...».

«الهامبرغر هو لحم بقر، هذا ما يُفترض به أن يكون، لكنه عادة ما يكون غضاريف أو قطع صغيرة من النخاع الشوكي. وهناك أيضاً لحم البقر المفروم في النقانق المطهو مع الاسباغيتي وهناك فطائر لحم البقر وهناك لحم البقر والكاسترد. على أية حال، المدرسة بأكملها تدور في دوامة عنيفة بسبب التفتيش». كان يشير إلى المفتشين الذين كان من المتوقع قدومهم إلى المدرسة في غضون بضعة أسابيع والذين كانوا السبب في تراكم أعمال إضافية لا حد لها.

«يبدو الأمر أشبه بكابوس بالنسبة لك، أليس كذلك؟...».

«بالطبع إنه كابوس، لكنه كابوس يستغرق اليوم بطوله، كل يوم، إلى أن تنتهي تلك العملية اللعينة برمتها. لا أود الخوض في هذا الموضوع. لقد اتفقنا أن أيام الأحاد هي أيام مقدسة، أليس كذلك؟...».

تثاءبت وقالت: «بلى». كانا قد اتفقا، في بدء حياتهما العملية، على أن يُفردا يوماً واحداً في الأسبوع، على الأقل، ليكون خاصاً بهما. وقد تمكّنا من الالتزام بذلك الاتفاق حتى تلك اللحظة - رغم أن مشكلة التفتيش كانت لا تبارح أفكار جاك وتدفعه للحديث عنها.

وضع كأسه جانباً ولحق بها إلى الأريكة وقال: «هل تفكرين بشيء ما معين لقضاء فترة بعد الظهر؟...».

«لقد خطر لي أن نشاهد فيلم وودي آلان قبل إعادته».

بدت عليه علائم خيبة الأمل بوضوح. «هل كنت تفكر بشيء آخر؟...».

«هذا تماماً ما أشعر به».

رن جرس الهاتف...

... تدحرج جاك من فوق الأريكة ووقع على السجادة وهو يلوح بذراعيه وساقيه في الهواء كذبابة صعقها مبيد حشري. «لماذا لا يلجؤون للاتصال بجهاز الاستقبال الآلي كما يفعل المتحضرون؟...».

أنت بيتث وقالت: «إنه هاتفي الجوال، لا بد أن الأمر يتعلق بالعمل».

تناول جاك صفحة الرياضة وجلس في مقعد مفرد واختفى خلف الصفحات الكبيرة. أخذت بيتث تبحث بسرعة عن حقيبتها التي كانت ملقاة خلف الأريكة وبدأت بتقليب محتوياتها.

دمدمت لنفسها: «يا لهذا الجهاز. صوته أكبر بخمسين مرة مما توحى به مساحته الخارجية».

صدرت زمجرة من خلف صحيفة الأوبزيرفر.

عثرت بيتث على جهاز الهاتف، فتحتته وقالت «نعم...».

جاء صوت جون باركر واضحاً لا تخطئه أذن. خلال الشهور القليلة الماضية كانت قد سمعته يعبر عن جميع الأمزجة تقريباً؛ البهجة والغضب والسرية وحتى اللطف المتناهي، لكن لم يسبق لها طوال تلك المدة أن سمعت صوته، مثلما سمعته بعد ظهر يوم السبت ذاك، كان يعبر عن قلقٍ مطلق.

هيدلاندر، ويتشيرش هيل، أوكسون، ٢٢: ١٧

حضر الاجتماع، الذي كان يُعتبر بحق الاجتماع الأول في الحملة التي سيطلقها أعضاء مجلس إدارة بايفيلد، المدير جون باركر والمديرة المالية بيتث ستيوارت والمسؤول التنفيذي الرئيس بيل هاربر وريتشارد (ديك) وورثغتون، وهو مدير غير تنفيذي.

غاب عن الاجتماع أنغوس هوارد مدير المبيعات والتسويق، الذي كان يقضي عطلة نهاية الأسبوع مع زوجته ومدير قسم المصادر البشرية تيم إريكسون الذي كان قد ذهب لصيد السمك دون أن يصطحب معه هاتفه الجوال «تهدت بيث ستيوارت وقالت في نفسها: يا للرجل الحكيم». وتوم سويفت من قسم الأبحاث والتطوير الذي كان عالقاً في مكان ما في الطريق.

كانت بيث لا تزال مرتدية قميصها القطني وإن كانت قد استبدلت ببنتال الرياضة، بنطال جينز. أما بيل هاربر، المسؤول التنفيذي الرئيس، وهو رجل صغير الحجم شديد الدقة، فهو إما أنه كان في الأساس مرتدياً بذلة أو أنه قد تمكن من توفير الوقت اللازم لارتداء بذلة قبل أن يأتي، وهما احتمالان نموذجيان بالنسبة لشخص كان يكره أن يباغته أحد دون استعداد في أي موقف كان.

كان ريتشارد وورثغتون، المدير غير التنفيذي وأحد أصدقاء جون باركر القدامى، يرتدي سترة جلدية وقميصاً كتانياً «من نوع ذا فيلد» وبنطال جينز، لم يكن يبدو لائقاً تماماً. كان يعمل في شبابه لدى شركة تسجيلات موسيقية عالمية وصل فيها إلى مستوى الإدارة، وقد تمكن من أن يصل ببعض الأعمال الناجحة خلال السبعينات والثمانينات إلى مرتبة إدراجها في لائحة الأعمال الناجحة. لكنه، بخلاف كثير من الشخصيات الأكثر راديكالية التي كانت تشغل الاهتمام الشعبي، وجّه الشطر الأكبر من اهتمامه نحو مهن ترتبط بالريف. كان آنذاك يدير مزرعة لسمك الترويت النهري ويملك عدداً من مواقع صيد السمك التي تُدرّ عليه ربحاً وفيراً. كان قد استغل أمواله بصورة حكيمة ووجد في نفسه موهبة خاصة لإدارة الأعمال. كما أنه كان شديد التمسك -في ما يخص آراءه وأفكاره وذوقه في اختيار ملابسه وطول شعره- بأجواء عام ١٩٨٣، عندما كان سبانكو باليت وفيل كولنز وبوني تيلر يتصدرون لوائح الناجحين. وكان قد تم إقناعه بالانضمام إلى أعضاء مجلس الإدارة بدافع دعم جون باركر، الذي كان يرى فيه شخصاً ذا تفكير «معاصر» و«يراعي الجو العام»، وذلك ليصوّت إلى جانبه وليدعم خبرته -إضافة للقيام ببعض أعمال

الدعاية من حين لآخر- وليس، حسب تعبير المسؤول التنفيذي الرئيس بيل هاربر، بدافعِ رُفد الشركة بأساليب تفكير حديثة ومهارات مختلفة.

لكن بيل هاربر، على أية حال، كان شديد التبعية لباركر ولم يُبَدِ أي اعتراض على التعيين، عدا بضعة ملاحظات لا تذكر. فلم يكن جون باركر من نوع المدراء الذين يرحبون بوجود أي تنافر ضمن أعضاء مجلس الإدارة إضافة إلى أنه لم يكن، كما خطر لبث في أكثر من مناسبة، متحمساً لفكرة إدخال أي تجديد. كان على المدير أن يشجع هاربر على استلام منصب إداري غير تنفيذي بغية تعميق مدى خبرته، بدل دفعه لالتزام مسار «المحافظة على الثبات أثناء الحركة»، وهو المسار الذي يبدو وكأنه يوجز الأفكار السائدة في الشركة.

ألقت بيث نظرة حزينة عبر الباب الزجاجي المطل على الحديقة وشاهدت عموداً من الدخان يرتفع ليغطي الشفق، ثم عادت لتتظر إلى طاولة الاجتماعات وإلى المدير الذي كان يترأسها.

«أشكركم جميعاً لحضوركم، وأقدر لكم هذا الحضور». لم يكن بإمكان جون باركر أن يتصرف بأسلوب يفتقر للتهذيب أكثر مما كان بإمكانه القفز إلى الرف الرخامي الذي يعلو المدفأة الجدارية والرقص فوقه. «تعرفون طبعاً أنني تلقيت مكالمات هاتفية اليوم من جيمس كروودفورد».

دمدم وورثغتون متذمراً، وهو يلف سلسلة غطاء ساعته حول أصابعه المثقلة بالخواتم: «ياله من مزعج».

قال باركر: «ديك، أعتقد أن هذا ما نشعر به جميعاً. على الأقل، هذا ما أشعر به أنا. لكن علينا أن نناقش ما يعنيه ذلك فعلياً بالنسبة لنا في شركة بايفيلد لأنني أعتقد، بناء على كل ما أعرفه عن كراوفورد، أنه لن يتراجع».

سألته بيث: «وهل نعرف إن كان يلتزم الصدق أم أن لديه هدفاً آخر؟...».

«أعتقد أنه لا مناص من تصديق أقواله بشأن النيات التي يبيتها».

تتحنح بيل هاربر وانتظر إلى أن التقى نظره بنظر باركر، ثم قال: «جون، هل تعتقد أن كراوفورد يسعى وراء هدف ما؟...».

قال وورثغتون بسرعة: «إنه جشع، هذا كل شيء، إنه يرغب في توسيع أعماله. يجب إيقافه عند حده».

انكمشت بيت على نفسها. إن المشاركة في اجتماع مجلس إدارة يحضره ديك وورثغتون لهو أشبه بالذهاب إلى النادي ورؤية كليف ريتشارد يعزف. كانت تشعر بخوف لا يفارقها من أنه سيناديها يوماً ما «يا امرأة»، ومن أن رد فعلها سيكون القضاء عليه بقتله.

تجاهل باركر ما قاله المتأنق العجوز وقال: «بيل، تابع كلامك، ما رأيك؟...».

«هل نحن عرضة للخطر؟...». لم يكن هاربر يحب توجيه النقد لأحد، فما بالك بتوجيه النقد للمدير. بدا واضحاً أنه يبذل جهداً في الحديث عندما سحب نفساً وتابع قائلاً: «هل قمنا نحن، أعضاء مجلس الإدارة، بوضع الشركة في موقف أصبحت فيه عرضة للخطر؟... لم أكن لأطرح هذا الموضوع لولا حقيقة أنه في حال اتخاذ قرار بمقاومة هذا العرض، فإن علينا أن نتفحص مدى قوتنا إضافة، إذا سمحت لي، لنقاط ضعفنا».

قاطعته بيت قائلة: «إذا قررنا المقاومة؟... أليس هذا هو أول ما علينا أن نقرر القيام به؟...».

أضاف وورثغتون، وقد انعقدت السلسلة حول أصابعه: «إذا قررنا المقاومة؟... بالطبع سنقاوم. أليس كذلك يا جون؟...».

ساد صمت لم يقطعه سوى صوت طائرة تحلق على ارتفاع شاهق. تساءلت بيت في سرّها إلى أين كانت تتجه الطائرة. تَمَنَّتْ لِحِظَّةٍ، مثلما كانت تتمنى غالباً، أن

تكون على متن تلك الطائرة متوجهة إلى مكان ما يكون جديداً ومثيراً. ثم خطر لها بأنها كانت فعلاً في مكان كهذا: فالأسابيع القادمة ستكون بمثابة مناطق مجهولة، وإذا كان لها أن تقطع تلك الفيافي وتصل إلى الوجهة الصحيحة، فلا بد من أنها ستخرج من التجربة بخبرة لا تقدّر بثمن. ما كان يؤرقها إلى حد ما هو حقيقة أنها لم تكن، في تلك اللحظة، تدري ماهي الوجهة الصحيحة.

لم يبدُ أن أحداً غيرها لاحظ صوت الطائرة. كان وورثفتون وهاربر ينظران بإمعان إلى باركر. فقد كانا يشعران بالقلق خشية أن يتخذ قراراً بعدم المقاومة: في هذه الحالة، ماذا سيكون مآلها؟...

«بيث، سنقاوم بالطبع. لا شك في ذلك. كراوفورد لن...». لم يكمل الجملة، ثم تابع قائلاً: «يُفضّل إبعاد العوامل الشخصية».

«جون، هذا رائع». أخذ وورثفتون يعبث بأصابعه وبدأ أن السلسلة قد التفت حول أصابعه تماماً ولم يعد بالإمكان حلّها.

قال هاربر: «في هذه الحالة، ماذا يمكننا أن نفعل الآن؟...».

«لقد أجريت اتصالاً هاتفياً مع نك». كان يشير إلى نك سبيلر، المصرفي الخاص بالشركة. «وكان رد فعله الفوري شبيهاً برد فعلك، بيل. نحن عرضة للخطر لأننا لم نتطوّر كثيراً، وحتى إذا كان قسم الأبحاث والتطوير لدينا يتمتع بنظرة مستقبلية، علينا ألا ننسى توقعات الأرباح التي تفتقر للحكمة والتي قدّمتها لمركز المدينة التجاري».

امتقع هاربر وبدأ يفاغى قائلاً: «أعضاء مجلس الإدارة... أعضاء مجلس الإدارة... كانوا، كنت، الجميع كان...». ثم انكمش في مكانه.

قال باركر بلطف: «هدئ من روعك، نحن لا نبحث عن كبش فداء، فتحن جميعاً نعرف أن بيانات الميزانية لا يمكن لها أن تفيد بشيء - المهم هو السيولة النقدية، وليست لدينا مشكلة بهذا الشأن. زبائننا راضون، والزبون الراضي هو مؤشر جيد على جودة وضع العمل. نحن نلتزم بالولاء لزبائننا ولمصرفيينا ولمورّديننا ولموظفينا. ولا أعتقد أن هذا النوع من الالتزام قد يعفي عليه الزمن. الولاء هو العامل الأهم في عملنا».

وكان تلك الكلمات كانت تحمل تلميحاً لـديك وورثفتون ليتدخلوا في الحديث - وهو تلميح كان ينتظره باستمرار منذ أن التحق بمجلس الإدارة، إضافة إلى أن هذا التلميح كان يساعده على عرض ما يُدعى بلمسته الشعبية. «أعني، أنا لا أريد أن أفرض شيئاً، لكنني أعتقد أن الجميع يشعرون - جون، أنا أقول هذا من كل قلبي، أعني أننا جميعاً هنا في مجلس الإدارة... بل في الشركة بكاملها، في جميع الشركات، أعني أن الجميع يقدر ما تتمتع به في الشركة يا جون. ما نتمتع به جميعاً في الشركة. إنه شيء حقيقي - أصيل، إنساني - وسوف نقاوم لأجله لأننا نعتقد... نعتقد بأنه جدير بأن نقاوم من أجله. طبعاً إذا كان ذلك يناسب الجميع». رسم على وجهه ابتسامة عريضة وهو يحاول للمرة الأخيرة تحرير أصابعه التي التفت حولها السلسلة بإحكام. انقطعت السلسلة وسقط غطاء الساعة إلى الأرض حيث تهشم - إن لم يكن إلى آلاف القطع - فألى قطعتين على الأقل. هز وورثفتون رأسه قائلاً: «آمل ألا يكون ذلك فالأ سيئاً».

دمدمت بيث بلؤم: «ديك، أنت رائع».

احمرّ وجه وورثفتون وقال: «جون، الشركة بكاملها، من أعلاها إلى أسفلها، ستدعم موقفك».

«أشكرك ديك وأقدر ثقّتك بي».

كانت مشاعر الضيق التي يحس بها بيل هاربر تبدو واضحة للعيان. وكانت بيث تدرك أن ما يطوف في أذهان الجميع، وفي ذهن هاربر بالذات، هو شبح مسؤول تنفيذي رئيس قدّم توقعات أرباح بالغت في التفاؤل وفقد عمله بعد أن عجزت أرباح شركته، فعلاً، عن مواجهة المسار الذي كان قد تتبأ به. كانت بيث تعرف أن ذلك لم يكن أسلوب بايفيلد في العمل، كما كانت تخشى من أن تكون هذه الحقيقة هي نقطة ضعف بايفيلد. فقد كانت، من موقعها كمديرة مالية، تطرح عدداً من الأسئلة المتعلقة بهذا الشأن على مستوى الشركة ككل: هل كان لدى الشركة هدف واضح؟... هل كانت لدى الشركة الإستراتيجية اللازمة لتحقيق ذلك الهدف؟... والمهارات الإدارية لإنجاح الإستراتيجية، والأسلوب الإداري الراغب في إنجاح الإستراتيجية، والدافع الإداري

للتأكد من نجاح الإستراتيجية؟... لم تنته المسألة عند هذا الحد، لكن بيث كوّنت فكرة لا بأس بها عن النتائج المتوقعة، ولم يكن في أي شيء مما قيل حتى تلك اللحظة ما يحملها على التخلي عن فكرتها تلك. إن مجرد حقيقة كونها آخر عضو جديد انضم إلى مجلس إدارة بايفيلد خلال السنوات الست الماضية، يشي بالكثير حول مدى افتقار أعلى هيئة في المجموعة إلى أسلوب تفكير يتسم بالابتكار والتجديد.

تابع باركر حديثه قائلاً: «لقد كانت النصيحة الأساسية التي قدمها نك هي التزام الصمت كأفراد وكمجلس إدارة. إذا كانت لدينا أية أسئلة، لدى طرح الموضوع غداً للمناقشة، بإمكاننا استشارة العاملين ضمن فريق العلاقات الخارجية لدى نك. سيقوم هؤلاء بدراسة العرض، ثم يتصلون بنا ويعدّون تقريراً مبدئياً يقومون بإصداره».

قال هاربر، وقد شحب وجهه: «ألا ينبغي لنا أن نناقش فكرة تعيين مدير غير تنفيذي ضمن مجلس الإدارة يتمتع بخبرة حقيقية في مجال عروض الاستيلاء؟...».

قالت بيث: «هذه فكرة منطقية، لا يمكن لي الادّعاء بأنني أتمتع بخبرة عملية في هذا المجال. لقد كان الموضوع ضمن مواد الدراسة الجامعية ولكن، كما نعرف جميعاً، الدراسة تختلف عن الحياة الواقعية».

أوماً باركر برأسه موافقاً ودوّن بسرعة بضعة كلمات في دفتر الملاحظات الموجود أمامه ثم قال: «بيل، هذه فكرة جيدة.. سأحدث مع نك بهذا الشأن، لكن علينا أن نتحرك بذكاء وحذر».

بلع هاربر ريقه بعصبية وقال: «هناك أمر واحد، ألم يكن من الواجب، مع وافر الاحترام لك يا جون، أن يكون نك معنا اليوم؟... أعني، أن الأمر يتعلق بمصرفنا التجاري قدر ما يتعلق بنا».

ظل السؤال معلقاً، دون جواب، في جو الغرفة الضبابي الذي بدأت الظلمة تتسلل إليه.

شعرت بيت أن الفكرة صائبة لكنها لم تتفوه بكلمة. فَهْمٌ لم يتمكنوا، في غياب مصرفيي الشركة، من القيام بشيء، أو من تقرير شيء، لم يكن بالإمكان التوصل إليه عبر الهاتف. لماذا إذاً قطعوا عطلتهم الأسبوعية وقطعوا كل تلك المسافة للاجتماع في منزل باركر؟... هل كان الأمر مجرد تدبير يتسم بالحنر والحصافة، أم أنهم أشبه بقطيع من حمر الوحش المذعورة تتراخض في شتى الاتجاهات في وجه هجوم مجموعة من الأسود؟...



obeikandi.com

الجزء الثاني

في اتجاه المجرى



obeikandi.com

اليوم (صفر)

هذه الوثيقة مهمة وتتطلب اهتماماً فورياً من قبلكم. إذا كنتم تشعرون بالتردد إزاء الإجراء الذي ينبغي اتخاذ، بإمكانكم أن تسعوا مباشرة للحصول على استشارة مالية خاصة من سمسار بورصة الأوراق المالية ومدير المصرف والمحامي والمحاسب، الذين تتعاملون معهم، أو من أي مستشار مالي مستقل مؤهل بصورة رسمية بموجب قانون الخدمات المالية لعام ١٩٨٦

عرض

مقدم من

ويماوث ، باترنوستر

لمصلحة

شركة أيوت

للاستيلاء على

شركة بايفيلد

عرض أيوت

القيمة

● ثلاثة أسهم أيوت جديدة و ٢٩ بنساً نقداً مقابل كل سهمين من بايفيلد، قيمة السهم ١١٧ بنساً.

● بديل نقدي، قيمة السهم ١٠٥ بنسات.

● يتمتع المساهمون في بايفيلد بحق الاحتفاظ بالأرباح الموقّعة لأسهمهم.

● يقدّر العرضُ قيمةً بايفيلد بـ ١٨١ مليون جنيه إسترليني.

العلاوة:

● يمثّل العرض علاوة تبلغ ٣٠٪ على السعر السابق لتقديم العرض.

● يمثّل البديل النقدي علاوة تبلغ ٢٥٪ على السعر السابق لتقديم العرض.

يؤمن العرض فرصة للمساهمين في شركة بايفيلد لـ:

● المشاركة في النجاح المستقبلي لشركة أيوت بعد توسّعها.

أو

● تحويل استثماراتهم في بايفيلد إلى نقد، وذلك بعلاوة سخية.

أيوت

إلى المساهمين في بايفيلد وإلى المشاركين في خطط الأسهم في بايفيلد،

للعلم فقط.

١ نوفمبر ١٩٩٩

المساهمون الأعضاء:

يرى مجلس إدارة أيوت أن الاستيلاء على بايفيلد سيؤدي إلى إنشاء مجموعة للإلكترونيات تقوم بالاستفادة من التقنيات المشتركة لخدمة أسواق واسعة المجال كما سيوفر قاعدة أكثر متانة تنطلق منها عمليات موسّعة للسير على طريق النمو .

مجموعة شركات أيوت مسجلة في سوق الأوراق المالية في لندن برسملة سوق تبلغ ٥٠٠ مليون جنيه إسترليني بتاريخ ٢٩ أكتوبر. تدير أيوت عدداً من الأعمال داخل بريطانيا العظمى ضمن مجال من التقنيات وعمليات القيمة المضافة. تتمتع المجموعة بقاعدة عريضة تضم زبائن أوروبيين، كما تتبع ٣٠٪ من حجم أعمالها التجارية ضمن دول السوق المشتركة.

تركز استراتيجية أيوت على الأعمال المتعلقة بمجالات خبرتها الأساسية.

لقد أثبتت أيوت، بإدارة جيم كراوفورد المدير التنفيذي الرئيس للمجموعة، قدرتها على تأمين نمو في قيمة استثمار المساهمين. فقد ارتفع ربح التشغيل الكلي من ٤٠ مليون جنيه إسترليني خلال العام المنتهي في ٣١ مارس ١٩٩٦ إلى ٥٢ مليون جنيه إسترليني خلال العام المنتهي في ٣١ مارس ١٩٩٨ . وقد أظهرت النتائج المؤقتة هذا العام تحسناً مستمراً وزادت أرباح التشغيل لنصف العام بنسبة ١٧٪.

بخلاف أيوت، تبدو بايفيلد وكأنها قد تخلت عن فكرة السمي وراء النمو الإيجابي. فخلال السنوات الخمس المنصرمة أخفقت المجموعة في جهودها الرامية لاغتنام فرص جديدة للنمو بصورة ناجحة.

ترى مجموعة أيوت أن الاستيلاء على بايفيلد سيخلق مجالاً لا يستهان به من الفوائد الإضافية المتأتية عن التعاون في مجال التصنيع والشراء وعن توفير تكاليف المكتب الرئيس. وإنني على ثقة من أن التقنيات المشتركة العديدة والأسواق المتكاملة للمجموعتين سيكون من شأنها تسهيل اندماج بايفيلد ضمن المجموعة الأكبر بصورة سريعة وآمنة.

لقد أخفقت بايفيلد في تأمين قيمة حصص المساهمين فيها، وقد أقرت بأنها تواجه مستقبلاً تكتنفه الأخطار كما أنها تخلت عن السعي وراء فرص نمو إيجابية. أعتقد أن العرض الذي تقدمنا به لا يبخس شركتكم قيمتها كما أعتقد أن ضم أيوت وبايفيلد هي فكرة تعكس حساً استراتيجياً ممتازاً. أود منكم الموافقة على العرض.

المخلص

بيتر ج. ألبوري

المدير، أيوت

اليوم ١ +

الثلاثاء ٢ نوفمبر ٢٠١٤

بايفيلد، جولد هوك ميوز، لندن

كُوِّرت بيث ستيوارت قطعة الورق الرقيقة الشفافة التي كانت تغلف شطيرة الجبن والثوم، وألقت بها في سلة المهملات. لم تكن لتعتبر تلك الشطيرة وجبة ملائمة لمديرة مالية في إحدى الشركات وذلك قبل أن تصبح مديرة مالية لبايفيلد وتكتشف كيف كان يتوجب عليها في أحيان كثيرة، قضاء فترة استراحة الغداء في العمل.

كانت بيث قد ناقشت مع جاك، في مناسبات عديدة، مسألة أنماط العمل. وكان رأيهِ، كمدير مدرسة، أن جميع ساعات اليقظة، بل وكثير من الساعات المخصصة للنوم، كانت تنقضي في العمل. فمشاكل المدرسة لا تتوقف في السادسة مساءً، شأن الأنشطة المدرسية ومجموعات كتابة الواجبات المنزلية بعد ساعات الدراسة واجتماعات رابطة الأهالي والمدرسين واجتماعات العاملين في المدرسة والرعب الناجم عن اقتراب موعد زيارة المفتشين والوثائق المتراكمة المتعلقة بالأنشطة المدرسية. عندما أوتِ بيث إلى فراشها في الليلة الفائتة، كان هو منكباً على حاسوبه المتنقل. وعندما استيقظت في السابعة صباحاً، كان لا يزال يعمل. أقسَمَ لها أنه نال قسطاً من النوم لمدة ساعتين - على الأريكة - حتى لا يزعجها، لكنها لم تقتنع بذلك. حاولت إقناعه بأن ما يهم فعلاً هو نوعية ساعات العمل وليس عددها - كان جوابه أن هز كتفيه وعاد للعمل على لوحة المفاتيح. أعدت له بيث قهوة وخبزاً محمصاً وغادرت المنزل.

تدافعت الأفكار في ذهنها، وهي محشورة في زاوية المترو إلى جانب رجل كانت تتبعث منه رائحة تنبئ بأنه لم يستحم منذ شهر، وتذكرت أنها برغم فلسفتها بشأن «النوعية لا العدد»، إلا أنها كانت، بالتأكيد، تقضي ساعات عديدة في العمل -

والمشكلة، أن ذلك لم يكن ليزعجها. كانت تحب عملها، تحب أن تتعلم المزيد عن الشؤون المالية الداخلية والخارجية، أن تتعلم المزيد عن مركز المدينة التجاري، وهو مجال كانت تدرك مدى ضعفها فيه «ضعفٌ يشترك فيه معها عدد هائل من المدراء في البلاد»، وتحب أن تتعلم مجريات العمل اليومية في الشركات من المستوى المتوسط.

كانت بيت تدرك أنها، بوصفها امرأة تحتل درجة عالية على سلم عالم الأعمال، كانت تعيش في عالم مزيف. فلو أنها اختارت وزوجها أن ينجبا أطفالاً، لتغيرت أمور كثيرة. فزملأوها سوف يتوقعون منها أن تكرّس للعمل عدد الساعات نفسها، رغم أنه سيتوجب عليها تكريس بعض الوقت تقضيه مع أطفالها، ولن يلتفت أحد لحقيقة أن تربية طفل قد تجعلها تعيش تجربة لا تقدر بثمن، وأن كونها امرأة قد يجعلها تحمل وجهة نظر مختلفة ومهارات مختلفة، كل ذلك سوف يجري تجاهله عندما يتعلق الأمر بساعات العمل. لقد تغيرت الأمور - فهناك عدد متزايد من النساء ممن يشغلن مناصب عليا، لكنّ هناك ثمناً لكل شيء - وتبقى تلك مشكلتهن لا تخص أحداً سواهن. ولكن، هذا في حال رغبة عالم الأعمال في الانتقال بنجاح إلى القرن الجديد، يمكن أن تتحول هذه المشكلة لتصبح مشكلة الجميع.

ومع ذلك، تبدو الأمور مرضية في الوقت الراهن؛ فقد كانت بيت تستمتع بكل لحظة تقضيها في العمل. هنا كان مكمّن الخطر: لقد استغرقت حياتها المهنية مثلما استغرقت جاك حياته المهنية. لكنهما تنبها للخطر وهذا ما دفعهما للاتفاق على تخصيص أيام الأحاد لنفسيهما، في حال توفّر الإمكانية طبعاً. ومع اقتراب موعد إجراء التفتيش في مدرسة جاك، كان يوم الأحد الذي انقضى هو اليوم الأخير الذي سيكون فيه حريّين من أي ارتباط وذلك لمدة طويلة قادمة. وقد قامت هي بإفساد بهجة اليوم. لم يوجه جاك اللوم إليها، بطبيعة الحال، فقد أدرك أنه لا ذنب لها في أن كراوفورد كان ينوي الاستيلاء على بايفيلد. بل إنه وافقها الرأي، عندما عادت أخيراً إلى المنزل، على أن وضعها المادي سيكون أفضل على المدى الطويل، كانت المشكلة... أن ما حدث قد حدث، وأنهما مهما حاولا، لن يتمكنوا من منع رنين الهاتف.

تتهدت بيث وتناولت الدفتر الذي كانت قد دوّنت عليه بعض ملاحظاتها أثناء الاجتماع الصباحي لأعضاء مجلس الإدارة. كان جميع المدراء الذين غابوا عن اجتماع يوم السبت قد عادوا إلى العمل، رغم أن المدير غير التنفيذي، وورثغتون، كان في «الاستوديو» مع فرقة موسيقية جديدة مؤلفة من بعض الشبان - فكّرت بيث، لم يكن في الأمر أية خسارة، عدا لمتذوقي الموسيقى - ساد الاجتماع جو من الهياج عندما تناقلت الأيدي العرض الذي قدمته أيوت وعبر الجميع عن مشاعر السخرية والازدراء. أحست بيث أن مشاعر السخرية والازدراء تلك لم تكن في محلها، فقد قدّم العرض بأسلوب مُرضٍ، وإذا كانوا يأملون في الدفاع عن أنفسهم ضد العرض، بصورة مقنعة، توجّب عليهم أن يتقدموا بما هو أفضل مما سبق لهم أن قدموه حتى تلك اللحظة. تساءلت بيث في سرّها إن كان الموقف الذي ساد الاجتماع هو سلوك ذكوري، أي أن رجال القبيلة كانوا يستجمعون شجاعتهم بالرقص وقرع الصدور قبل أن ينطلقوا لسحق الغزاة بالعصي. هذا لا يعني، طبعاً، أن أياً من أعضاء مجلس الإدارة في بايفيلد كان ليبدو مُقنِعاً إذا لَوّح بعصا أو قرع صدره. فقد كانوا يتميزون بالسحر واللفظ والهدوء والخبرة، وحتى بشيء من الحكمة التي يفرضها الشيب الذي غزا الرؤوس، لكن لم يكن هناك أي لهفة لخوض غمار المعركة. كان متوسط أعمار أعضاء مجلس الإدارة يتحول ليصبح أكثر شباباً بمرور الوقت، وكانت بايفيلد، باستثناء بيث وتوم سويفت، تواجه هذه النزعة باستخفاف يتسم بالتحجر.

فُتح باب المكتب قليلاً وأطلت سيلينا، مساعدتها الخاصة، برأسها وقالت: «بيث، توم إيريكسون يود مقابلتك».

كان ذلك ينم عن الأسلوب الذي تتصرف به بيث والذي جعل مساعدتها تتصرف باسترخاء دفعها لتوجيه الحديث لها بتلك الطريقة - فقد كان باقي أعضاء مجلس الإدارة في بايفيلد يتصرفون بأسلوب أكثر رسمية مع مساعديهم.

«لا مانع طبعاً، دعيه يدخل». أخفت الموزة التي كانت تهم بتناولها داخل درج مكتبها بينما كان إيريكسون يدلف إلى الغرفة قادماً من غرفة المساعدة.

كان مدير المصادر البشرية في بايفيلد في أواخر الأربعينات، متوسط الطول، عادي الوجه، لطيفاً، لئِنَ العريكة وإن كان لا يفتقر إلى الحزم، كانت بيث تعتبره أقرب أعضاء مجلس الإدارة إلى نفسها. فقد كانت تحب فيه حس الفكاهة الذي قد يتوجه به للسخرية من نفسه أحياناً كما تحب مقدرته على التهوين من شأن أي خطبة تتحول إلى كلمات رنانة، وهي خطب كان أعضاء مجلس الإدارة يميلون لإلقائها، لكن دون أن يجرح مشاعر أحد. كان طيباً مع الجميع - ولم تكن تلك خصلة مفيدة في مجال العمل - بل إن بيث كانت تخشى أن تعرّضه تلك الخصلة إلى كثير من الضغوط.

«أهلاً تيم، كنت على وشك الفراغ من تناول الطعام».

جال تيم بنظره متفحصاً أرجاء المكتب بحركات تحمل شيئاً من المبالغة و كأنه يمثل دوراً في مسرحية جاسوسية هزلية، ثم أغلق الباب بحذر وعناية. ابتسم وكرر ما قاله المدير محذراً بشأن التزام الصمت: «للجدران آذان - وللمساعدين الخاصين... ولسلال النفايات». أمسك بسلة النفايات وأمعن فيها النظر وقال: «أرى ورقة شفافة رقيقة وعليها نقاط دقيقة».

«الواقع أنها بقايا الجبن».

«بيث هل عدت لإهمال الحمية؟...». سحب إيريكسون كرسيّاً وقرّبه إلى الطرف المقابل من طاولة المكتب وقال: «لست بحاجة لذلك».

«تيم الحاجة والرغبة هما أمران مختلفان. والواقع أنني لم أكن، أعني لم يكن وزني ينقص، أنا أحب الجبن، أو لنقل أنني لم أجد غيره في الثلاجة هذا الصباح، أو لنقل إن طبيبي أخبرني بأنه مفيد للبشرة. اختر العذر الذي تحب».

«قد اختارها جميعاً بما أننا في بايفيلد حيث لا يبدو أن هناك من يستطيع اتخاذ قرار بشأن ما يتوجب القيام به...». فرد ذراعيه وقد اتجهت راحته للأعلى، «يا لهذه الورطة المقيتة». رغم ما كان يتظاهر به من مرح، شعرت بيث بأن هناك شيئاً ما عميقاً يكدر إريكسون، شيء يتعلق بالمعركة التي تنتظرهم.

سألته وهي تشعر بالذنب كونها أحست بالإثارة: «هل تعتبرها ورطة؟... لقد أجمع الحاضرون صباحاً على أن...».

«لا قيمة لما يقولون. هل سبق أن فكرت بالطريقة التي نعقد بها اجتماعاتنا؟...».

«تيم لا أعتقد أنني أفهم ما ترمي إليه».

«تعرفين طبعاً أنني أحب صيد السمك».

«نعم - أنت تحب صيد السمك. لم أفهم في حياتي معنى أن يحب الإنسان صيد السمك. يبدو لي مملاً».

«وكأنك تقولين لراهب: إن التأمل ممل. صيد السمك هو تأمل - لكنه ينتهي بوجبة».

«ما أرمي إليه هو أن أسلوبني في الصيد يعكس طبيعتي. هل هذا صحيح؟...».

فتحت بيث درج مكتبها وهي تقول: «تيم أنت لا تمانع طبعاً في أن أتناول موزة، فأسلوبني في الطعام يعكس طبيعتي. أعتقد أنني فهمت ما ترمي إليه: الطريقة التي نعقد بها اجتماعاتنا تعكس الأفكار السائدة في الشركة». سحبت الموزة ونزعت عنها القشرة، «الفريد في ثمرة الموز هو أنها تتضج لمدة عشرة دقائق طوال فترة وجودها، قبل تلك الفترة تكون هشّة جداً، بعد ذلك تراها وقد امتلأت ماء». بدأت تأكل الموزة «امض في حديثك».

«إن كل ما نفعله يعكس أسلوب الشركة، من الشعار إلى الأزهار إلى عدد الأكواب البلاستيكية التي نتركها مبعثرة هنا وهناك بعد أن ينفذ اجتماع مجلس الإدارة. لنأخذ الآن الاجتماعات نفسها: أشخاص يتبادلون أحاديث عقيمة مطوّلة. نبدأ بالأمور الروتينية التي تمتد إلى ما لا نهاية. حسابات وتدبير الشؤون الداخلية. لا شك بأنها مهمة، ولكن بعد أن ننتهي من كل ذلك - بيث أنا لا أوجه إليك النقد...».

«عدا أنني أقدم الحسابات. لكنني أوافقك الرأي».

«نكون قد بدأنا نشعر بالملل من الأرقام واللوحات. يكون حماسنا قد تلاشى قبل أن نبدأ بالكلام الجدي».

«هذا صحيح. الأرقام هي الأملس. إذا لم تكن مُرضية فإننا لا نستطيع أن نجد لها حلاً إلا في المستقبل عن طريق التخطيط». قضمت قطعة من الموزة ثم أضافت: «هذه الموزة لذيذة».

«أنا سعيد لسعادتك. على أية حال، نحن نطلع على الأرقام ثم نلقي الخطب ويتكرر الشيء ذاته: نقضي وقتاً طويلاً مع أشخاص يتحدثون برتابة ويعرضون ما لديهم من خطط، وفي النهاية، لا يتبقى لدينا وقت للقيام بأي شيء سوى تقديم ردٍ سريع. لا يوجد حوار بالتالي لا توجد أفكار جديدة قد تخطر لبعضهم أثناء الاجتماع أو قد تجري صياغتها أثناء الإصغاء لما يقال. بكلمات أخرى، لا يوجد تلاقي أفكار. ليست هناك أفكار نتوصل إليها نتيجة الالتفات إلى مجال كنا قد أهملناه، ننتزعها من الجدار، من الحوار. لا توجد حياة، لا توجد ديناميكية، لا يخرج أي شيء عن نطاق السيطرة، لكن السيطرة ليست بيد رجل واحد. لو كان لدينا مسؤول تنفيذي رئيس مثل جيم كراوفورد، لكان كل ما يقوله أو يفعله يحمل -على أقل تقدير- مزية كون الفكرة فكرته، وهي تثير الاهتمام نظراً لكونه جيم كراوفورد. في حالتنا نحن، من يدير مجلس الإدارة؟... لماذا تقطعين آخر نصف بوصة من الموزة؟...».

ألقت بيت بالقشرة وبالقسم المتبقي من الثمرة في سلة النفايات وقالت: «إذا كان هناك شيء ما في الموزة، دودة أو ما شابه، فستكون هناك. في القاعدة».

«وكيف تعرفين ذلك؟...».

«أخبرني جدي. لقد أخبره العرب عندما كان في الصحراء أثناء الحرب».

«هل أخبره العرب بذلك؟... أعتقد أن لديهم خبرة بهذا الشأن».

« وأنا أعتقد أن جون باركر يدير الاجتماعات ».

« كلا، إنه يترك الاجتماعات تأخذ مسارها: مثلاً، متى كانت آخر مرة حرص فيها باركر على أن يُدلي كلُّ برأيه في مسألة ما؟ ... رأي صريح وصادق. أشهر، سنة - ربما حدث ذلك قبل أن تلتحقي أنت بالشركة. هذا لا يعني أنه يقف حائلاً أمام النقاش، المسألة ليست بهذا الوضوح: الأمر وما فيه أن هناك أشياء معينة لا تحدث لأننا نشعر جميعاً بالضيق أو بالحرج إذا حدثت. لنأخذ الأفكار السائدة في الشركة: لا يمكنك أبداً تحديدها ومع ذلك نراها تترك أثرها على كل ما نقوم به في مجلس الإدارة. ما نقوم به في مجلس الإدارة يتسرب إلى الشركة بكاملها. إذا ساد جو من عدم الوضوح بين المدراء، فلا بد من أن تبدو الأمور مشوشة في المستويات الأدنى من الشركة. وعندما نصل إلى هؤلاء المتهورين الحمقى - أي إلى مستوى التعامل مع الزبائن - ماذا يمكنك أن تَري؟ ... ».

« المبيعات لا بأس بها. ليست ممتازة ولكن... ». توقفت بيث برهة عن الكلام واستحضرت في ذهنها آخر مجموعة من الأرقام قامت بتدقيقها.

استحثها إريكسون على الكلام قائلاً: « ولكن؟ ... ».

« ولكن قد يتوجب علينا التحقق مما يحاول زبائننا قوله لنا ».

« وهل سنقوم بذلك؟ ... ».

« ليس الآن، في خضم ما يجري حالياً ».

« ولكن هل لاحظت شيئاً على غير ما يرام؟ ... ».

« أعتقد لكنني لست متأكدة ».

« ولو كان جون باركر مديراً من نوع مختلف، لكان في استطاعتك التوجه إلى مكتبه الآن مباشرة - أو خلال الأسبوع الماضي - والكشف عما تشعرين به ولكن كان هو قد استجاب فوراً. لكن ذلك لم يحدث أبداً، هل هذا صحيح؟ ... ».

«لم يحدث أبداً».

«ولم يكن السبب أمراً يمكن لك تحديده، فقط لأن...».

«فقط لأن». سحبت نفساً مفاجئاً وهي تسترجع في ذهنها حديثاً جرى بينها وبين باركر بعد شهر تقريباً من التحاقها بالشركة. «لقد طلبتُ منه، بل اقترحتُ عليه إجراء تدقيق حسابات داخل الشركة. لم أطلب تدقيقاً مالياً، بل تدقيقاً يشمل كل شيء، بحيث تتمكن من فحص وسائل التحقق الداخلية، من رؤية أسلوب رد فعلنا إزاء المشاكل المختلفة في الماضي وكيف سيكون رد فعلنا في المستقبل».

«ماذا كان جوابه؟...».

«لم يرفض ولم يوافق. قال إن هذا التدقيق قد يُعيق اتخاذ قرارات عملية ينبغي اتخاذها وبأنه قد يكلف الكثير ثم أغفل الأمر بلطف... كان بيل هاربر موجوداً، أغفل الأمر... وكأنه... وكأن الكلام كان هزلاً... ثرثرة نسائية، رغم أنني كنت قد عيّنتُ لتوي في مجلس الإدارة».

قال إريكسون: «أعتقد أن لديهما الآن سبباً وجيهاً ليشعرا بالندم على قرارهما. وقد نشعر جميعاً بالندم. لأن تلك كانت غلطتنا - كان بإمكاننا... أعني بإمكانني رؤية ما ينبغي عمله ولم أقم بأي تصرف بهذا الشأن». تغير وجهه للحظة. بدا لبيث وكأن الرجل قد هرم عشرين سنة خلال ثانية واحدة: فقد تهدل وجهه وامتعق واكتسى بتعبير قاس، خبت نظرتة، بدأ محركه الداخلي يتباطأ وأصبح على وشك التوقف. استعاد طبيعته بسرعة فائقة وقال: «على أية حال، إن معظم مجالس الإدارة لا تتخذ أية إجراءات قبل فوات الوقت، ثم يجري فصل المسؤول التنفيذي الرئيس من العمل. ما نحتاجه هو مسؤول تنفيذي رئيس بإمكانه مواجهتنا وإبلاغنا بأن الشركة تعاني من مشكلة وطلب مساعدتنا بهذا الشأن».

«ألم يكن هذا ما حدث اليوم؟...».

قال إريكسون: «نعم. إلى حد ما، كان هذا ما حدث اليوم». كان صوته خالياً من أي تعبير، ولم يفصح عن أية ملاحظة تتعلق بأداء بيل هاربر، المسؤول التنفيذي الرئيس، ذلك الصباح، وهو أداء اتسم بضعف لا يخفى.

«هل تعتقد أن الأوان قد فات؟...».

«بيث، لا أدري. قد يكون الأمر كذلك وقد لا يكون. هذا بالنسبة لبايفيلد».

«تيم، أعتقد أن عليك الإفصاح عما يؤرقك». هزت بيث رأسها وسكتت في آخر لحظة قبل أن تندفع في قول كلمات التشجيع التي كانت على وشك أن تقولها. كانت تعرف هذا النوع جيداً. لم يكن إريكسون من نوع الرجال الذين يعترفون علناً بأن هناك ما يؤرقهم، كان عليك التقاط الإشارات ومن ثم حصره ضمن وضع يجد فيه ألا بديل عن الإجابة بصدق. أدركت بيث ذلك في إحدى الأمسيات عندما كانت تزور إريكسون. كان هو وذاك كالمراهقين بينما جلست هي في المطبخ مع ساندرا إريكسون حيث تناولتا مشروباً خفيفاً وفتحت ساندرا قلبها لتتكلم بصراحة، أثارت دهشة بيث، عن مشاعرها كزوجة رجل أعمال. أدركت بيث أنه ليس هناك رجل، أو امرأة، يعيش بمعزل عن الآخرين، وأنك إذا أردت أن تتعرف إلى أحد الشريكين في الحياة الزوجية بصورة أفضل، عليك أن تقضي بعض الوقت مع الشريك الآخر.

«تيم. ابقَ معي للحظة. أنت تشعر بالقلق. لا بأس. أنا أشعر بالقلق إزاء الطريقة التي سأصرف بها خلال الأسابيع القليلة القادمة، وإزاء ما إذا كنت سأخرج من هذه المحنة بصورة مشرقة أو مهينة. أنا أشعر بالقلق لأنني لا أقضي وقتاً كافياً مع زوجي جاك ولأنه لا يقضي معي وقتاً كافياً. أنا أشعر بالقلق لأنني لا أدري إن كان من الواجب إنجاب طفل أم لا، وأشعر بالقلق كوني أشعر بالقلق. والآن بعد أن أفصح لك عن مشاعري، هل لك أن تفصح لي عما يدور في نفسك».

لم يستطع إريكسون إخفاء بسمة تسللت إلى وجهه، قال لها: «بيث، أستطيع أن أتنبأ بشيء واحد: سوف تسير أمورك على ما يرام، مهما حدث».

«هذه كلمات معروفة. امض في حديثك...».

«نعم، يؤرقني القلق. لكن ما أشعر به من قلق أفضل مما تشعرين به أنت لأنه حقيقي. لقد تركت الدراسة وأنا في السادسة عشر. التحقت بالعمل في شركة محلية، لم تكن بالشركة الكبيرة: بعض أصحاب المشاريع الذين كان باركر قد تعهدهم بالرعاية. كنت قد تركت الشركة عندما حدث ذلك. آسف لا أريد أن ينقلب الأمر إلى شيء من نوع «هذه قصة حياتي».

«تيم تابع، لا بأس في ذلك».

«بعد قضاء بضعة سنوات في الشركة الجديدة -كانت شركة للبناء- انتقلت للعمل من الموقع إلى المكاتب. لقد كنت دائماً ماهراً في التعامل مع الأرقام».

«لماذا إذاً لم تتابع دراستك؟...».

«يكمن السبب في خلفيتي العائلية. كان والدي بناءً. والواقع أنه كان أمياً، لا شك بأنك ستصابين بالدهشة لمعرفة عدد الأشخاص الأميين الذين كانوا موجودين سابقاً في بلدنا -وما زالوا موجودين حتى الآن. لكن أعماله كانت تسير بشكل جيد. عشنا في منزل جميل وكانت لدينا سيارة رائعة، كنا نذهب في إجازات ونتمتع بكل ما يمكن للنقود أن توفره. لقد حقق والدي كل ذلك بعمله. لم تكن الدراسة تعنيه في قليل أو كثير. عندما كنت طفلاً، كنت أراقب المدرسين- كانوا يملكون سيارات صغيرة ويرتدون ما كان يبدو لي ثياباً كثيبة المنظر. كان والدي يملك سيارات تخطف الأبصار وكانت والدتي ترتدي ثياباً مثل... مثل زوجة بناء ثري. كان ذلك هو النجاح برأيي، وكنت أضعه في مرتبة تفوق مرتبة تعلم كل معارف المدرسين».

«وهكذا تابعت عملي في الشركة. بدأت أرتقي. مدير محلي، مدير المنطقة، ثم حدث أن توفر منصب شاغر في المكتب المركزي وانتقلنا... بدأت الأمور تأخذ مجراها منذ تلك اللحظة. أصبح بإمكانني القيام بالعمل وتحقيق النتائج. وفي الوقت الذي كان فيه أشخاص آخرون يترددون إلى الجامعات ويحصلون على درجات الماجستير في أداء الأعمال، كنت أنا أملك بفترة تدريب فعلية. كنت أنفذ العمل».

«تيم، أعتقد أن مغزى حديثك قد أخذ يتضح أمامي».

«لا شك بأنه واضح، أليس كذلك؟... عدتُ للعمل في بايفيلد، كانت في ذلك الوقت لا تزال تُدعى شيتروك، بعد بضعة سنوات، أصبحت عضواً في مجلس الإدارة. الغريب أنني بعد أن حققت هذا النجاح، لم يبدُ لي الأمر مثيراً بالقدر الذي كنت أتوقعه سابقاً. لا أريد أن أظهار الآن بأن الأمر لم يكن صعباً في البداية. كان عليّ أن أجهد نفسي في العمل أكثر من السابق، صدقيني بيث لقد عملت بجد عندما كان يُفترض بي ذلك».

لم يكن لدى بيث أي شك بذلك، فقد كان تيم، بأسلوبه الخاص، أكثر الرجال الذين قابلتهم استقامة: لم تكن أفكاره تأخذ أي منحى جانبي. إذا كان هناك كومة من التراب تتوجب إزالتها، فإنه يتناول رفشاً ويبدأ الحفر ولا يتوقف إلى أن ينتهي من إزالة الكومة. أما بيث فقد تستأجر شخصاً يقوم بالحفر أو تسلط خرطوماً من الماء المندفَع بشدة لإزالة كومة التراب بالماء.

«لم يخفَ عليّ أنني لم أكن أتمتع بالخلفية ولا بالثقافة اللتين كان يتمتع بهما معظم أعضاء مجلس الإدارة. بدا الأمر أشبه بكوني جالساً إلى مائدة حيث لا أعرف أية سكين أو شوكة يجب أن أستعمل، أنا أعرف جون باركر، وهو يعرفني. ولكن... من الواضح أنه إذا كنا سنلتحق بركب العالم الخارجي الكبير -إذا كان كراوفورد سيسطولي على الشركة- فلن يكون هناك مكان لأسلوب إدارة يقوم على المحاباة».

«ولكن أليست تلك أيضاً الخلفية التي جاء منها كراوفورد؟... لقد بدأ من لا شيء، ولم يدرس في الجامعة أو في أي معهد لتدريس الأعمال...».

قال إريكسون: «والأغلب أنه لم يشعر بغضاضة حيال ذلك طوال حياته. أما أنا... فمِنذ اللحظة التي جلست فيها بين أعضاء مجلس الإدارة، كانت هناك فكرة صغيرة تُورقني باستمرار: أنت لست على قدم المساواة معهم وسينكشف أمرك يوماً ما. بيث، لقد اقترب هذا اليوم. هذا شيء مخيف لأنني أناهز التاسعة والأربعين وإذا فقدت عملي، فلن أحصل على عمل آخر. سينتهي أمري».

«تيم، دعك من هذا، أنت تعرف أن الأمر ليس كذلك. هناك مئات الشركات التي...».

«ستطلب مني أن أكون عضواً في مجلس إدارتها؟... لن تفعل أي شركة ذلك.

ماذا بإمكانني أن أضيف للشركة، ما نوع الخبرة التي أحملها؟... إن كل ما أعرفه عن الإدارة يعود إلى خمس عشرة سنة خلت. لم يسبق لي أن كنت عضواً إلا في مجلس إدارة واحد - حتى أنني لم أجرب منصب مدير غير تنفيذي في أية شركة أخرى. لا أستطيع تدريس إدارة الأعمال لأنني لا أتمتع بخلفية أكاديمية».

«هل فكرت بالقيام بشيء آخر؟... بإنشاء شركة لصيد السمك». كان على بيث أن تعترف في سرها: الفكرة سخيصة من أساسها.

«بيث، أنت شابة. بالتالي، منطقتك في الحياة تتوفر على آفاق لا حدود لها. أما أنا فلا يمكن لي أن أتطلع إلى مثل تلك الآفاق».

«دعك من هذا الكلام، التاسعة والأربعون ليست سنأ متقدمة».

«لكنه متقدم إلى حد ما. فأنا لا أستطيع أن أستيظ في الخامسة صباحاً وأن أعمل تسعين ساعة في الأسبوع، لم يعد في طاقتي أن أقوم بذلك. كما أنني لا أستطيع أن أبدأ من جديد. فلا بد للحياة والتجارب والمشاق والنجاح أن تغيّر فيك أشياء كثيرة. أنا الآن أمثل خلاصة الحياة التي عشتها، وشأن كثير من الرجال، كانت حياتي هي عملي. العمل هو الشيء الذي كان يشغل معظم أوقاتي. أنا أدرك مدى ضرورة تغيير الأمور، لكنني لا أعتقد أنها تتغير. أنماط العمل تتغير، الناس يغيرون أعمالهم باستمرار. لكن تلك الأعمال، أعني تلك الأشياء التي نقوم بها، لا تزال تشكل الجزء الأهم من حياتنا. نحن نستقي معنى وجودنا من عملنا، وعندما يُسلب منا هذا العمل، لا يعود لنا وجود».

أشاح بوجهه عنها، لكنه لم يستطع إخفاء نبرة الكرب التي كانت تغلف صوته ولا حركات أصابعه العشوائية المتكررة. نهضت بيث من مكانها ودارت حول طاولة المكتب ثم وضعت يديها على كتفيه وقالت: «علينا إذاً أن نبذل كل ما بوسعنا للحيلولة دون استيلاء كراوفورد على شركتنا».

هيدلانند، ويتشيرش هيل، أوكسون، ١٥:٠٠

كانت هيدر باركر تشعر دائماً أن الشتاء يضفي على الحديقة سحراً خاصاً. الأغصان العارية، الأوراق المتساقطة التي تتطاير مع هبات الهواء، التغير الذي يطرأ على الألوان وعلى جوهر الأشياء، ثمار العليق وحتى حبات برقوق السياج القليلة المتبقية على الشجيرة الواقعة على حافة ممر الحديقة. لم تكن هيدر ترى في الشتاء فصلاً خالياً من الحياة، بل فصل سكون وترقب. فَتَحَتِ الأوراق، وتحت لحاء الشجر، وفي الأغصان وشجيرات السياج كانت الحشرات والطيور تتابع حياتها الطبيعية، حسب تلك الأنماط الدورية الشاملة المستمرة لقرون في الريف الإنكليزي.

لم تكن تلك بالفكرة الخلاقة، لكن هيدر لم تكن امرأة خلاقة، و لم تكن تتظاهر بغير طبيعتها. تلاحقت تلك الأفكار في رأسها وهي تغلغ القفازين السميكين، اللذين ترتديهما للعمل في الحديقة، وتدسهما في جيب المريلة. لقد حان وقت الذهاب بالسيارة لإحضار كليز من المدرسة لتبدأ دورة أخرى: قصص كليز حول أحداث اليوم وحول صديقاتها ومهرها الصغير والواجب المدرسي وعدد الساعات التي سيُسمح لها فيها بمشاهدة التلفزيون. كانت هيدر تتمنى لو أن كليز تقضي وقتاً أطول في المطالعة، لكن يبدو أن الأطفال لم يعودوا يميلون للمطالعة مثلما كانت هي في طفولتها، عندما كان عالم الكتب أفضل من الحياة الواقعية، من كافة الأوجه.

كان قد بقي على موعد انطلاقها عشر دقائق. وبينما كانت تقف في الردهة تغلغ جزماتها برفق، نظرت إلى الهاتف بتردد. منذ أن عاد جون من نادي الغولف يحمل تلك الأخبار - لم يكن يخطر ببالها أي اسم آخر، لقد كانت أخباراً - وهي تفكر بالاتصال ببول هاتفيًا. لكن جون عارض الفكرة، وكان يردد، دون أن يُخفي الكذب في كلماته: «لا حاجة لإزعاجه، لا بد أنه مشغول بشؤون أبناء أبرشيته. دعي الأمور على ما هي عليه، سأكتب له في ما بعد وأخبره».

كانت هيذر تدرك أن السبب الحقيقي هو أن جون لم يكن يحتمل فكرة أن يصبح مثار شفقة ابنه، كان شعوره ذاك مريعاً. كانت هيذر ترغب أحياناً في أن تصرخ في وجهه بكل ما تعانيه من إحباط: لا تكن أحمقاً بهذا الشكل. لكن ذلك، بالتأكيد، لم يكن ليجدي نفعاً. هزت هيذر رأسها وهي تدمدم: ما أسخف الرجال.

نظرت إلى الساعة الموجودة في الردهة. لقد بقي سبع دقائق. تناولت الهاتف وطلبت رقم بول. وبينما كان جرس الهاتف يرن، تساءلت في سرّها ثانية إن كانت قد ارتكبت خطأ، لكن في تلك اللحظة رُفعت السماعة في دورسيت.

«مرحباً، هنا مقر القسيس».

«بول؟....».

«أمي، مرحباً، كيف أحوالك؟....».

انعكس السرور الواضح في صوته على وجهها. شاهدت وجهها في المرآة المواجهة لها في الردهة وقد ارتسمت عليه ابتسامة عندما تنأى إلى سمعها صوته وهو يحييها بنفس الطريقة التي كان يحييها بها عندما كان طفلاً.

«أحوالي جيدة. لقد كنت أعمل في الحديقة....».

«..... وأنت الآن على وشك الذهاب لإحضار كليز».

قالت: «أنت تعرف برنامجي المعتاد يا عزيزي».

«أعرف طبعاً. وكيف أحوال الإعصار هذه الأيام؟... لقد تلقيت منها الأسبوع الماضي بطاقة عليها تمساح، «كانت كليز لا تتوقف عن إرسال البطاقات الطريفة إلى كل من تعرفه دون استثناء» ولم أتمكن حتى الآن من العثور على بطاقة مناسبة لأرسلها لها. أخبرتها بأنني سأرسل لها بطاقة بمجرد أن أعثر على واحدة رُسم عليها دودة الأرض».

«أحوالها ممتازة. تسير تدريبات ركوب الخيل على ما يرام، رغم أنني أشعر بالقلق في كل مرة تمتطي فيها صهوة سنودروب».

«هذا طبيعي. لا تقلقي، ستجري الأمور على ما يرام. كيف أحوال المدرسة - هل اشتركت هذا العام في مسرحية ميلاد المسيح؟...».

«لم يعد هناك من يقدم هذه المسرحية، على الأقل في مدرستها. أعتقد أن المسرحية هذا العام ستكون حول وضع المشردين ليلة عيد الميلاد».

أطلق ضحكة خافتة وقال: «أعتقد أن هذا شيء رائع». شعرت هيذر، مثلما كانت تشعر في كثير من الأحيان، بالدهشة إزاء النضج الذي كان يتبدى في صوته. «وماذا عن والدي؟...» لم تفتها ملاحظة التردد الخفيف في صوته، «هل ما زال يدير العالم؟...».

«إنه بخير» كذب وجهها الظاهر في المرأة كلماتها. «إذا أخذنا بالاعتبار...».

ساد الصمت لبرهة - قال بول: «أمي، إذا أخذنا بالاعتبار ماذا؟...».

«لم يكن يرغب في أن تعرف بالأمر... هناك من يريد الاستيلاء على الشركة».

«الاستيلاء على الشركة؟... هل تعنين فصله من العمل؟... هل بإمكانهم أن يفعلوا ذلك؟...».

«كلا، لا أقصد ذلك، أعني نوعاً آخر من الأعمال».

«أعتقد أنني أدركت ما ترمين إليه. تلك الأمور التي يتناولونها في الصفحة التي لا أقرأها مطلقاً. أخبار المال».

«صحيح. هناك شخص يدعى كراوفورد، تريد شركته الاستيلاء على شركة والدك. لقد قدمت شركته عرضاً بهذا الشأن».

قال بول: «لا أعتقد أنني أفهم هذه الأمور جيداً. ماذا يعني ذلك، بالتحديد، بالنسبة لوالدي؟...».

«قد يخسر الشركة. لكنني لست واثقة من أن ذلك هو ما يقلقه. لا شك بأن خسارة الشركة ستكون مؤلمة بالنسبة له، لكن هناك شيء آخر. شيء ما يكمن في علاقته بالرجل المدعو كراوفورد. أنا لا أعرف ما هو. وقد لا يكون في الأمر أي شيء، مجرد منافسة ضمن ميدان الأعمال».

«لن يلقى بكم على قارعة الطريق، أليس كذلك؟...».

«كلا، لن يحدث شيء من هذا القبيل. في ما يتعلق بالمال، لن يؤثر علينا الأمر في شيء. سيمضي في لعب الغولف بهذا الأسلوب السيء في نأديه. المشكلة ليست هنا».

أطلق ضحكة مشوبة بمرارة لا يمكن إخفاؤها. فبعد كل المشاكل التي أثّرت حول ميوله الجنسية، لازال المال هو المشكلة. لم يشعر بول في حياته بالاستحسان إزاء ثروة والده. ومع أنه لم يكن يعارض الأعمال بحد ذاتها، إلا أنه لم يكن، بصورة ما، يشعر بالراحة إزاء فكرة التعايش معها. كان قد جرى كثير من الجدل بينه وبين جون بشأن القيمة التي تحملها الأعمال، لكن أياً منهما لم يتمكن من فهم وجهة نظر الآخر، رغم أن هينذر لم تستطع أن تقرر ما إذا كانت المشكلة تكمن في «وجهة النظر» أم في «الآخر». صحيح أن الشكوك كانت تراودها بأن المشكلة كانت في «الآخر»، لكن الجدل كان يتحول إلى جدال نظري في اللحظة التي يتمكن فيها أحدهما من العثور على فكرة ينطلق منها لشن هجوم عنيف. أما بشأن من هو المخطئ بينهما - كانت هينذر تشعر على الدوام بأن بول جاهز للعودة وللنسيان وللصفح عند أية بادرة يقوم بها والده تتم عن الرغبة في إصلاح ذات البين. لم تأت البادرة حتى تلك اللحظة. لم يكن أمامها سوى أن تصلي -أو أنها كانت لتصلي لو أن إيمانها ظل على حاله- لكي تعود الأمور بينهما إلى مجاريها قبل فوات الأوان.

«أمي؟...». عندما سمعت صوت بول، أدركت أنها كانت لثوان تحديق شاردة في المرأة.

«أسفة يا حبيبي، كنت أفكر بك وبوالدك».

«آه ، تفكرين بنا . هل هناك ما يمكنني القيام به؟... كنت سأقترح المجيء لزيارتكم، لكنني لا أعتقد أن ذلك سيفيد بشيء».

«أنا أود رؤيتك وأعرف أن كليز أيضاً تود لو تراك».

«إذاً، لماذا لا آتي؟... بإمكانني ترتيب أموري بحيث أقضي معكم أمسية بكاملها».

في اللحظة التي عرض فيها بول المجيء، شعرت بالتردد يتسلل إلى صوتها وكرهت نفسها بسبب ما ستقوله - «لماذا لا تأتي بعد ظهر أحد الأيام...». لأنها كانت تعرف ردة فعل ابنها.

«اسمعيني جيداً. أنت أُمي وكليز شقيقتي الصغرى، وهيدلاندرز هو مرتع طفولتي. لن أقوم بزيارة تسوية. لن أتسلل في الخفاء كي أجنب والدي مواجهة العار الذي سوف يلحق بالعائلة. أُمي، أعلم أنني يجب ألا أقول ذلك، لن أتسلل في الخفاء إلى أي مكان، وبخاصة إلى منزل والدي».

تهددت هيذر ورأت وجهها في المرأة وقد غاضت منه السعادة. «بول، أنا أعرف ذلك. لقد قلت ذلك لأنني أحب كليكما وأحب أن يلتئم شملنا و...». لم تستطع أن تنتهي جملتها لأنه لن يفهم أبداً، مثلما أن جون لن يفهم أبداً. كلاهما لن يفهم، كانا كطفلين. كانت يخطر لها أحياناً أن الأمهات هن المخلوقات البشرية الوحيدة على ظهر الكوكب التي تتمتع بالنضج. تمالكت نفسها، لأنها كانت مضطرة لذلك، وقالت: «سأرى ما يمكنني عمله. أعتقد أن والدك لا يمانع حالياً في الحصول على بعض الدعم».

«جيد، لن يكلفه الأمر سوى إيماءة، وسأحضر فوراً».

«على أية حال، لقد نفذ الوقت. عليّ أن أذهب وإلا تأخرت على كليز وهي تكره أن تتسكع».

«صحيح. وأنا... أُمي، أتمنى لو كان الأمر أسهل، لكنني أفكر بك وأصلي من أجلك. من أجلكما معاً. من أجلكم جميعاً».

«شكراً يا حبيبي، وداعاً».

«وداعاً، ليباركك الله».

أعادت سماعة الهاتف إلى مكانها. ساد الصمت من حولها، كان بإمكانها الإحساس بدوران الأرض عبر الفضاء. ثم سمعت صرخة ثعلب. لا بد وأنه في ممر الحديقة. كانت تلك الحيوانات تقترب شيئاً فشيئاً بمرور الأسابيع، وقد يخطر لها في إحدى الليالي أن تنتقل للعيش هنا ليعود المنزل وكل ما يحويه إلى وضعه الطبيعي البدائي.

هزت رأسها وتناولت معطفها المعلق على الخطاف ومفاتيح سيارة الرينج روفر من على طاولة الهاتف وغادرت المنزل لإحضار ابنتها.

لايتولير، باكمان أند غيل، دار RG . بيشوبس غيت، لندن، ١٥ : ٤٥

كان بيشوبس غيت، في مركز مدينة لندن التجاري، يزهو ببنائه الذي يمثل أروع آيات الفن المعماري الحديث في البلاد، لكن جون باركر لم يلاحظ كل ذلك بينما كان يقبع داخل سيارة مستأجرة في طريقه إلى مقر المصرف التجاري للشركة بصحبة بيث ستيوارت. كانا في طريقهما لمقابلة نيك سبيلر من المصرف، وبوبي كينغ، من وكالة العلاقات العامة. كان قد سبق لبيث أن قابلت سبيلر بضعة مرات في مناسبات اجتماعية، كما قابلته مرة لمناقشة إمكانية إصدار أسهم جديدة، وكان رأيها أن خلفيته المهذبة، الناتجة عن الدرجة التي يحملها من جامعة أكسفورد في العلوم الكلاسيكية، كانت عتيقة الطراز وتناسب عمله كمصرفي شركة باي فيلد إلى حد فريد. هذا لا يعني طبعاً أنه لم يكن يتمتع بذكاء حاد، فقد كان يدرك اتجاه مسار الأمور كما كان يعرف العاملين في مصارف الاستثمار الأميركية، وكانت مصادر معلوماته لا تقل شأنًا عن مصادر أي شخص آخر. فكّرت بيث ، لا بد لهذه المصادر من أن تكون كذلك.

نظرت إلى جون باركر الجالس إلى جوارها في المقعد الخلفي العريض. كان غارقاً في لجة الحسابات والمخططات والكوايبس التي يُتَوَقَّع حدوثُها. فقد كان شارد الذهن أثناء الاجتماع الصباحي لأعضاء مجلس الإدارة، ولم يتفوه بكلمة عندما التقيا في البهو لانتظار السيارة. كان يبدو كمن فقد كل شيء: رجلاً مسناً منهك القوى، كما تلاشى السحر الذي كان يسم شخصيته، وبدا، كما يقول التعبير المتداول، وكأنه قد أُفْرِغَ من محتوياته. كانت بيث تتفهم مشاعره، فقد كان باركر، من أوجه عدة، أكثر ارتباطاً بشركة بايفيلد وبمستقبلها من تيم إريكسون. لقد أسس شركة عائلية وقام بأعمال توسع واستيلاء وحوّل الشركة إلى ملكية مشتركة، وراقبها وهي تنمو وتتجح ليطرحها تنزل من بين أصابعه، تماماً مثلما انزلقت الحقيبة الجلدية السوداء من فوق ركبتيه. تناولت الحقيبة وأعادتها إليه.

«شكراً بيث. لقد كنت شارد الذهن تماماً. هل وصلنا؟...».

انحنى بيث لتتمكن من إمعان النظر عبر زجاج النافذة المعتم قليلاً كي ترى الصرح الشاهق لدار RG. غمرها إحساس عارم بالإثارة لكونها هنا الآن، في تلك اللحظة، في معمعان المعركة. هدأت السيارة من سرعتها وتوقفت أمام عدد من الدرجات المهيبة التي كانت تليق بأن تكون خلفية مسرحية لرواية عن الإمبراطورية الرومانية. ولكن، بما أنها كانت خلفية حقيقية لإمبراطورية عالمية حديثة، يمكن اعتبارها مناسبة. خرج السائق الذي يرتدي بزة رسمية من مكانه بسرعة وفتح باب السيارة لباركر تاركاً بيث تخرج من السيارة وحدها. كان ذلك التصرف، أيضاً، يشي بشيء ما عن الإمبراطورية الحديثة. قال باركر، وهما يصعدان تلك الدرجات المهيبة: «أشعر دائماً بأنني سأضل الطريق في هذا المكان. أعرف أنهم قد رسموا خطوطاً بدهان أصفر على جميع الأرصفة كي تتمكني من الوصول إلى قاعة بارييكان للحفلات الموسيقية أعتقد أن عليهم أن يفعلوا الشيء ذاته هنا».

كان اليوم معتماً وكان الجدار الزجاجي الضخم في مواجهتهما، -والمحاط بدعامات ذات لون رمادي غامق-، يعكس لوناً رمادياً متجانساً. كانت هناك صبغة عسكرية تلف المكان بأسره - وكأن الأشخاص داخله لا يأخذون أسرى ولا يبادلون رهائن.

لمست بيت كوع باركر برفق لتدله على الباب الصحيح، اجتازا الباب ووجدا نفسيهما في ردهة بالغة الاتساع - أقرت بيت في سرها بأن مجرد وجود هذا القدر من المساحات غير المستغلة، رغم ارتفاع تكلفتها، كان يترك وقعاً قوياً في النفس. فقد كان يعني: أن من يملك طابقاً في هذا المبنى، لا بد أن يكون جدياً صارماً. لقي ذلك الشعور هوى في نفسها.

اقتربت منهما امرأة صغيرة الحجم ترتدي ثياباً سوداء، كانت تنورتها بالغة القصر، شديدة الضيق تناسب سيدة أصغر منها عمراً وأطول قامة، قدمت إليهما بطاقات تعريف الشخصية وقالت: «السيد باركر، السيدة ستيوارت، أهلاً بكما. فكرت أن من الأفضل أن أنزل لانتظاركما - فهذا يوفر الكثير من الوقت والمشاكل. كيف كانت رحلتكما؟... آمل أن تكون على ما يرام. أعتقد أنكما جئتما بسيارة مستأجرة، أعتقد أن هذا أفضل من سيارة أجرة. والآن لا داعي للقلق، هناك قهوة بانتظاركما في الأعلى لكننا لن نصعد الدرج بكل تأكيد. هذا المكان رائع بصورة لا تصدق، ألا يخطف الأبصار؟...». بلغوا المصعد قبل أن تتوقف السيدة بوبي كينغ الصغيرة عن الكلام. أدخلتهم إلى المصعد و ضغطت زراً. ثم عاودت الكلام عندما بدأ المصعد بالارتفاع، بصمت وبسرعة كانت كافية لتشعر بيت بتأثير الجاذبية الأرضية، «أنا نفسي أشعر بأنني غريبة هنا، لقد كنت أعمل مع زوجي السابق بيرى كينغ في شركة كينغ أسوشييتس، لكنه كان دائماً يخطف الزبائن الأذكاء لنفسه. ثم اختطف امرأة ذكية لنفسه، لكنه لم يكن بالذكاء الكافي وبسرعة، تم الطلاق. ها نحن قد وصلنا بسرعة. أسرع من بيرى».

خرجت من المصعد وسارت تتأرجح فوق كعبين شديدي العلو، تاركة خلفها باركر وبيث يتبادلان النظرات: الحمد لله على أنهما لم يمكثا في المصعد سوى فترة قصيرة وإلا لم يكن ليعلم سوى الله ماذا يمكن أن ينكشف أمامهما من حياة بوبي الخاصة.

وجدا نفسيهما، مرة أخرى، في رواق شكّلت فيه المساحات الخالية جزءاً من معالم التصميم. كان في أحد طرفي الرواق طاولة مكتب بشكل هلال رقيق مصنوعة من الفولاذ جلست خلفها سيدتان أنيقتان، لكنهما لم تكونا بارعتي الجمال، في الثلاثينات من العمر. سجلت السيدتان اسميهما وقادتهما بوبي إلى عقر دار لايتولير، باكمان أند غيل: ممرات عريضة تتسع لمباراة تنس، مضاءة من الأسفل بإنارة خفيفة، سجادات يهفو المرء للنوم عليها، ولوحات تدعو للشك بأنها أصلية - وبأنها، إذا كانت كذلك، فإن أسعارها تبلغ أرقاماً فلكية.

قالت بوبي بسرعة: «نكّ بانتظارنا» وقادتهما إلى باب دخلا منه ليجدا نفسيهما في مساحة فارغة أخرى. نهض نكّ سبيلر من مقعده وتقدم باتجاههما ماداً يده لمصافحتهما: «جون، أنا مسرور لرؤيتك».

قال باركر وهو يصافحه: «كنتُ أفضلُ ألا أضطر للمجيء إلى هنا». راقبتُهما بيث في محاولة لمعرفة ما إذا كانا ماسونيين - فقد كانت تشك أن باركر كان ماسونياً، لكنها لم تر أي حركة ضغط بالإبهام، أو لعلهم غيروا تلك الحركات بعد انكشاف أمرها.

أخذ سبيلر يدها بكلتا يديه وصافحها وهو يقول: «سيدة ستيوارت، كيف أحوالك؟...». كان هناك شيء ما في شخصه يوحي بالانفتاح والبساطة - إذا كنت في الشارع، وأردت معرفة الوقت، كان سبيلر من الأشخاص الذين يمكن أن تستوقفهم للسؤال. كان يوحي بالثقة.

«أنا بخير، يمكنك أن تتاديني باسمي بيث، رجاء».

قالت بوبي كينغ، فهي لم تكن من الأشخاص الذين يمكن تجاهل وجودهم: «هل ترغبان بالقهوة؟...».

قالت بيث، وهي تقلد نبرة بوبي دون أن تعي ذلك: «أعتقد أن كلينا بحاجة لفنجان قهوة، جون، أنت تشرب قهوتك دون حليب، أليس كذلك؟...». أوماً موافقاً، «أنا أريد قهوتي مع حليب، بدون سكر» يبدو أحياناً أنه لا يمكن تحقيق شيء عند مستوى معين في المصارف التجارية دون تلك الصينية الفضية التي تتربع في كل مكان و عليها فناجين القهوة الخزفية البديعة والبن الطازج «عند هذا المستوى كانت القهوة من نوع بلوماونتين - وهو النوع الجدير بالشخصيات المهمة»، ودون الاختيار بين الحليب أو الكريمة أو بين أنواع البسكويت: عادي أم مع شوكولا، أو الكعك المصنوع بالزبدة.

اتجهت بوبي نحو الطاولة وصبت القهوة. أخرج سبيلر من درج مكتبه وثيقة. كانت مذكرة العرض التي تم توزيعها - نفس المذكرة التي كانت الشغل الشاغل لأعضاء مجلس الإدارة أثناء اجتماعهم ذلك الصباح - كانت عملاً لا أثر فيه للتبجح، ليس فيه ما ينم عن التخطيط، خالٍ من البهرجة والتباهي، كلمات شديدة الوضوح كتبها قاتل محترف يتقن عمله.

سأله باركر: «هل قرأتها؟...».

أجاب سبيلر وهو يقلب الصفحات بتكاسل: «نعم جون لقد قرأتها. إنه أوين بوير من ويماو، باترنوستر. لا ريب بأنه سفاح، لكن لا يمكن الشك بأن العمل متقن». ترك الوثيقة لتسقط داخل الدُرَج وانتظر قليلاً بينما كانت بوبي تقدم لهم القهوة، ثم سحبت كرسيّاً وجلست إلى جانبهم.

سأله باركر: «ماذا ترى؟...».

«ماذا أرى؟... أرى أن عليك أن تبيع».

هناك لحظات يتغير فيها جو الغرفة من جو مريح إلى جو يثير القشعريرة، لكن جو مكتب نك سبيلر تخطى تلك الحدود، لقد تحول إلى قطعة من القطب الشمالي.

انحنى نك سبيلر فوق طاولة المكتب وقال: «تمهّل. استمع لما سأقول قبل أن تفقد أعصابك». ألقى نظرة خاطفة على بوبي، فكّرتُ بيث: لا بد أن في الأمر شيئاً يتجاوز الخيانة، وإلا لماذا تم استدعاء ممثلة شركة العلاقات العامة.

قال سبيلر: «جون، فكر بالأمر بروية، وكأن الشركة لا تخصك. تخيل نفسك أحد المساهمين».

«نك أنا أحد المساهمين»

«رائع. إذاً، اقرأ هذه الوثيقة لترى أن بايفيلد هي شركة تُدار بأسلوب معقول وتسير أعمالها بشكل معقول وتحقق أسهمها عوائد لا بأس بها. بالمناسبة كم يساوي السهم حالياً؟».

قالت بيث: «٩٠ بنساً، أي أنه ارتفع عن الأسبوع الماضي حيث كان ٨٢».

قال سبيلر: «الأرجح أنه سيعود إلى ٨٥ ويستقر هناك لفترة. إذاً جميع أمور الشركة تسير ضمن الحد المعقول. يأتي جيم كراوفورد ويقول: «معقول!... شيء مقرف، بإمكانني القيام بما هو أفضل. انظروا إلى ما أحققه من نتائج. ادرسوا العرض الذي تقدمتُ به». يدرسه المساهمون، ويبدو بالنسبة لهم جيداً. جون، العرض جيد، جيد بوضعه الحالي، أعني من وجهة نظر المساهمين. ما أود قوله، وأنا هنا لا أحاول أن أثبت من عزيمتك، هو أنك إذا كنت ترغب في خوض المعركة... وأعتقد أن هذه هي رغبتك؟...»

«نعم، أنوي خوض المعركة».

«عليك إذاً أن تعي جيداً المشاكل التي تعانيها بايفيلد، وعليك أن تدرك بأن المعركة ستكون شرسة، معركة، قد تخرج منها خاسراً - رغم كل ما نستطيع القيام به. هناك نقطة أخرى، وهي أن هذه المعركة ستجذب قدراً لا بأس به من اهتمام وسائل الإعلام. صحيح أن الأمر هنا لا يتعلق بفودافون ومانيسمان، أو بينك اسكوتلندا ونات ويست، إلا أن الصفحات الخاصة بالأعمال لا بد وأن تتناوله...».

قالت بوبي وهي تمسك عدد ذلك اليوم من الفارديان، شغل فيه مقال لهيوميد مكاناً بارزاً: «لقد بدأتُ وانتهى الأمر».

«هذا يعني أنك ستجد نفسك في مركز سوق الأوراق المالية. مجال السوق صغير ووضع الأسهم حالياً لا يبعث على القلق، لكن الناس يتلفتون حولهم بحثاً عن الفرص ويرسمون الخطط».

قاطمته بيث قائلة: «هل تعني أننا إذا تمكنا من مقاومة أيوت، فقد تستولي علينا شركة أخرى عاجلاً أم آجلاً؟...».

«هذا هو بالضبط ما كنت أرمي إليه. لقد ولت تلك الأيام التي كان فيها بإمكان شركة تلقت عرضاً علنياً أن تتوقع الاستمرار في البقاء لسنوات دون أن يستولي عليها أحد. لم يعد السوق يعمل بهذا الأسلوب. عد بذاكرتك إلى عشرين سنة خلت، إلى الشركات الثلاثين التي كانت تُعتبر آنذاك في القمة، كم شركة منها حافظت على وضعها ككيانات مستقلة؟... اثنتان أو ثلاثة، جون، النمو والتغيير هما مفتاح النجاح....».

تناول باركر فنجان القهوة وقال: «نك، أنا لا أخالفك الرأي. أنا أقرأ الفايينشال تايمز، وأحمل رأساً بين كتفي. أعرف ماذا يمكن أن يحدث لاحقاً. لكنني، بكل بساطة، لا أريد لشركة ساهمت في إنشائها وإدارتها منذ أن بدأتُ العمل في بايفيلد أن تقع بين يدي جيم كراوفورد. بل سأمضي إلى أبعد من ذلك - سأبذل كل ما بوسعي للحيلولة دون حدوث ذلك. هل وضحتُ وجهة نظري؟...».

«نعم»

شرب باركر قهوته وقال: «إذاً ماذا سنفعل الآن؟...».

ضرب سبيلر بأصابعه بخفة على مذكرة العرض قائلاً: «نصدر اليوم بياناً صحفياً في محاولة لكسب الوقت - ثم نقوم سوية بإعداد وثيقة دفاع خلال عشرة أيام أو اثني عشر يوماً ليتم توزيعها على المساهمين. سنحاول - بأسلوب حذر طبعاً - تغيير آراء الجميع بشأن كراوفورد، على الصعيد العام وضمن المركز التجاري، ويقع جزء من هذه المهمة على عاتقك بوبي....».

قربت بوبي الكرسي الذي كانت تجلس عليه إلى الطاولة وقالت: «سأجري اتصالاتي مع رجال الصحافة والإذاعة الذين أعرفهم لمعرفة ما إذا كان باستطاعتنا التوصل إلى ما يمكن استخدامه كبذرة لزرع الشك في نفوس المساهمين. لا ضرورة لأن يكون أمراً كبيراً لأن المساهمين الذين لا يشاركون في الإدارة في شركتكم يميلون لأن يكونوا محافظين....».

قالت بيث: «أشعر بقلق أكبر إزاء المدراء الماليين». كان شعورها بالقلق قد بدأ منذ اليوم السابق عندما كانت تعمل على إعداد خطة التقاعد الخاصة ببايفيلد وتقارن أدائها بأداء الاعتمادات الأخرى وتقوم، على ضوء عملية الاستيلاء، بدراسة مدى القوة الفجة التي يتمتع بها مدير مالي، يتعامل بعشرين مليار جنيه إسترليني - وهي قيمة مبالغ التقاعد الحالية، ضمن الأسواق المالية.

قال سيلر: «لا شك بأنهم يتمتعون بنفوذ كبير، لكنهم يُعتبرون مسؤولين بصورة عامة، ولذلك فإنني واثق من أنهم لن يندفعوا للمجازفة. بل لا حاجة بهم للقيام بذلك، وأعتقد أنه سيكون بإمكاننا استغلال ذلك الحذر الطبيعي لصالحنا. والآن، وقبل أن أشرع بالتدقيق في الأرقام لكي أبدأ بإعداد النواحي المالية في وثيقة الدفاع، أعتقد أن علينا بحث إستراتيجية الدفاع العامة وتحديد الأساليب التي قد نتمكن من استخدامها لإثارة المتاعب أمام العرض المقدم».

أجاب باركر بنزق: «هذا هو الهدف من مجيئنا». بدا وكأن مزاجه قد بدأ يتحسن بما أن معركة الدفاع قد بدأت. فتحت بيث دفتر الملاحظات، أمسكت بالقلم وأخذت تنتظر.

«إذاً، النقطة الأساسية هنا هي أن أمامنا حالة استيلاء عدائية تحاول فيها أيوت أن تمتلك إمكانية السيطرة على بايفيلد عن طريق شراء ما بين ٤٥ - ٩٠ بالمائة من أسهم التصويت. وهم يعرضون حالياً ثلاثة أسهم من أيوت وفوقها دفعة نقدية مقابل سهمين من بايفيلد».

قال باركر: «هراء، هذا ليس كافياً. ما هو سعر سهم أيوت اليوم؟....».

قالت بيث: «هبط بمعدل سبعة بنسات عن يوم الجمعة».

قال سبيلر: «جيد. هذا يعني أن هناك قدراً من الشك الطبيعي في كراوفورد موجود سلفاً في الأجواء. بإمكاننا البناء على هذا الأساس».

أضافت بوبي وهي تكتب بسرعة في دفتر ملاحظاتها: «بإمكاننا طبعاً. ليس هناك مكان، عدا صالونات تصفيف الشعر، تسري فيه الإشاعات بقوة مثل مركز المدينة التجاري. أشعر دائماً أن من الغباء ألا نعتبر الخدمات المالية فناً، المصرفي الجيد بحق، يمكن له اللعب على أوتار الأسواق مثل... عازف الكمان».

ضحك سبيلر وقال: «هذا يجعلني أحمرُّ خجلاً. جون، نحن الآن في خضم دراما تاريخية يلعب فيها كراوفورد دور الفارس الأسود القادم لمهاجمة قلعتك. دعونا أولاً نتفحص دفاعاتنا داخل أسوار القلعة: الزيت المغلي والجنود المدجَّجين بالسلاح. ماذا يتوفَّر لنا من وسائل يمكننا بواسطتها أن نجبره على فك الحصار؟...».

بدا الرضى على وجه سبيلر لهذا التشبيه. كتبت بيث في دفتر ملاحظاتها: «حالة حصار، دفاعات داخلية». ثم رسمت قلعة نورماندية داخلها بعض النورماندين يقبلون وعاءً ضخماً مليئاً بالزيت المغلي فوق رؤوس المهاجمين.

«نملك أولاً مظلات قفز ذهبية، وفضية ومظلات من الصفيح أيضاً إذا أحببت».

تساءلت بيث: «فضية، من الصفيح؟... ثم رسمت رجلاً يقفز عن الجدار بواسطة مظلة».

«المظلة الذهبية هي اتفاق يُبرم مع كبار العاملين في الشركة يُدفع لهم بموجبه علاوة فصِّل في حال تم صرفهم من العمل قبل انتهاء عقودهم. إذا كانت هذه العلاوة عالية، فلا بد لأي شخص يحوم حول الشركة من أن يسأل نفسه، هل بإمكانني تحمِّل هذا العبء المالي لقاء إخراجهم من الشركة فور استيلائي عليها؟...»

أما المظلات الفضية وتلك المصنوعة من القصدير، فهي إبرام نفس الصنفقة مع المدراء وحتى مع صغار الموظفين، أي مع أي شخص قد يجد أنه قد يخسر عمله بعد عملية الاستيلاء. والآن جون، بما أن عقود معظم المدراء تستمر لعام؟....».

«في شركتنا تدوم العقود لعامين. لكن ليست لدينا أية مظلات للقفز. لم نشعر مطلقاً أننا قد نحتاجها».

«لا يمكن أن تجزم بذلك. قد يكون بالإمكان اتخاذ إجراء كهذا، ولكن... ولاحظ هنا كلمة ولكن...». ابتسم لبوبي بطريقة لم تستطع بيث فهمها، ثم تابع قائلاً: «لا يحب المساهمون رؤية المدراء وهم يدفعون لأنفسهم علاوات إضافية لقاء ما يمكن أن ندعوه فعلاً إخفاقهم في إدارة الشركة بمهارة كافية لكي تحميها من الاستيلاء. لو كان الأمر يتعلق بعملية دمج، لكان الوضع مختلفاً».

قال باركر: «لو كان الوضع يتعلق بعملية دمج، لم تكن لترانا هنا».

«بالضبط. إذاً، بما أننا نود تشجيع المساهمين على الوقوف في صفنا، فالأفضل أن نتناسى كل ما يتعلق بمظلات القفز وأن نحاول تجرّع حبة السم، وهي الحبة التي لن يرغب كراوفورد في ابتلاعها إذا ما استولى على بايفيلد».

قالت بيث، وهي ترسم شمساً بشكل حبة دواء فوق القلعة تحوي جمجمة وعظمتين متصالبتين: «مثلاً؟....».

«بإمكان بايفيلد أن تندمج مع شركة أصغر، أو أن تستولي عليها، قبل طرح عرض كراوفورد للتصويت، وذلك بهدف جعل بايفيلد بشكلها الجديد هدفاً محتملاً أقل جاذبية. لنقل مثلاً يبيع شركتي الركاب والبناء والاندماج مع شركة لصناعة الورق والطباعة. هذا من شأنه خلق توازن بين قسم الإلكترونيات وقسم أكبر لصناعة الورق والطبع، وهو القسم الذي لا يعني كراوفورد في شيء. إحدى النقاط التي وردت في العرض، هي أن شركات البناء والركاب والتجهيزات، التي ستتج عن اتحاد

شركتي بايفيلد وأيوت، ستوفرُ معيناً لا ينضب من النقد منفصلاً تماماً عما يمكن توقُّعه من قسم الإلكترونيات. إذا لم يعد بالإمكان تحقيق ذلك، فلا شك أن عرضه سيفقد الكثير من جاذبيته».

قالت بيث: «تبدو الفكرة معقولة، لكن قسم البناء والركام يسهم بقسط وافر في الأرباح ويتمتع بفرص النجاح مستقبلاً. هذا ما يراه أنغوس هوارد، مدير المبيعات والتسويق لدينا».

أضاف باركر: «كما أن شركة البناء كانت أول شركة أشتريها، ويربطني بها وثاق عاطفي. لا أزال أعرف بعضاً ممن يعملون هناك منذ أيامها الأولى».

«جون، أول شركة تشتريها قد تكون آخر شركة تبيعها. لا تنسَ ذلك. بيث، هناك إمكانيات أخرى تتضمن حبوباً سامة وهي تتعلق بالمساهمين. يمكن لبعض الأسهم الممتازة، إذا توفرت لها الشروط اللازمة، أن تتمتع بإمكانية تصويت أكبر من المعتاد، حتى ولو لم تكن تتمتع فعلاً بإمكانية التصويت في الاجتماعات الإدارية. وهناك حبات السم التي يُمكن إرفاقها بضمانات الدين، بحيث يتحتم دفعها فوراً في حال نجاح الهجوم. لكن من يتمتعون بحقوق المساهمة لا يميلون لتأييد حبوب السم -فهي تبدو بالنسبة لهم محاولة إضافية للإبقاء على السفينة طافية، أو بتعبير آخر، لسد ثغرة في أسوار القلعة. بإمكانكم تفادي ذلك الإجراء بتحويل الشركة إلى ما يشبه الحيوان الشائك، أي بإضافة شروط غير مستساغة إلى العلاقات التي تربط الشركة بالزبائن أو بالموردين. هذا يؤدي إلى نفس النتيجة- يجعل من الشركة لقمة غير سائغة للاستيلاء».

ظهر حيوان شائك كبير على التل القريب من القلعة.

قال باركر: «لم يسبق أن قمنا بشيء كهذا. إنه أسلوب ينضح بالمكر، أنا لا أدير أعمالاً بهذا الأسلوب».

سأله سبيلر: «ما رأيك بإجراءات طاردة لسمكة القرش؟... تغيير نظام الشركة الأساسي بحيث يتغير عدد أصوات المساهمين اللازم لتعديل كفة الميزان؟...».

قالت بيث: «أخشى من أنه لا توجد أسماك قرش في الخندق المحيط بقلعتنا». ثم رسمت سمكة قرش سابحة في الخندق المحيط بالقلعة تقوم بافتراس رجل سقط لتوه عَنِ السَّلَم.

«غارة لدى بزوغ الفجر؟... هجوم مضاد مفاجئ يعبر الخندق هادراً لسحق من يحاصرون القلعة دون رحمة».

قررت بيث عدم اللجوء للخيول وأنزلت الجسر المتحرك.

قال باركر وقد بدا عليه القلق: «نِكَ، لقد بدأ الأمر ينحو باتجاه الخيال، أليس كذلك؟...». كانت بيث قد لاحظت سابقاً أنه لا يتمتع بمدى تركيز واسع وبأن ذهنه يأخذ في الشرود بعد فترة وجيزة من بداية أي اجتماع. لم يكن ذلك ليساعد في جعل اجتماعات مجلس الإدارة تأخذ مساراً منتظماً لتنفيذ هدف محدد، وتمنت في نفسها ألا يقف هذا الأمر حجر عثرة في طريق الشركة.

قال سبيلر: «قليل من الخيال لا يؤذي». حدثته بوبي كينغ بنظرة تتم عن غضب مكبوت من تحت رموشها الطويلة.

قالت بيث في سرّها، هكذا تجري الأمور إذاً. عدّلت بوبي من جلستها وكتبت بضع كلمات في دفتر ملاحظاتها. التقت عيناها بعيني بيث التي كانت تنظر إليها متسائلة.

قالت بوبي: «الرجال من نوع كراوفورد غالباً ما يتأثرون بسهولة بأي هجوم. هناك دائماً أسرار يودون إخفاءها عن الجميع. أذكر أن زوجي السابق أخبرني ذات مرة بأن كراوفورد لديه الكثير ليخفيه، أعتقد أن علينا أن نبدأ البحث، أليس كذلك؟...». عندما التفتت بيث إلى باركر، لاحظت أن وجه مديرها قد امتنع.

دمدم باركر: «كراوفورد مراوغ، لا يمكن الثقة به. لكن لا تتسوا أنه بارع في هذه الأمور».

سألته بوبي: «عفواً جون، أية أمور؟...».

«إنه يشعر بالمتعة لدى...». كان من الواضح أن باركر يصارع فكرة لم يكن قادراً على التفوه بها - أو لعله لم يكن راغباً بذلك. «توخي الحذر عندما تتعاملين معه خارج ميدان العمل. هذا كل شيء».

«سأتوخي الحذر».

تدخل سبيلر في الحديث قائلاً: «بإمكاننا اللجوء إلى مواجهة دفاعية، أي أن نواجه المعتدي ونقدم إليه عرضاً مضاداً. لا شك بأن الحل يتسم بالصفاقة لكنه قد يكون فعالاً».

كانت بيث قد انتهت من رسم شاهدة قبر، قالت، قبل أن تتاح لباركر فرصة رفض الاقتراح، بالنظر إلى أنه كان يرفض جميع الاقتراحات الأخرى: «جون، أعتقد أن علينا مناقشة هذا الحل. إذا استطعنا رفع قيمة الدين، فهو لا يفوقنا ثراء».

قال باركر: «أنا لم أظهر في تلك الإعلانات السخيفة، كما أنني لا أتمتع بما يتمتع به من صورة اجتماعية... صورة اجتماعية، أليس هذا ما يطلقونه عليها؟...».

قالت بيث: «الأمر هنا لا يتعلق بالصورة الاجتماعية، الأمر يتعلق بالمال».

قال سبيلر مؤكداً: «تماماً. أنا أوافقك الرأي، علينا أن ندرس هذا الاحتمال».

أوماً باركر موافقاً.

لوح سبيلر بمذكرة العرض فوق طاولة المكتب وقال: «رائع. هنا جوهر الموضوع. إلا إذا كان الأمر برمته عبارة عن خديعة لا أكثر الهدف منها إجبار أعضاء مجلس الإدارة على العودة لشراء الأسهم من كراوفورد بأسعار باهظة بعد أن يتم الاستيلاء عليها. لا يبدو هذا الأسلوب شائعاً حالياً، لكنه كان الأسلوب المفضل في الثمانينات، وخاصة في الولايات المتحدة».

دمدم باركر: «قد يكون ذلك صحيحاً. ولا يُستبعد أن يحاول كراوفورد القيام بتصرف ماكر كهذا ولكن... لا، لا، لا أعتقد أن الأمر كذلك. إنه يريد الحصول على بايفيلد».

سألته بوبي كينغ: «من أين لك هذه الثقة؟...».

«لقد كان ذلك واضحاً في صوته عندما اتصل هاتفياً. وفوق ذلك أنا أعرف الرجل».

سأله سبيلر: «ما مدى معرفتك به؟...».

«أعرفه لدرجة أدرك معها أنه لن يتراجع دون أن نشن معركة ضده، وأنه لن يستسلم إلى أن نهزمه. لا معاهدات، لا فترات هدنة، هذه معركة سوف تستمر حتى النهاية».

كانت تلك اللحظة الأولى خلال الحملة بكاملها التي أدركت فيها بيث ستيوارت أن العرض يحمل من المعاني أكثر مما تبدى لها حتى تلك الساعة. لم يبد أن سبيلر لاحظ ذلك، رغم أن بوبي كينغ رفعت حاجبها. قد يكون السبب هو أن المصرفي كان أكثر تهذيباً وأقل ميلاً، من الوجهة المهنية، لأن يسمح لأي شيء بأن يشكل مفاجأة بالنسبة له. قال سبيلر: «نلجأ إذاً للحلفاء الخارجيين. هذا يعني اللجوء إلى مخطط «إما - أو». حفلة موسيقية أو فارس أبيض. لنأخذ المخطط الأول: هل بالإمكان جمع عدد من المستثمرين ودفعهم لشراء الأسهم بصورة منفصلة، ومن ثم نعود لجمعها؟... جون، هل لديك هذا العدد من الأصدقاء ممن يملكون هذا النوع من الرأسمال؟...».

نزعت بيث الصفحة من دفتر الملاحظات وكوّرتها ثم ألقت بها في سلة النفايات. ابتسمت بوبي كينغ.

قال باركر: «بالإمكان تدبّر الأمر - لكن ذلك سيستغرق أشهراً...».

«وهو ما لا يتوفر لدينا. الخيار الأخير، إذاً، فارس أبيض على صهوة حصانه يتقدم لإنقاذك. وإذا أخذنا بالاعتبار أنك لا تبدو معارضاً لفكرة أن يستولي أحد ما على شركتك، شرط ألا يكون كراوفورد، فإن ذلك قد يكون، على الأرجح، رهاننا الأفضل».

قالت بيث: «ألن يكون الرهان أفضل بالنسبة للمساهمين لو تمكناً من صدّ عرض كراوفورد قبل القيام بذلك؟... في هذه الحال سوف يُنظر للشركة على أنها في وضع أقوى وأكثر نجاحاً كما سينعكس ذلك على أسعار الأسهم؟...».

هذا صحيح، بيث، لكن هناك (لَوْ) كبيرة في الأمر. هناك إمكانية رسم خطة تُوحي بوجود مشروع ما وتسريب الخبر إلى كراوفورد بحيث ندفعه للتراجع خوفاً من أن يجد نفسه في خضم معركة ثلاثية، هذه مجازفة قد يتعين علينا القيام بها إذا توجهت جهودنا صوب هذا المنحى. جون، ما رأيك؟...».

لا أرغب في التخلي عن الشركة، ولكن إذا وجدت أن لا مناص من ذلك، فلتذهب الشركة إذاً إلى الفارس الأبيض».

«رائع. لدينا إذاً خياران حالياً، المواجهة الدفاعية والفارس الأبيض، علينا الآن أن نبحث خيار الأساليب السرية للمخابرات. هل تستطيع التسلل إلى معسكر كراوفورد ونسف الأسس التي يقوم عليها عرضه؟...».

سألته بيث: «وكيف يمكن لنا القيام بذلك؟... لا أعتقد أنه سيتترك صفحات دفاتر حساباته مشرعة في وجوهنا».

قال سبيلر: «لن يُضطر لذلك». لَوْح ثانية بوثيقة العرض أمام بيث و باركر. «سوف ننطلق من هذه الورقة، سأطلب من بعض العاملين لدينا قراءتها بدقة ورؤية ماذا يمكن لنا أن نستشف منها. مثلاً، هل ناقش موظفو كراوفورد جيداً فكرة ما إذا كانت عملية الاستيلاء تحمل قيمة أكبر مما تحمله عملية التطوير الداخلي- هل يُعتبر طلبُ وجبة جاهزة من مطعم أرخص من إعداد تلك الوجبة في المنزل، وهل تُشعِرُك هذه الوجبة بالشبع كالوجبة المنزلية؟... وماذا بشأن الخبرات التي يُفترض بأنه يضمها إلى شركته عن طريق الاستيلاء على بايفيلد؟... إذا كنت تتقن طهو الطعام الصيني، فما معنى أن تطلب وجبة جاهزة؟... هل تحب الوجبات الجاهزة، هل بإمكانك تدبّر أمر إنشاء علاقة مثمرة طويلة الأمد مع مطعم شانغ مي، وهل

تدوم تلك العلاقة إلى ما بعد السنة القادمة؟... تلك هي الأسئلة التي يمكن لنا طرحها عبر هذه الوثيقة. وهناك أسئلة أخرى أيضاً، ما هو نوع الرابط الذي يتصور كراوفورد أنه سيوحد بين أيوت وبايفيلد: عمودي، أفقي، أحادي المركز، شركة متعددة النشاطات؟... وماذا بشأن العرض وطلبات الزبائن؟... كل ذلك موجود في هذه الوثيقة التي تحوي الإجابات على جميع الأسئلة. قد يبدو للوهلة الأولى أن الوثيقة تحوي الأرقام أيضاً، ولكن يخامرني شعور بأنه قد جرى شيء من التلاعب بالأرقام بغية إظهار أيوت بالصورة الملائمة. كما أن حدسي ينبئني بأن مصرفي كراوفورد لا يدعمون هذا العرض مائة بالمائة».

رسمت بيث على صفحة جديدة علبة مصنوعة من ورق الألمنيوم تحوي وجبة جاهزة. قال باركر وقد استعاد تركيزه وانتباهه: «نك، تقول أن ذلك مجرد شعور، هل يمكنك أن تتأكد من ذلك بأية طريقة؟...».

«يبدو الأمر صعباً في هذه المرحلة، ولكن في اللحظة التي نبدأ فيها بالاستفسار عن أوضاعه وطرح نفس الأسئلة التي طرحها هو بشأننا، إذا فهمتم ما أعنيه، فإنني أعتقد أن بعض الإجابات قد تثير الاهتمام».

سألته بيث: «تثير الاهتمام لدرجة تكفي للالتفاف على الهجوم؟...».

«أشك بذلك. لأن كراوفورد، كما قال جون، لا يستسلم بسهولة. سوف تتركز مهمتنا في وثيقة الدفاع على غرس بذور الشك في أذهان المساهمين، مثلما فعل هو بشركة بايفيلد في عرضه. كما أن علينا، في الوقت نفسه، أن نحاول طمأنة مركز المدينة التجاري، أو الأشخاص الذين يهمهم الأمر في المركز، بشأن وضع بايفيلد».

سأله باركر: «وهل يُعتبر تعمسين مدير غير تنفيذي، يعرف مركز المدينة جيداً، أمراً مفيداً في هذه الحالة؟... أنا لا أنتقص من شأن مواهب بيث لكنها ليست مقربة من مؤسسات المركز».

«جون، إذا أردت الصراحة، كان من الواجب أن تقوم الشركة بذلك منذ أشهر، بل منذ سنوات. لقد فات الأوان، لكننا لن نخسر شيئاً إذا تبادلنا الآراء مع شخص يتمتع بالخبرة اللازمة. والأفضل أن يكون هذا الشخص خبيراً بمعالجة المشاكل. سأتولى هذا الأمر وسوف أتصل بك إذا عثرت على الشخص المناسب. وعندها يمكن أن تجتمعا لمناقشة الأمر».

«لا مانع لدي. وأعتقد بأنك ستبدأ بإعداد وثيقة الدفاع».

«بالطبع، إذا كانت تلك رغبتك. بإمكان بوبي نشر بعض الاقتراحات والملاحظات في الصحف ومن ثم ننتظر رد فعل مأجوري كراوفورد».

قالت بوبي: «لن تكون المادة بالطبع من النوع الذي يحتل العناوين الرئيسية، لكنها ستوفّر لنا بعض الدلالات وشيئاً ندافع به عن أنفسنا».

بيث، علينا متابعة الأرقام التي نحتاجها عن كذب. سيتصل بك المحلل الذي يعمل معي هاتفياً، هل لديك مانع؟...».

«بإمكانه الاتصال في أي وقت يشاء، سأترك لديك رقم هاتفني الجوال».

«جيد. جون، يجب أن يوافقنا مدراؤك بما يفيدنا لمعرفة الإستراتيجية العامة للشركة. إحدى النقاط التي أثارها مصرفيو كراوفورد هي أن أسعار أسهم شركتكم لم تعد ترتفع - وأن الشركة لم تحقق حتى أكثر التوقعات تواضعاً».

قال باركر محتجاً: «بإمكانه أن يدّعي ما يشاء، لكننا لا نقوم بتزييف توقعاتنا. أسعار الأسهم تعكس نوع الشركة التي نديرها. وفوق ذلك، إذا نظرت إلى النتائج التي حققها قطاع الإلكترونيات عام ١٩٩٧ وقطاع البناء في العام الماضي، لرأيت أن النتائج لا بأس بها».

بلل سبيلر طرف إصبعه وتصفّح وثيقة العرض حتى وصل إلى آخرها، قال: «هذا صحيح، إنها مدوّنة هنا. لكنهم أوضحوا فكرتهم: هذه النتائج تعتبر جيدة بمعزل عن غيرها لكنها لا تشكل جزءاً من مسار عام باتجاه النمو. على أية حال، بإمكاننا

دراستها ثانية بعد أن نحصل على الأرقام وعلى الإستراتيجية طويلة الأمد. هناك أمر آخر، بوذي لو تدرس عن كثب فكرة إعادة التنظيم الإداري عند مستوى أعضاء مجلس الإدارة. هل يفيد الشركة وجود أشخاص أصغر سناً وأكثر حزمًا وإبداعاً بين صفوف العاملين؟... بيث، هذا لا يسري على الحاضرين طبعاً. فشركة بايفيلد، من حيث الأساس، بحاجة لوجود عدد أكبر من الأشخاص من نوعيتك ضمن أعضاء مجلس إدارتها. أنا أرى ضرورة وضع خطة بهذا الشأن».

قال باركر: «لا أريد مجزرة في بايفيلد».

«لا أحد يرغب بذلك طبعاً، لكن عليك تقديم شيء ما في وثيقة الدفاع. لنقل مثلاً: إن جدول الأعمال يضم إعادة هيكلة ضمن إستراتيجية متوسطة الأمد. هذا كفيل بأن يظهره بمظهر من يعي وجود المشكلة. والآن، أعتقد أن هذا كل ما يمكن أن يقال حالياً».

انتهى الاجتماع. نهضت بوبي كينغ عن كرسيها بسرعة وجمعت فناجين القهوة بينما دار سبيلر حول طاولة المكتب ليصحبهما إلى خارج المكتب.

«جون، أعرف أن من السهل قول ذلك، ولكن لا تقلق. بايفيلد شركة ناجحة ولن تخسر مكانتها لإرضاء جيم كراوفورد».

قال باركر وهو يأخذ بذراع سبيلر: «الواقع أن هذا ما يعني في المقام الأول. لا أريد أن يستولي ذلك الرجل على شركتي. نك، حاول أن تبذل أقصى ما لديك من قوة للحيلولة دون وقوع ذلك».

شعرت بيث بلمسة خفيفة على ذراعها. نظرت إليها بوبي كينغ وقد أشرق وجهها بابتسامة وقالت: «أعتقد أنك ترغبين في الذهاب إلى حمام السيدات». ودون أن تنتظر الإجابة، اتجهت نحو الباب وسارت في الممر. لحقتها بيث، كما كان مقرراً لها كما يبدو ووجدت نفسها بعد لحظات في حمام للسيدات ذي إنارة خفيفة فرشت أرضيته بالسجاد الوثير.

قالت بوبي، وقد وقفت على أطراف أصابع قدميها لتتمكن من تفحص زينتها في المرأة، التي كانت تمتد مثل شاشة سينما عريضة فوق المغاسل: «أعتقد أن الرجلين بحاجة للحظات ينفردان فيها ببعضهما». لم تكن بيث تشعر بحاجة لاستعمال المرحاض لذلك جلست على حافة سلة مهملات من الكروم والفولاذ ذات غطاء دوار بانتظار أن تفرغ بوبي، التي كانت تصلح من شأن ألوان الظل فوق عينيها، أو أن تطرح السؤال الذي تود طرحه.

«بيث، أعتقد أنك لا تمانعين إذا ناديتك بيث؟...».

«لا أمانع طبعاً».

«جون باركر، أي نوع من الرجال هو، بماذا يمكن لنا أن نستفيد منه إذا اضطررنا لذلك؟...».

«بوبي، يا له من سؤال. أعني كيف ستستفيدين منه ولأي هدف؟...».

«في برنامج» Today «مثلاً. هل بإمكانه الصمود إذا ظهر في البرنامج في مناظرة يواجه فيها جيم كراوفورد؟...».

«لا أعتقد أن هذا السؤال قد دار بخلي».

أعادت بوبي فرشاة ظل العيون إلى العلبة الصغيرة وأغلقت غطاء العلبة. «إذاً، فكري به الآن. إن كراوفورد سوف يلجأ لاستغلال كل ما يمكن استغلاله ليرفع من شأن صورته العامة أمام المساهمين. بيث، هذه أمور مهمة. هل هناك بين أعضاء مجلس الإدارة من يستطيع التعامل مع وسائل الإعلام؟...».

قالت بيث: «ديك وورثغتون. الموسيقي».

«هل مازال في الشركة؟...».

«مازال في». أوضحت لهجة بيث كل ما أرادت إيضاحه. «أعني...»

«هل تعنين أنك لا تميلين إليه؟...».

«إنه فاسق».

«يا عزيزتي، أليسوا جميعاً فاسقين؟...». بإمكانه أن يكون مفيداً بالنسبة لنا.
وماذا عنك بيت؟... هل يمكنك الظهور في التلفزيون في برنامج Show The Business أو في برنامج Show Me The Money؟...»
«لا شك بأنك تمزحين!...».

نظرة واحدة إلى وجه بوبي كانت كافية لإقناع بيت بأنها لم تكن تمزح. ورغم أن فكرة الظهور في وسائل الإعلام جعلتها تشعر باضطراب في معدتها، إلا أنها شعرت، بالإضافة لذلك، بأن... لا بأس... ربما...

قالت: «أعتقد أن بإمكانني خوض التجربة».

«إذا ارتديت تنورة أقصر وأكثر ضيقاً وكشفت عن صدرك بعض الشيء».

«بوبي، ليست هذه هي الصورة التي أحملها عن نفسي». ألقت نظرة سريعة على نفسها في المرآة لمعرفة الصورة التي كانت ترى بها نفسها في تلك اللحظة. «أعني لم يعد المظهر يهم في شيء». لم يكن ذلك يعني أنها لم تكن تبدو جذابة ذلك اليوم.

سألته بوبي: «هل تحاولين إقناعي بأنه لم يسبق لك أن لجأت لاستغلال مظهرك بغية تحقيق أهدافك ضمن ميدان الأعمال؟...».

تساءلت بيت في سرّها - ترى هل حاولت هي؟... «بوبي، لقد وُضِعَتْ أمامي العراقيل لمجرد كوني امرأة. حدث ذلك في بداية حياتي المهنية وحرصت بعدها على ألا يتكرر الأمر مطلقاً. وهكذا تَرَيْنَ أنني لم ألجأ لاستغلال مظهري، بشكل مقصود طبعاً».

قالت بوبي، دون أن يبدو عليها الانزعاج بسبب التوبيخ المبطن: «رائع، أنت إذاً من النوع الذي يميل للتصرف بشكل طبيعي. بإمكانك أن تُحدثي انطباعاً إيجابياً في التلفزيون وعلى صفحات الشؤون المالية إذا نشرنا لك صورة تبدين فيها جميلة. لا شك بأنك تصلحين للقيام بدور الناطق الرسمي أكثر مما يصلح باركر أو ذلك المدعو وورثغتون. فكري بالأمر. لا، لا تفكري، اتخذني قراراً بالقيام بذلك. سوف أتصل بك هاتفياً. اتفقنا. ما رأيك أن نعود الآن لننضم إلى الرجلين؟...».

obeikandi.com

اليوم + ٢

الأربعاء ٣ نوفمبر ٦:٥٠

الشقة ٧ ، فروغويل رود ، ويست دالويتش ، لندن

صباح اليوم التالي، أطلعت بيث جاك على فكرة بوبي كينغ بينما كانا يتناولان طعام الإفطار. كان إفطار بيث يتألف من القهوة ومن ثمرة غريب فروت وكان جاك يحتسي الشاي مع الخبز المحمص منكباً على جهاز الحاسوب المحمول - رفع بصره عن الشاشة.

«ماذا، التلفزيون؟ أنت؟...».

«نعم، أنا. هل يبدو الأمر غريباً إلى هذا الحد؟...».

«رويدك، كلا... كلا. أعتقد أن الفكرة رائعة. ولكن ... ما هو السبب تحديداً؟...».

«للحديث عن عملية الاستيلاء، ماذا عساه يكون السبب؟...».

غرف جاك كمية كبيرة من الجبن منزوع الدسم ودهن بها قطعة الخبز المحمص. «المشكلة في هذا النوع من الجبن أن طعمه لا يمت بصلصة إلى طعم الزبدة».

سألته بيث، وهي تزيل خيطاً من ألياف ثمرة الغريب فروت من القطعة الصغيرة مثلثة الشكل في ملعقتها: «لكنه لا يسبب لك نوبة قلبية، أليس كذلك؟... جاك، لا شك بأنه أمر بسيط، كالحليب منزوع الدسم، لكنه يُحدِّث فرقاً كبيراً. لا أرغب في أن أفقدك يوماً ما».

رافقت تلك الملاحظة ابتسامة ارتسمت على وجهها، لكن تعبير وجه جاك كان أبعد ما يكون عن المرح عندما أجاب قائلاً: «عليك إذاً أن تولي مزيداً من الاهتمام لوضعنا عندما نكون سوية». غرس طرف السكين في وعاء المربى وأخرج قطعة

الاستيلاء

كبيرة لامعة ألقاها فوق قطعة الخبز. «أعرف أنك مشغولة. أنا أيضاً مشغول. أعتقد أنني أحاول تقديم الدعم لك في عملك عندما تحتاجين لذلك، ولكن في هذه اللحظة بالذات...». أشار إلى شاشة الحاسوب المتقل «أعتقد أنني بحاجة لشيء من الدعم».

«رويدك، رويدك». حاولت بيث أن تتذكر آخر مرة كانت فيها بحاجة للدعم، ومدى الدعم الذي وفّره لها جاك آنذاك. «أنا لا أدّخر وسعاً في الوقوف إلى جانبك طيلة الوقت. فأنت تعود للمنزل لتتحدث عن المدرسة والطلاب والموظفين ومشاكلهم ومشاكلك. إن ما أعرفه عن المدرسة لا يقل عما يعرفه معظم المشرفين لديك. جاك، فكر بالأمر. هذا هو الوضع، فخلال معظم الأمسيات التي نكون فيها في المنزل سوية...». «وهل ترين أن ذلك يحدث كثيراً هذه الأيام؟...».

«أنت تنتظر زيارة المفتشين، من الطبيعي إذاً أن تكون مشغولاً، وأنا منهمكة بمحاولة الإمساك بزمام الأمور في بايفيلد وإحداث تأثير ما. أنا أيضاً مشغولة». كانت قد التهمت ثمرة الغريب فروت بالكامل، فقد أكلت القطع الأربع الأخيرة دون أن تلاحظ ذلك. لكنها لاحظت التوتر الذي ساد الجو. كان جاك ينقر بسبابته على إبهامه الأيسر وهي حركة لا يقوم بها إلا عندما تسوء الأمور بينهما. كان على حق، فلم يحدث أن قاما بمناقشة التفتيش المرتقب. لكنهما، من ناحية أخرى، لم يناقشا أيضاً محاولة الاستيلاء على الشركة. ودون أن تقصد، وجدت نفسها تصرّح بما كان يجول في ذهنها: «جاك، هل يراودك شعور بأن عملك، بشكل من الأشكال، أهم من عملي؟...».

انفجر قائلاً بغضب: «بيث، دعك من هذا الهراء. لم يسبق لأحد منا... منذ البداية، لم يسبق أن فكرنا بهذه الطريقة. لقد كان الأمر دائماً يتم منصفة».

«جاك، الأمر لم يكن بهذا الشكل». كانت على حق، كما كانت على ثقة من ذلك. «ومثلما تعتقد بأنك تقدم لي الدعم، أنت تعتقد أيضاً بأنك لا تصدر الأحكام بشأن القيم النسبية التي نعملها».

«بيت، هل تمانعين في إنهاء الحديث بهذا الموضوع؟... لديّ ما يكفي من المشاكل. أنت الآن تدفعين بالأمر بيننا إلى حدودها القصوى، وأنا...». بدا الهياج في صوته وكأنه كان يرغب في الصراخ «أنا لا أعتقد أن بإمكانني تحمل المزيد دون أن تختل حياتنا. في هذه اللحظة بالذات. أعني، إذا كنت تشعرين فعلاً بالقلق بهذا الشأن، دعينا مهما كلف الأمر نتحدث عندما يتوفر لنا الوقت والمكان، ما رأيك؟...».

في ما بعد، بعد ذلك بوقت طويل، وعندما كانت تعود بذاكرتها لاسترجاع المشهد بوضوح حالم، كان بإمكانها أن تقول: نعم، لقد كنت في تلك اللحظة أقف عند مفترق الطرق وكان بإمكانني الذهاب في أيّ من الاتجاهين، لكنني قلت: اتفقنا، الليلة. وانتهى الأمر، فعلاً.

قالت بيت: «اتفقنا، الليلة».

«رائع. سنذهب إلى مطعم راجبوت ونتناول طعاماً هندياً أو أي شيء كان وسوف نناقش الأمر». نظر إليها وقد كسا وجهه تعبير يعني أنه مستعد للتسامح شرط ألا تتجاوز حدودها، وهو التعبير الذي يلجأ لاستخدامه في المدرسة لدى التعامل مع الطلاب سيئي السلوك، رغم ذكائهم. لم تتفوه هي بكلمة، عاد للعمل على الحاسوب، بعد أن فسّر صمتها على أنه قبول، فَرَدَ الشاشة وبدأ يطبع وهو يأكل آخر قطعة من الخبز.

بايفيلد، غولدهوك ميوز، لندن، ٤٥:١١

جلس جون باركر شارد الذهن يطوّق حافة دفتر ملاحظاته برسوم كاريكاتورية تمثّل رجالاً. أخذت تتقاذفه الأفكار. هناك أشياء لم تخطر ببالك مطلقاً.

لم يكن باركر رجلاً من النوع الذي يستسلم للأفكار، ولم يسبق له في حياته أن كان كذلك، كانت أسعد لحظاته هي تلك التي يقضيها في العمل الدؤوب، في تشييد الأبنية، كما كان في بدايات عمله. لا شك بأنك عندما تقوم بالبناء تشعر بقيمة الجهد الذي بذلته. فهو مائل هناك في الخرسانة وفي لَبَنَات البناء والملاط والخشب وألواح

الاستيلاء

الإردواز والزجاج. لقد كانت عملية بناء منزل تثير في نفسه على الدوام شعوراً بالبهجة الغامرة: نشوء دار سوف يعيش الناس داخلها لمئات السنين، بل ربما لفترة أطول. كان هناك إحساس بالاستمرارية. بالماضي يتحول إلى أساس للمستقبل.

بدا على دفتر ملاحظاته وكأن الرجال الكاريكاتوريين قد بدؤوا يهاجم بعضهم بعضاً وأن هناك مجزرة تحدث في تلك اللحظة. كانت الشخص الصغيرة تُشهر على بعضها السيوف والفؤوس وكان هناك ضحايا، كان واثقاً من وجود ضحايا. شخص صغيرة ميتة. نزع الصفحة من الدفتر عندما رن جرس الهاتف. رفع السماعه وجاءه صوت السيدة هاريسون، سكرتيرته، وهي تقول: «سيد باركر، السيد سبيلر يرغب في محادثتك».

«شكراً لك سيدة هاريسون، صليني به من فضلك». نعم، كان باركر من ذلك النوع من الرجال: فقد كان قد مضى على بيغي هاريسون في الشركة مدة خمسة وثلاثين عاماً ولم يسبق له أن دعاها بغير السيدة هاريسون ولم تكن هي تتوقع غير ذلك. كانت تلك الأمور، تلك الكياسة، لا تزال تمثل أهمية بالنسبة له وفي حال ضياعها، فإن كل شيء...

«جون، كيف أحوالك؟... بدا صوت سبيلر مفعماً بالحماسة.

«أحاول أن أكون على مستوى الأحداث».

«أمل أن تقوم بأكثر من ذلك. لقد قمنا بمراجعة سجلات أيوت مراجعة متأنية وأعتقد أنني بدأت ألاحظ وجود بعض الإمكانات».

«لا شك بأنها أخبار جيدة لأنني بصراحة سئمت الجلوس والانتظار دون القيام بشيء».

«لديّ عمل لك. لقد كنت تسأل عن مدير إداري يعرف مركز المدينة التجاري ويتمتع بخبرة في أساليب مواجهة عروض الاستيلاء».

«هل عثرت على شخص كهذا؟...».

«أعتقد ذلك. بريان هاوس، هل تعرفه؟...».

أَعْمَلَ باركر ذهنه للحظة، لكن الاسم لم يوح له بشيء. ولكن كيف سيوحي له الاسم بشيء في حين أن لا صلة تربطه بمركز المدينة التجاري. خطر له أن انقطاع صلته بالمركز كان يتسم بطابع مهلك. أجاب: «كلا نِكَ، لا أعرف أحداً بهذا الاسم».

«من الواضح أنه لا يعرف عن الموضوع سوى ما قرأه في الصحف. لكنه قال إن الأمر قد يثير اهتمامه. لا أعتقد أنه شديد الإعجاب بكرافورد، وهذه أنباء جيدة كبداية».

«نِكَ، لقد بدأت أميل إليه. متى وأين يمكن لنا أن نتقابل؟...».

«بأسرع وقت ممكن. لقد سمحت لنفسني بأن أقترح اسم حانة في فندق لاند مارك في شارع بيكر، فهناك لن يلفت وجودكما الأنظار كما ستتوفر لديكما فرصة الحديث بصورة لاثقة دون مقاطعة من أحد. أخبرته أن الساعة الثامنة من هذا المساء يناسبك على الأغلب. لكن بإمكانني أن أعود للاتصال بك إذا...».

«لا، لا تتصل، الساعة الثامنة موعد مناسب. كيف سأتعرف عليه؟...».

«جون، إنه يعرفك. لقد كان في حفل توزيع جوائز الإبداع الذي أقيم في الشهر الماضي وقد دلّه أحدهم عليك».

«كانت تلك آخر مرة أرى فيها كرافورد وجهاً لوجه. قد يكون ذلك نذيراً بشيء».

«لا أستطيع أن أعدك بأي شيء، كل ما يمكنني قوله هو أن هاوس متمكن من مهنته وأنه رجل يوحى بالاحترام. إنه يتقاضى أجراً عالياً، وهذا أمر طبيعي عليك أن تتوقعه. هذا تقريباً كل ما أود قوله. قبل أن أنسى، بوبي كينغ ترغب في إعداد مقابلة تظهر فيها مديرة الشؤون المالية لديك».

«بيت ستيوارت؟...».

«يبدو أن بوبي تعتقد أن بإمكان بيت أن تشكّل جزءاً مفيداً من الدفاع، فهي متقدمة الذكاء وعصرية وجذابة، أي أنها تتمتع بجميع الصفات التي - ومعذرة لقولي هذا - يفتقر إليها بقية أعضاء مجلس الإدارة في شركتك. بكل صراحة».

«كل ما يمكنني قوله، دون أن أوجّه إهانة لبيت، هو أنه لا يمكن لك أن تحكم على الكتاب من غلافه».

«كلا بالطبع، لكن الغلاف سيدفعك لسحب الكتاب من الرف وتقليب صفحاته. جون، لقد تغير الزمن وعلينا أن نتغير معه والآن... إذاً، سأخبر بريان هاوس أنك ستأتي إلى الموعد الليلة».

«سأكون هناك، إلى اللقاء».

أعاد سبيلر السماعرة إلى مكانها قبل أن ينتهي باركر من الكلام. فليس هناك مصرفي بإمكانه إضاعة الوقت، رغم أن باركر لم يكن يميل إلى ذلك الأسلوب، بل إنه في الواقع لم يكن يميل إلى نكّ سبيلر. كان المصرفي الذي اعتاد التعامل معه، في بدايات شيتروك، كما كانت تدعى الشركة آنذاك، رجلاً رائعاً يجمع في شخصه، بنظر باركر، جميع الفضائل التقليدية للصرافة البريطانية. الولاء والحق، دون خيلاء، إحساساً بالتاريخ وفهماً للمستقبل. كان لا يزال يتبادل بطاقات عيد الميلاد مع السير غيلز، رغم أن العجز قد فقد اتزان تفكيره إلى حد ما وهناك من يقوم بتوقيع البطاقات نيابة عنه. كان الأمر يبعث على الأسى - المصير المحزن لتلك الرحلة المتميزة.

هز جون باركر رأسه. ماذا أصابه، كيف يجلس ويستسلم لتلك الأفكار السخيفة التي كانت أشبه بالتأملات الفلسفية الخرقاء؟... لم يكن ذلك هو الأسلوب الذي تُشاد به البيوت أو تدار به شركة إلكترونيات - أو يمكن بواسطته إنقاذ بايفيلد. نظر إلى دفتر ملاحظاته. رسم بعض الأشكال، ولكن هذه المرة كان الرسم يمثل فتاة صغيرة تمتطي صهوة مهر صغير فتقفز من فوق السور. نزع الصفحة بعناية وطواها ووضعها في محفظة الجيب. ثم اتصل بالسيدة هاريسون.

«ماذا تريد مستر باركر؟...».

«سيدة هاريسون، هل لك أن تتلطّفي وتخبري السيدة ستيوارت بأنني أرغب في رؤيتها لبضع دقائق؟...».

مقهى بلو ماونتين، إيستون رود، لندن، ٤٠:١٣

شق مارك تشيماطريقه بين الجموع في بلو ماونتين، محاولاً الحفاظ على توازن فنجانَي الكلوستشينو وقطعتي الحلوى الدانمركية، وحدة بالزبيب ولثانية بنكهة الليمون، وسار باتجاه الطاولة الطولانية المجاورة للنافذة، حيث كانت دايان إيلروي تجلس بكامل فتحتها على كرسي مرتفع دون مسند.

وضعما رك فنجانَي القهوة والصحنين على سطح الطاولة المكسو بالبلاستيك وهو يشعر بالارتياح. «ها قد وصلت أخيراً، أعتقد أنني لم أخطئ، لقد طلبت الزبيب وأنا طلبت الليمون. لا... لقد طلبت الليمون أليس كذلك؟...»

ضحكت دايان وقالت: «لا فرق. لست متزمته في ما يتعلق بهذه الأمور. إذا كانت معجنات حلوة فساكلها. القهوة هي ما أحتاج إليه».

«هل قضيت يوماً صعباً؟...»

قالت: «لم يكن أصعب من المعتاد. عملية بايفيلد تضع على كاهلنا جميعاً أعباء ثقيلة من العمل الإضافي، الآثار المترتبة على هذه العملية هي ما يشغل بالي».

لكن ما كان يشغل بال مارك في تلك اللحظة هو الجلوس إلى جانب دايان في ذلك الأربعاء المشرق من شهر نوفمبر وتناول الغداء معها. كانت تلك المرة الأولى التي يجتمع بها خارج المبنى بصورة فعلية، بدا الأمر رائعاً وطبيعياً - فهما، رغم كل شيء، زميلان ولديهما ما يناقشانه، أين وجه الخطأ؟... لماذا إذاً لا يكف ذهنه عن تقلب الأمر مراراً وتكراراً؟...

«دايان، هناك ما أود التحقق منه، بشأن سجل المدراء. لقد غيّرت منزلك وعلي معرفة عنوانك الجديد».

«لكي تفاجئني بزيارة يوماً ما؟...»

تورّد وجهه. تمنى بشدة لو كان بإمكانه التحكم باندفاع الدماء إلى وجهه - «من أجل السجلات لاغير».

«طبعاً». تناولت قطعة من الحلوى المنكهة بالليمون - رغم أن مارك كان واثقاً من أنها طلبت الحلوى بالزبيب.

«كما لاحظتُ أيضاً أن المسؤول التنفيذي الرئيس يعطي عنوانه على أساس أنه أحد ممتلكات الشركة».

«لاحظتُ؟...».

«كان ذلك قبل أن ألتحق بالعمل».

«طبعاً. إن الشركة تدفع تكاليف منزله في رصيف باتلر، كما تدفع تكاليف سياراته وسائقها، إضافة لمنزل ريفي، أعتقد أن هذا جزء من العقد».

«إذاً فهو يشعر بالسعادة كونه يستفيد من دفتر شيكات الشركة».

أزالت كسرة من المعجنات عن شفرتها العليا، وقالت: «هل تعارض ذلك؟... حسب معلوماتي لا يوجد في الأمر أي خطأ».

«أعتقد أن ذلك يشكل أحد المؤشرات عن الأسلوب الذي يدير به كراوفورد الشركة. لقد فاز بالتصويت الذي كان يرغب به في اجتماع مجلس الإدارة الأسبوع الماضي، وكان قد تدبّر سلفاً أمر المدراء المناسبين...». هز مارك رأسه، ثم تابع:

«أعتقد أن هذا ليس من شأني. فأنا، في نهاية المطاف، لست سوى سكرتير للشركة». تناول قسمة من الحلوى بالزبيب. لم يستسغ طعمها - هذا يوضح الأمر بجلاء، لم يكن ليطلب حلوى كهذه، هذا منافٍ للمنطق. شعر بشيء من الضيق إزاء تصرف دايان، تبعه شعور عارم بالاحتقار لنفسه. كانت جميلة - لها الحق إذاً بتناول حلواه المنكهة بالليمون. وبإمكانها إذا رغبت تناول مائة قطعة حلوى من دانمركيات الليمون، إذا كانت كلمة الحلوى الدانمركية تُجمع بهذا الشكل. لكن إيقاع الكلمة لم يبد صحيحاً. ربما يتعين عليه أن يبحث عن الكلمة في القاموس بعد استراحة الغداء. وربما يتعين عليه أيضاً أن يتوقف عن التفكير كآلة حاسبة. «عفواً دايان، ماذا كنت تقولين؟...»

«من الواضح أن حديثي لم يكن ممتعاً، بما أن ذهنك شرد بعيداً».

«لا، أرجوك، تابعي الحديث».

«كنت أقول أن هذا من شأنك، ومن شأن أعضاء مجلس الإدارة. لا شك بأن جيم كراوفورد رجل جذاب وحاد الذكاء، هذا شيء رائع لا أستطيع إنكاره، لكنني لا أشعر بأنه يناسبنا على المدى الطويل. أعرف أن هناك فكرة ما تستحوذ عليه كنحلة تنز داخل قبعته...».

«قلنسوته، دايان، المثل يقول نحلة تنز داخل القلنسوة».

«لماذا؟...».

«هناك شكل آخر للمثل، نحلات تنز داخل رأسه. لقد ظهر هذا المثل لأول مرة في القرن السابع عشر في إحدى مسرحيات هيوود. وهو يشير أساساً إلى سرب من النحل الذي يحوم حول أس كسرب من الأفكار التي لا يمكن أن ينتج عنها أي حل معقول».

استدارت عيناها وقالت: «هل تسخر مني؟...».

«كلا طبعاً. لقد بحثت عن الكلمة في قاموس للتعبيرات العامية. فقد أثار التعبير فضولي لغرابته. هناك تعبيرات كثيرة وجدتها...». كانت هناك نحلات تنز داخل رأسه هو. توقف فجأة عن الكلام وكأن هناك نحلة داخل فمه.

تابعت دايان حديثها: «لقد استوعب كراوفورد فكرة العولة، وهذا أمر منطقي. لكن ما يخالف المنطق هو قيامه بإدارة الصفقة بكاملها».

«دعيني أسألك هنا، لماذا؟...».

«ألم يسبق لنا أن كررنا ذلك بطرق عديدة مختلفة: أساس الإدارة الجيدة يكمن في العلاقة بين المدير والمسؤول التنفيذي الرئيس. وفي ما يخص العلاقة بين جيم وبيتر ألبوري - في الواقع ليست هناك علاقة يمكن لنا الحديث عنها. أو يمكن لنا ألا نتحدث عنها. لا يوجد شيء، وحيث لا يوجد شيء، لا يمكنك أن تخرج بشيء».

لم يكن مارك يرغب فعلاً بتناول حلوى الزبيب، لكنه إذا ترك بعضها في صحنه فقد تلاحظ دايان وقفهم ذلك على أنه نقد لها لأنها سرقت حلوى الليمون التي طلبها، وسيكون الأمر مريعاً. ومع أنه كان يشعر فعلاً... قال في سره، كفى لنضع حداً للأمر. سأكُل هذه الحلوى اللعينة وأنتهي من الأمر.

قال لها: «أعتقد أنني أوافقك الرأي. فلدى إلقاء نظرة معمقة على كيفية سير الأمور في غرفة مجلس الإدارة، يبدو لي أن المسؤول التنفيذي الرئيس لا يستفيد من كامل طاقات أعضاء مجلس الإدارة». تناول قسمة من الحلوى الدانمركية وعلقت بين أسنانه قطعة دبقة مطاطية لم يستطع نزعها. وضع قطعة أخرى من ذلك الطعام المقرف داخل فمه، لكن الحلوى العنيدة أثبت أن تتحرك. أطبق أسنانه وبدأ يقضمها، لم يتغير شيء، ظلت عالقة وقد تدلت بين فمه وذقنه، لا بد وأن منظره كان يثير الاشمئزاز. ياله من وضع يجد نفسه عالقاً فيه - وفوق ذلك، كان بحضرة امرأة أنيقة محنكة مثل دايان. عليه أن يقوم بشيء ما. دفع بالحلوى إلى داخل فمه. انتفخ خداه بينما كان يحاول جاهداً إغلاق شفثيه، وشرع يمضغ. ولسبب ما، تحولت كل طبقة الحلوى إلى كتلة عنيدة أثبت الحركة. كانت دايان تتأمله وعلى وجهها تعبير فضول ساخر. حاول رسم ابتسامة رغم كل تلك الفوضى التي تملأ فمه، لكن ذلك لم يكن أمراً سهلاً، اضطر إلى مضغ اللقمة لإفساح مجال للابتسامة. قال لدايان: «امضي في حديثك». والواقع أنه أصدر غمغمة غير مفهومة، لكن دايان أدركت مقصده.

«الأمر برأيي هو أن بيتر مدير فاشل إلا إذا أجبره أحد على التصرف. ولن يأتي ذلك من جانبي أو من جانب غودمان أو أيٍّ من المدراء التنفيذيين، الأمر هنا يقع على كاهل أحد المدراء غير التنفيذيين. لنُدع بيتر جانباً، لأنه تابع لكرافورد، والشيء ذاته ينطبق على نورمان براون. ماذا تعرف عن كافين كلوني؟...».

كان مارك على وشك كسب المعركة، لكن الكلفة كانت عالية. فقد بدأت عيناه تدمعان وبدأ فكه يؤله، ومطّح حلقه إلى أقصى حد ممكن بينما... كان يبتلع القطعة الأخيرة من ذلك الشيء الرهيب.

«كلوني؟... لا أعرف الكثير». يا للسعادة، لقد استعاد قدرته على الكلام.

رشف من فنجان الكابوتشينو لإزالة أثر طعم الزبيب. لقد كره الزبيب طوال عمره. «لم يمض عليه في الشركة سوى ستة أشهر تقريباً - هناك خلفيته الأكاديمية، وخبرته في مجالات أخرى».

قالت دايان: «يبدو واثقاً من نفسه عندما يتحدث».

«كما يبدو مستقل الرأي. لا يتكلم كثيراً إلا إذا كان هناك ما يستحق الكلام، وهو يفهم جيداً مبدأ الإستراتيجية الشاملة. هل تذكرن اجتماع شهر أغسطس، عندما تحدثت عن أهمية التفكير طويل الأمد، وعن التغيير الذي لحق بعالم الأعمال والذي لم يعد فيه وجود للإدارة العمودية وللمدراء الذين يتصرفون بأسلوب مستقل والذين يتجمعون لتشكيل... ما الاسم الذي أطلقه على تلك التجمعات؟...».

«تكتلات مشتركة. لقد أثار ذلك اهتمامي. كنت أريد أن أتبادل الحديث معه بعد الاجتماع، لكنه كان مضطراً للذهاب. هذا النوع من الأشخاص يبدو دائماً مضطراً للذهاب إلى مكان ما، لكنني أشعر أن كلوني يدرك جيداً ضرورة وجود مدير غير تنفيذي جيد إلى جانب أعضاء المجلس الآخرين، لا أن يقتصر الأمر على وجود ألعوبة بيد المسؤول التنفيذي الرئيس».

«دايان، ما الذي يدور في ذهنك؟...».

«أعتقد بأن علينا... عليّ أن أتحدث معه، أستطلع رأيه. لا بطريقة رسمية طبعاً، قد أدعوه إلى كأس، شيء من هذا القبيل».

اندفعت إلى مخيلة مارك صورة كافين كلوني وقد ارتسم الفسق والفجور على وجهه يرتدي ربطة عنق بيضاء وسترة رسمية، يراقص دايان طوال الليل، وقد ارتدت

هي ثوباً فضياً ضيقاً يتماوج وكأنه شلال ينسكب من القمر... كثيراً ما خطرله أن يتساءل إن كان قد أصابه مس من الجنون. ولكن، من ناحية أخرى، كان كلوني يتمتع بجاذبية ذات طابع أكاديمي من نوع ما ودايان كانت امرأة وحيدة. عليه أن يضع حداً لذلك الهراء.

«فكرة لا بأس بها. لماذا لا نجتمع به نحن الاثنان؟...».

«ماذا تقول؟... هل ستتغيب عن الجبهة المنزلية؟... هل هناك ما يجعل كلوني أكثر جاذبية مني؟...».

آه... لقد ارتكب خطأً ثانياً. كيف يمكن لأي إنسان أن يكون أخرق في كل شيء عدا في عمله كسكرتير شركة؟... شعر بأنه على وشك أن ينتحب.

«لا... نعم... أعني لا».

انتظرت دايان حتى شربت آخر رشفة من فتجان القهوة ومسحت خطأً صغيراً من الرغوة ارتسم بشكل شارب على شفرتها العليا بحركة أثرت به لدرجة رغب معها بالبكاء. «أعتقد أن من الأفضل أن نجتمع به نحن الاثنان، وهكذا سيدرك أن الأمر لا يعنيك وحدك».

«صحيح، سوف يرى أن الأمر يعنيك أيضاً». رفرفت برموشها وهي تنظر إلى ساعتها. «أعتقد أن علينا العودة. هذا إذا كنت واثقاً من أنك لم تعد تشعر بالجوع؟...».

لماذا قالت ذلك؟... نظر مارك إلى صحنها، إلى الدائرة الورقية الصغيرة التي كانت قطعة الحلوى الدنمركية تقبع داخلها، نظر إلى صحنه: لم ير دائرة ورقية. نظر إلى دايان، فهزت كتفها.

شرفة أوكسو تاور، لندن، ٣٠:١٨

كان مطعم أوكسو في لندن يطل على أبداع مشاهد المدينة. فقد كان يشرف على نهر التيمز من أعلى برج - كان قد أنشأ في الأصل من قِبَل شركة أوكسو، التي تفادت قرار حظر وضع الإعلانات على ضفتي النهر بأن ادمجت اسم الشركة ضمن التصميم المعماري ، وكان يتيح لزوار المطعم المحاط بجدران زجاجية التمتع بمشهد لا نظير له يرون فيه النهر ومركز المدينة التجاري وكاتدرائية القديس بول ومباني البرلمان وساعة بيغ بين وكنييسة ويستمنستر. لم يكن يتعين عليك، طبعاً، تناول العشاء لكي يتاح لك الاستمتاع بالمشهد، بإمكانك التوجه إلى البار وطلب كأس من الكوكتيل تحمله إلى الشرفة حيث كان هيو وسيليا يتكئان على السور يتأملان النهر.

كانت سيليا قد سألت هيو عما يجعله يبدو سعيداً بهذا الشكل.

«لقد تمكنتُ من إجراء مقابلة مع كراوفورد بعد ظهر اليوم. ناقشت الأمر مع المنتجة التي أعمل معها أنجيلا دانيالز، وخطر لنا أنه إذا كان لشيء أن يتيح لنا العمل في التلفزيون، فإنه سيكون برنامجاً متقناً نعدّه حول كراوفورد. وهكذا، اتصلت أنجيلا ببيري كينغ وتم الأمر».

قالت سيليا: «إنها من النواذر المفضلة لديه. إلا أنها، شأن كثير مما يتعلق به، ليست بالنادرة الطريفة. لا شك بأنه قام بتهيئة المبنى ليصبح صالحاً للاستعمال - الواقع أن الشركة هي التي قامت بالعمل، لكنه كان وراء ذلك».

«لديّ انطباع بأنه وراء كل شيء، بطريقة أو بأخرى. لقد روى لي الكثير عن طفولته وبدايات كفاحه في الحياة. لقد توصلَ لتحقيق شيء ما، أليس كذلك؟...».

«لا شك بذلك. لكنه، شأن كثير من الأشخاص من هذا النوع، يجر أسطوريته خلفه أنى ذهب، وهي أسطورة تتغير بتغير الوقت. يبدو كأن كل شيء - الحياة، التاريخ، الأشخاص - لا يعدو كونه جزءاً من قصة كراوفورد، وعندما يحين

الوقت لتتقيد هذه القصة، يمكن إلغاء شخصيات ومشاهد كاملة دون أن يكون لذلك أي تأثير فعلي».

قدّم هيو سترته لسيليا، التي كانت قد بدأت ترتعش فقد كانت ترتدي ثوباً أسود خفيفاً لا يقيها البرد، وقال: «لا شك بأن هذه فكرة تثير الاهتمام».

«هل تعتقد ذلك حقاً؟ ... - ولكن ألن تشعر أنت بالبرد؟...».

«أنا أرتدي كنزة صوفية سميكّة».

«شكراً إذاً، هذا تصرف نبيل». قبّلته بسرعة بينما كان يلف السترة الصوفية حول كتفها، «وما هو الأمر المثير للاهتمام بشكل خاص في الفكرة؟...».

«الأمر التي لم يقلّها. لقد استمعت إلى كل ما رواه عن التضحيات النبيلة التي قدّمَتها والدته. بالمناسبة، هل لا تزال والدته على قيد الحياة؟...».

«لم يسبق لي أن سمعت أي شيء يتعلق بها. ولكن ما الداعي لأن أسمع أشياء كهذه؟...».

«تبدو الأم وكأنها ع من الخيال، قد يكون ذلك من باب الحنين، هذا إذا كان بإمكان كراوفورد أن يحس بشعور كهذا. وكان هناك أيضاً تلك القصة المؤثرة عن الوالد البطل الذي قضى متأثراً بالجراح التي أصيب بها أثناء الحرب. بعد ذلك التحقت والدته بالعمل في أحد المصانع وقامت بتثنية جيم الصغير معتمدة على نفسها فقط - لكن ذلك لم يحلّ بينها وبين إيجاد الوقت اللازم لقراءة كتبه المدرسية ومساعدته في واجباته المنزلية. ثم دخل معترك العمل وبدأ بتوصيل الطلبات المنزلية من أحد محلات البقالة، انتقل بعد ذلك للعمل في مجال أطعمة الحيوانات المنزلية ثم التحق بالعمل لدى اللحام... وبدأ مشروع لحم حسب الطلب. هل تحتاجين لكل هذه التفاصيل؟...».

قالت سيليا: «إنها موجودة في سيرة حياته الرسمية. الكتاب المقدس الخاص بالبائع: تخلص من كل ما يمكن للزبون أن يعترض عليه، عندها سيقوم بالشراء».

«صحيح. ثم تابع حديثه حول نظرياته في إدارة الشركات: يجتمع المدراء للعمل في مشروع ما لبعض الوقت، ثم يتفرقون. تكتلات مشتركة. كان يبدو سعيداً بالحديث حول تلك الأمور لكنه سرعان ما التزم الصمت عندما حاولت أن أسأله عن ترشيحه للبرلمان».

«لقد كان ذلك خلال الانتخابات الأولى في عهد تاتشر، أليس كذلك؟...».

«نعم. لم يتفوه بكلمة. أسدل الستائر. ساد التوتر للحظة. خطر لي أنه سينيهي المقابلة ويطالب بأشرطة التسجيل. لم يقل سوى أنه أنقذ نفسه في اللحظة الأخيرة».

«لا شك بأن عدداً لا يستهان به من المسؤولين التنفيذيين لا يعرفون كيف يتصرفون بلباقة لدى إجراء مقابلات معهم - كما أنهم لا يعرفون كيف يجرون المقابلات - لكن الوضع هنا يبدو مختلفاً».

«كراوفورد يتقن تماماً ما يقوم به من عمل. لكنني أيضاً أتقن عملي - عندما يتحرك شيء ما حقيقي تشعيرين بذلك. تحاولين تلمس طريقك وسط كل ذلك الهراء المُعد سلفاً الذي يدلي به هؤلاء الأشخاص، وفجأة، يلمع شيء ما - شيء من الذهب الخالص - تتجهين نحوه، وتتمسكين به بإحكام. استمعي إلى همفريز أو إلى باكسمين عندما كانا في أوج شهرتهما. يبدو الأمر أشبه بكلب يقوم بالهجوم، هذا هو المغزى من اللعبة بكاملها: العثور على الحقيقة».

«وكانت تلك اللحظة الوحيدة التي...». صمتت برهة بينما كانت مجموعة من الشبان، الذين كانوا يغنون بصخب، يعبرون الشارع أسفل الشرفة. نظر هيو إلى المنظر الجانبي لوجهها وقد بدا خلفه انحناء قبة كاتدرائية القديس بول المضاء وتساءل في نفسه عن مدى عمق العلاقة التي تربطها بكراوفورد، ما هي الأسرار التي تعرفها عنه. كانت سيليا، في ما يتعلق بأمور كثيرة، كتاباً مغلقاً بالنسبة له، مثلما كان هو بالنسبة لها، كما يعتقد. كانت علاقتهما قائمة على

الإعجاب المتبادل، وعلى الشقة القبو التي يتشاركان العيش فيها وعلى إحساس كل منهما بالارتياح لهذا الوضع. تساءل ماذا يمكن أن يحدث إذا ضلَّ أحدهما الطريق وعَبَّرَ الحدود إلى منطقة الالتزام العاطفي والتقى مصادفةً بذلك الوحش الخرافي الذي يُدعى الحب؟... ابتعد المغنون وأكملت سيليا جملتها: «اللحظة الوحيدة التي شعرت بأنك عرفته عن كثب؟...».

«نعم، أما ما تبقى فكان مجرد كلام يردده دون تفكير. لا شك بأن بيرى كينغ، مسؤول العلاقات العامة لديه، قد أعد له النقاط الأساسية التي سيتحدث فيها. لم نسلم نحن الصحفيين المأجورين من لسانه أيضاً. بالمناسبة، هل تعرفين كينغ؟...».

«بيرى، طبعاً. إنه رجل ذو كفاءة. هل تعرف أن زوجته تعمل مع الفريق الآخر؟...».

«لا شك بأن ذلك يعتبر تضارباً في المصالح».

«إنهما مطلقان. لقد انفصلا قبل سنتين. لقد كنت دائماً أشعر أن بوبي هي الفريق الأذكى في هذه الشراكة رغم أنها بدأت حياتها كمساعدته الخاصة. لكن بيرى رجل لا غبار عليه».

«وماذا عن بقية المستشارين - مصرفي الاستثمار؟...».

«أوين بوز؟... وغد بكل معنى الكلمة لكنه يعتقد بأنه ظرف، إنه يكسب كثيراً من المال للمصرف ولنفسه. هذه الصفقة لا تُعتبر ذات شأن بالنسبة له».

«لماذا إذاً يقوم المصرف - أعني لماذا تشاركين أنت والمصرف بهذه الصفقة؟...».

«أنا أشارك فيها، إلى حد ما، لأنني أعمل لحساب كراوفورد. أما أوين فيبدو أنه يرى فيها فائدة بالنسبة له. إنه يتحرق شوقاً لكي يُضيف اسمه ضمن قائمة أفضل عشرين مدبري صفقات خلال العام. لقد قمت بالتحقق من بعض الأرقام ولاحظت أنه على الرغم من أن عملية أيوت - بايفيلد لا تعتبر صفقة ضخمة، إلا أن قيمتها قد تضيف إلى مجموع نقاطه ما يكفي لحشر اسمه في القائمة. كما أنه قد يكون

بحاجة للعلاوة كي يشتري سيارة رياضية أخرى. ولا تنس أيضاً ما جاء في خطة الوزير بشأن دعم رجال الأعمال، هناك، إذاً، احتمال أن يكون المصرفيون راغبين في الظهور بمظهر ا ، ولو لمرة على الأقل».

لمح هيو في الطرف الآخر من الغرفة جورج باكينهام، وهو صحفي بدأ نجمه بالصعود في مجال الأخبار السياسية في التلفزيون كان قد التقى به في عدد من الندوات. لوّح له بيده وناداه. اعتذر باكينهام، الذي لوّحت الشمس وجهه - أين اكتسب هذا اللون؟... - من المجموعة التي كان يقف معها وجاء إلى البار حيث كان هيو.

«مرحباً ج. كيف أحوالك؟... لقد أعجبتُ بالتقرير الذي أعددتَه من اشنطون، حول نيوانجلاند في الخريف، يا لك من وغد محظوظ».

ارتسمت على وجه باكنهام ابتسامة عرضة. «لم تسنح لي الفرصة لرؤية التقرير. لكنني طبعاً لا أستطيع أن أنكر أن أموري لا بأس بها. وأنت، ما أحوالك؟...».

كاد هيو على وشك البدء بالتبجح بشأن برنامج ا افق، لكن ا نامج - نة بما حققه باكينهام من إنجازات ناجحة- لم يكن يستحق الحديث، ولذلك اكتفى بالقول: «أنا أتابع قضية الاستيلاء- جيم كراوفورد وشركة الإلكترونيات. أعتقد أن القضية يمكن أن تتحول إلى مقالة رئيسة ناجحة بما أن جال الأعمال قد عاد ا ليصبحوا محور الاهتمام».

توقف باكينهام برهة وقد أمال رأسه إلى الجانب. «لقد تناهى إلى سمعي أشياء من هذا القبيل... أين كان ذلك؟... في البرلمان لا أستطيع أن أ أين وكيف جاء ذكّر ذلك- أحد العاملين في وزارة الخارجية. أحد مساعدي روبن كوك. كانت بضع كلمات لا غير. أثناء تقديم مذكرة جاء ذكر اوفورد والشركة التي يريد شراءها عابرة في مكان ما من المذكرة. ا استجد أي شيء، اتصل بي هاتفياً».

سحب بطاقة من جيب سترته العلوي، أدرك هيو عندها أن باكينهام لم يأت لرؤيته

الاستيلاء

إكراماً للمعرفة التي تجمعهما. لقد انتبه باكيניהم، شأن أي صحفي مأجور ناجح، إلى المسار الذي بدأت تأخذه الأمور وبدأ يحاول نصب الشراك بأمل أن يحصل على نصيبه من الغنيمة. لا يهم إذا لم يعلق شيء في الشراك - عاجلاً أم آجلاً، وإذا نصبت ما يكفي من الشراك، لا بد أن يعلق شيء ما. قال باكيניהم: «هيو، لقد سررت لرؤيتك». ارتسمت على وجهه ابتسامة ارتياح لأنه استطاع أن يتذكر اسم هيو قبل انتهاء الحديث، وسار عائداً إلى المجموعة التي كان معها.

نظر هيو إلى البطاقة. كانت بالغة البساطة، لا تحتاج إلى قول الكثير للإقناع. قرر أن يعدل تصميم بطاقاته لتصبح بنفس الشكل. دفع ثمن كأسّي المارتيني ثم حملهما ومضى عائداً إلى الشرفة.

«ظننت أنك قد تهت عن الطريق».

«لقد صادفت جورج باكيניהم».

«هل تعرفه؟...».

«أنا أعرفه أكثر مما يعرفني هو. ولكن من يدري كيف يمكن أن تتقلب الأمور. لقد سمع أخبار كراوفورد هناك عبر النهر». وأوماً برأسه باتجاه بناء البرلمان بطرازه القوطي وقد كسسته الأضواء. «لقد بدأت أتساءل إن كان لهذه القصة أبعاد أكثر مما خطر لي في البداية».

«لا بد أن يشير الأمر اهتمامهم. فهو رغم كل شيء، شخصية معروفة ضمن النطاق القومي».

«سيليا، وهكذا كان برنارد ماثيو أيضاً».

«الديوك الرومية تختلف عن الإلكترونيات. إنها مجرد ديوك، لا تهم في قليل أو كثير».

«إلا بالنسبة للديوك الأخرى».

«هيو، أعني عند المستوى العالمي. إنها لا تتبختر متباهية على مسرح التاريخ».

«وصلت الفكرة. هل هناك من ترينه صالحاً لدى الفريق الآخر؟...».

«هل تعني لدى فريق باركر؟...».

«نعم. شخص يستحق أن تُجرى معه مقابلة، شخص يمكن ألا يشعر بالتزام كامل

- هل تعرفين شخصاً كهذا؟...».

«شخص يمكن أن يوافق على مقابلة صحفي مأجور مثلك؟...».

رفع كأسه المثلج تحية لها وقال: «هذا تماماً ما أقصده».

«الشخص الوحيد الذي أعرفه هي بيث ستيوارت، المديرة المالية. سيدة حادة

الذكاء - وشديدة الطموح. لا أتصور أنها ستبقى في شركة بايفيلد حتى ولو تمكنت

الشركة من صد كراوفورد».

«هل لديك رقم هاتفها؟...».

«في حقيبة يدي».

«رائع. هل بإمكانك أن تشرحي لي خلفيتها بعض الشيء - ما هو نوع

شخصيتها؟...».

«قالت سيليا: «لا أدري بالتحديد. أنا أراها عصية على الفهم إلى حد ما.

إسكتلندية متزوجة من مدرس، لم تُرزق بأطفال. كنت دائماً أشعر أنها لا تميل كثيراً

للاختلاط ولا تحب الظهور. قد يكون السبب مجرد نزعة طبيعية للحفاظ». نظرت

في ساعتها ثم جرعت ما تبقى في كأسها وقالت: «أعتقد أن من الأفضل أن نذهب.

بإمكانك أن تتصل بها من السيارة». كان من المقرر أن يذهبا إلى حفل ترويج كتاب

جديد لأحد زملاء سيليا الموهوبين. وهناك أيضاً مشروع نجاح آخر لرجال أعمال

بدأوا بشق طريقهم. ولكن، أخذ هيو يفكر وهما يسيران باتجاه المصعد ليستقلاه إلى

الطابق الأرضي، لا بد أن الوجبات الخفيفة والمشروبات ستكون أفضل من تلك التي

تُقدّم في حفلات ترويج الكتب الأدبية.

الاستيلاء

بينما كانا يسيران بمحاذاة المسرح الوطني، طلب هيو رقم هاتف بيت ستيوارت الجوال. بعد أن رن الهاتف مرتين، أجابت بيت.

«مرحباً، بيت ستيوارت تتكلم» كان صوتها يحمل لكنة إسكتلندية جذابة.

«مرحباً بيت، أنا هيو ميد من محطة BBC». توقف برهة ليتيح لها فرصة استيعاب النبأ العظيم. رفعت سيليا حاجبيها وارتسمت على وجهها ابتسامة متكلفة. «آسف لإزعاجك في وقت كهذا».

«لا أبداً، ليس في الأمر أي إزعاج، سيد ميد. ماذا بإمكانني أن أفعل من أجلك؟...».

«أنا أعمل ضمن برنامج Business today، ونحن نُعدُّ حلقة عن الأفكار العامة السائدة المتعلقة بالأعمال لدى نهاية القرن. أعني نهاية الألفية. أشياء من هذا القبيل».

«هزت سيليا رأسها وغمغمت: أيها الضفدع القذر، لماذا لا تقول الحقيقة؟...».

«لقد أعطيتي المحللة سيليا هارت اسمك. أعتقد أنك تعرفينها؟...».

«نعم. أعرف سيليا. ولكن ماذا يمكنني بالضبط...».

«أنت ضالعة حالياً في معركة الاستيلاء...».

«هيو ميد؟... الآن تذكرت، لقد كتبت مقالاً يوم الاثنين».

«صحيح. وأنا مهتم فعلاً بسماع القصة من وجهة نظرك، سواء في ما يتعلق بعملية الاستيلاء وبحكم كونك سيدة ضالعة في ميدان الأعمال ستمارس تأثيراً ضمن أجواء الشركات خلال السنوات القليلة القادمة».

«سيد ميد، لا أعرف إن كنت حقاً أتمتع بهذه الدرجة من الأهمية». كان في صوتها أثر ضحكة تحمل استخفافاً ظريفاً بالنفس. شعر هيو بأنه قد أعجب بها قبل أن يراها.

«من يدري - لكنني فعلاً أرغب بإجراء مقابلة معك، من أجل البرنامج وربما من أجل الصحيفة أيضاً».

«لا أدري، لكن يبدو أن الجميع يرغب في أن أقوم...».

قاطعها هيو: «الأمر يعود إليك بالطبع. ما رأيك في أن أدعوك بعد العمل مساء خلال الأسبوع الحالي، لنقل يوم الخميس».

«آسفة فعلاً، ولكن...».

«ليكن إذاً يوم الاثنين أو يوم الثلاثاء من الأسبوع القادم. رجاء، ستسدين إلي معروفاً لن أنساه...».

انتظر قليلاً.

غمغمت سيليا: «الأسلوب المعروف إياه، يثير أولاً في نفوسهن الإحساس بالذنب ثم يصيبهن بالدوار ويدفعهن لتغيير الاتجاه. ميد، يالك من قدر».

«أعتقد أن بإمكانني أن أقابلك يوم الإثنين».

«بيث، رائع. سوف ترضى عني المنتجة. هل أمر لأصطحبك من... أعتقد من غولد هوك ميوز، أليس كذلك؟...».

«بإمكاني الحضور بنفسي للقاءك».

«كلا. ستكون أجرة السيارة على حسابي. متى أمراً، في الساعة السادسة، السادسة والنصف؟...».

«يُفضّل في السادسة والنصف، فنحن مشغولون قليلاً في الشركة».

«رائع، شكراً، إلى اللقاء». أغلق الخط.

قالت سيليا: «لم تترك لها رقم هاتفك في حال رغبتها بإلغاء الموعد».

قال هيو: «لقد فاتني ذلك». سارا باتجاه قاعة الاحتفال والدولاب الكبير المعلق فوق النهر.

بايفيلد، غولد هوك ميوز، لندن ٤٠: ١٨

لم يكن مكتب الاستعلامات في شركة بايفيلد حديثاً بالمقارنة مع مكتب الاستعلامات في أيوت، المكسو بالفولاذ والزجاج. كان الوصف الملائم لمكتب بايفيلد هو أنه كان مريحاً. أوماً جون باركر برأسه محيياً إلى موظف الاستعلامات - في تلك الساعة، كانت قد حانت وردية الحارس المسؤول عن الأمن، الذي كان يرتدي اللباس الرسمي، بعد انتهاء عمل السيدة غلاس، التي كانت تجلس في المكتب خلال النهار.

سمع باركر أريز آلة التنظيف الكهربائية، نظر إلى الممر ورأى أديل ماكدونالد، التي ترتبط مع الشركة بعقد خاص بالتنظيف. كانت امرأة سوداء في الخمسينات من العمر، بدأت حياتها كعاملة تنظيف في بايفيلد، لكنها خلال الأحاديث التي كانت تتبادلها مع باركر لم تكتفِ بالصدقة غير المألوفة التي نشأت بينهما، بل إنها اتبعت نصيحته وأنشأت شركة خاصة بها يعمل فيها حالياً عشرات الأشخاص تعمل في تنظيف الأبنية في كل أنحاء لندن. إن شركات التنظيف الجيدة والموثوقة تعتبر كسباً لأي شركة، ولم يكن لدى باركر أي شك في أن شركة كلينر راوند ستحقق النجاح تلو النجاح. كانت أديل لا تزال تصرّ على الإشراف على تنظيف بايفيلد بنفسها، قد يكون بدافع الولاء أو بدافع الرغبة في الاحتفاظ بمكانتها هناك. عندما أطل برأسه من الباب، لوّحت له محيية وقالت: «مساء الخير- سيد باركر». أوقفت آلة التنظيف عن العمل وسارت في الممر باتجاهه. «أنا آسفة لما تعانيه من مشاكل، آسفة من كل قلبي».

«إذاً أنت تعرفين بأمر المشاكل يا أديل؟...».

«من الصحف. أبدأ قراءة الصحيفة دائماً بقراءة الصفحة المالية».

قال مازحاً: «للاطمئنان على أسهمك، لا تقلقي، مهما كانت النتيجة، فإن أسعار الأسهم سترتفع».

«على أي حال، الأمر ليس على هذه الدرجة من الأهمية. بإمكانني أن أبيع وأشتري كأي شخص آخر. ما يعني أكثر هو أنت، سيد باركر، وأعتقد أنها فترة عصبية بالنسبة لك».

«لقد كانت الأمور تسير بشكل أفضل. لكنني لا أستطيع الشكوى، رغم ذلك».

«قد يكون الأمر كذلك، ولكن لدي إحساس بأنك لست مرتاحاً لما يجري حولك».

«صحيح، لست مرتاحاً لما يجري حولي».

«هل تظن أنهم سينجحون في مسعاهم؟...».

«لا أعرف ماذا يجب أن أظن. أديل، سأبوح لك بسر، قد تسير الأمور في أي من الاتجاهين. إذا كنت قلقة بشأن عقدك، فلا شك بأنهم سيجددون العقد معك».

«سيد باركر، لديّ صف من الأشخاص يبلغ طوله...». فَرَدَّتْ ذراعها إلى جانبي جسمها «ينتظرون الحصول على خدمات كلينر راوند. إذا تم الاستيلاء على الشركة، فقد أقرر أنا عدم تجديد العقد». أطلقت ضحكة عالية وربتت على ذراعه قائلة: «اهتم الآن بشؤونك وتذكر أنك إذا احتجت يوماً ما للعمل، ما عليك سوى الاتصال بي». ذهبت وهي تطلق ضحكة أخرى. ابتسم باركر. لقد سارت الأمور بينهما دائماً على ما يرام. لم يكن أي حاجز يفصل بينهما، كان هو يتصرف مع أديل على طبيعته أكثر مما يتصرف مع معظم العاملين في الشركة.

سمع أزيز المصعد وهو يُفتح، خرجت منه بيت ستوارت. كانت تلقي بمعطف على ذراعها وتحمل حقيبة أوراق تحوي الوثائق التي قد يحتاجان إليها خلال الاجتماع مع المدير غير التنفيذي. فتح لها الباب وخرجا ليستقلا السيارة المستأجرة.

بارفندق لاندمارك، بيكر ستريب، لندن، ١٩:٠٠

«جون باركر؟... أنا بريان هاوس». كان رجلاً في الأربعينات من العمر يرتدي ثياباً تتم عن ذوق رفيع، عندما وقف ومد يده للتحية كانت تصرفاته تتسم بثقة بالغة

الاستيلاء

في النفس وكأنه كان يرحب بهما في تلك القاعة الشاهقة في فندق لاندمارك بصفته مالكا لها. قال وهو يهز يد باركر مصافحاً: «تسعدني رؤيتك». ثم التفت إلى بيث، قام باركر بتقديمها، فصافحها هاوس بود بالغ.

«تفضلاً بالجلوس. ماذا يمكنني أن أطلب لكما؟...».

قالت بيث: «نبيذاً أبيض».

«جون؟...».

لم يشعر باركر بارتياح كبير لأنه ناداه بـ «جون» في بداية اللقاء - لكنه أيضاً لم يكن مرتاحاً لفكرة قيام كراوفورد بسرقة شركته، بالتالي كان ذلك التصرف دون أي شك يمثل أهون الشرين.

كان باركر مرتبكاً بشأن الأسلوب الذي ينبغي اتباعه للدخول في الموضوع، فقد كانت قد مضت سنوات لم يضطر فيها لخوض غمار ما يدعونه بالمفاوضات المستعصية. في العادة، كان يتكلم من مركز قوة بوصفه مدير بايفيلد، لكنه بدأ يشعر أن ذلك ربما أدى به لاكتساب بعض العادات الذميمة.

كان واضحاً أن بريان لم تكن تورقه مشكلة كهذه. فقد اندفع مباشرة في الكلام: «جون، بيث، أنا أعرف أننا جميعاً مشغولون، لذلك لن أضيع الوقت في السؤال عن كيفية قدومكم إلى هنا أو عن أشياء من هذا القبيل. اتصل بي نك سبيلر هذا الصباح وأخبرني أنكم تعانيون مشكلة».

«نحن نتعرض لمحاولة استيلاء عدائية يقوم بها جيم كراوفورد وشركته أيوت. ومع أنه لا مانع لدينا من الاندماج أو من إنشاء مشروع مشترك مع أية جهة أخرى ضمن قطاع الأعمال، إلا أننا لا نريد أن نصبح جزءاً من أيوت».

«شكراً جون. كلامك موجز ودقيق لدرجة تدعو للإعجاب. أنت لا تميل إلى

كراوفورد. ولكن، هل يسري ذلك على بقية أعضاء مجلس الإدارة؟...».

كان ذلك سؤالاً لم يُطرح حتى تلك اللحظة. شعر باركر بشيء من الضيق لأنه كان يدرك جيداً أن أعضاء مجلس إدارة بايفيلد قد سيقوا دون إرادة - كما يقول الأميركيون - لاتباع سياسة باركر في الرفض. كان هاوس زبوناً يتصف بالدهاء، فقد التفت إلى بيث ستيوارت وطرح عليها السؤال ذاته.

«ما رأيك أنت؟...».

تساءل باركر في سره عما يمكن أن يكون جوابها. فمن بين جميع أعضاء مجلس الإدارة في الشركة، كانت هي الوحيدة التي يمكن لها أن تكون واثقة من الاستمرار في عملها في الشركة إذا نجحت مساعي كراوفورد. بل إنه قد يحتفظ بها ضمن أعضاء مجلس الإدارة، وإذا لم يحدث ذلك فلا بد أنها ستجد عملاً أفضل خلال أيام. كان يكفي بالنسبة له في تلك اللحظة أن يرى كيف ستقوم بيث بالموازنة بين المنطق السليم والطموح وبين مشاعر الولاء في حضرة مديرها.

«بريان، نحن جميعاً نعتقد أن جون قد حددَّ المشكلة الأساسية. الموضوع ليس في أن بايفيلد هي عذراء لا يمسه أحد. لقد نَضَجَتْ، وهي تشعر بالسعادة لفكرة الخروج في مواعيد، لكن جون، كأي والد أو والدة يهمله أمر اختيارها لشركائها. لا شك بأن أيوت شركة ناجحة، لكنها لا تتمتع بالنجاح المأمول، النجاح الذي يجب أن يتحقق نتيجة وجود فريق إدارة من هذا النوع. لقد قمتُ، خلال اليومين الماضيين، بدراسة وضع أعضاء مجلس الإدارة هناك. لا شك بأنه لا غبار عليهم. إجمالاً لا بد من القول، وأنا أعرف أن جون يقدّر الصدق والأمانة...».

أوماً باركر برأسه موافقاً وقال: «ثلاثة عليك ألا تكذب أمامهم: طبيبك ومديرك والمصرفي الذي تتعامل معه».

تابعت بيث: «إن العاملين في أيوت، كفريق، يحققون نتائج أفضل مما يحققه أعضاء مجلس الإدارة لدينا، وأعتقد أن علينا أن نتعلم منهم كيفية تحسين أدائنا. وأنا هنا أقول نتعلم، وليس ننضم، لا لسبب سوى أنني أرى أن تأثير كراوفورد يكبح ما لديهم من طاقات كامنة. مادام كراوفورد موجوداً، فإن أيوت لن تحقق الأداء الأمثل، إذا استولى

الاستيلاء

على بايفيلد - ودعنا لا نكذب على أنفسنا، فإن جيم كراوفورد، لا أيوت، هو من سيتولى مقادير الأمور، هذا يعني أن نفس الشيء سيحدث في بايفيلد. سيكون هناك بعض التحسن في النتائج النهائية لا أكثر. أعتقد أن على المساهمين في شركتنا أن يتوقعوا نتائج أفضل. كما أعتقد أنهم سيرون نتائج أفضل إذا حافظوا على ولائهم».

تركت كلماتها وقعاً مؤثراً لدى باركر. لا شك بأن بيت لا تملك أدنى فكرة عن السبب الذي يدعوه لرفض البيع إلى كراوفورد رفضاً قاطعاً. لكنها، رغم ذلك، تدبرت أمر الإتيان بحجج تثير الإعجاب.

«شكراً بيت. يبدو كلامك... مقنعاً تماماً. لقد أعجبني التركيز على المساهمين، لأن المساهمين، في النهاية، هم المعنيون بالأمر».

أراد أن يقول: وماذا عن الموظفين، أليسوا هم المعنيون فعلاً؟... لكن الأمر لم يكن كذلك، بل لم يعد كذلك. ولهذا، التزم الصمت. على أية حال، ألن ينقلب الأمر في النهاية إلى شعور بالضغينة نحوه؟... نحو فشله. عب من الكأس، وقرر تجاهل هذه الفكرة.

سأل هاوس: «كيف ترى الأمر بشكل عام؟...».

حرك هاوس قطع الثلج في كأس الماء، أخذت تقطر جوانب الكأس وتصدر صوتاً مزعجاً. «أعتقد أنه كان من الواجب أن أكون أنا، أو شخص آخر مثلي، بين أعضاء مجلس الإدارة خلال العام الماضي».

أضافت بيت: «هكذا كان رأي نيك سبيلر».

قال هاوس: «من الواضح أن ذلك كان ضرورياً، بعد أن حدث ما حدث. بيت، هذا درس قد يفيدك في المستقبل».

لم يفث باركر أن يستنتج من كلمات هاوس أن هناك مستقبلاً ينتظر بيت، بينما لا يوجد أمامه مستقبل كهذا. فرغ من شرب ما في كأسه ورفع ذراعه لاستدعاء النادل. لم يرغب كل من هاوس وبيت بشرب المزيد، بينما طلب باركر كأساً مضاعفة.

تابع هاوس كلامه: «والآن نظراً لعدم وجود شخص مثلي ضمن أعضاء مجلس الإدارة، أعتقد أن أفضل ما يمكن أن تقوموا به هو تعييني أو تعيين شخص مثلي ضمن أعضاء مجلس الإدارة الآن، وبأسرع وقت ممكن. أنا أعرف مركز المدينة ا بي، أعرف كيف تجري الأمور هناك والأشخاص الذين يديرون ، كما أنهم يعرفونني. هذا سيعزز مشاعر الثقة بشركة بايفيلد بشكل عام. سوف يصبح بإمكاننا أن نتوجه بالحديث المناسب إلى الأشخاص المناسبين. أما معرفة ما إذا كانوا سيصفون إلينا، فهذا أمر آخر. كما أن معرفة ما إذا كان المساهمون في شركتكم سيصفون إلينا، هو أيضاً أمر آخر. لقد نجحت مؤخراً - ولا مكان للتواضع هنا....». قال باركر في سره: هذا واضح «في تقديم الخدمات للمستثمرين، ولذلك سيكون بإمكانني طمأنة الناس وكسب بعض الوقت ريثما نُعد وثيقة الدفاع. أتصور أنكم قمتم بإصدار بيان مؤقت تتصحون فيه المساهمين برفض العرض، أليس كذلك؟...».

قالت بيت: «نعم، كان ذلك أول إجراء قمنا به».

«يمكنني القول بناء على ما أخبرني به نك وعلى ما سمعت منكما الليلة، بأن لدينا فرصة، ولن أبالغ أكثر من ذلك، في إفشال عرض أيوت. أعتقد أن بإمكانني أن أعرض عليكم ما يفيدكم في هذه العملية. هذا في حال رغبتكم بأن أنضم إليكم».

قال باركر: «بريان، أعتقد أننا بحاجة لأن نتضم إلينا. ما رأيك بيت؟...».

«لا شك بأننا بحاجة، فليس لدينا من يتمتع بمها إيت بريان. لننتفك إذاً في حال... ما هي الشروط التي نتفاوض بشأنها الليلة؟...».

فكر هاوس لبرهة. «في العادة تجري المفاوضات على أساس ١٨ - ٢٠ ألف لمدة ١٥ يوماً في العام تقريباً. هذا لقاء الأداء العادي الذي يمكن أن تتوقعوه من مدير غير تنفيذي، لكن الوضع هنا يختلف تماماً. فأنا، إلى حد ما، أخطر بسمعتي ولذلك أطلع للحصول على ٥٠ - ٦٠، مناصفة بصورة نقد وحقوق مساهمين».

كان ذلك مبلغاً كبيراً. كان مبلغاً طائلاً. قال باركر: «لدينا تجمُّع ملكية أسهم الموظفين تجري إدارته من قِبَل صندوق عائلي. بإمكاننا بيع أو منح تلك الأسهم إلى موظفينا بالتالي، لا توجد مشكلة بشأن الحقوق أو النقد - إذا كان باستطاعتك إنقاذنا من كراوفورد...».

الشقة ٧ ، فروغويل رود ، ويست دولويتش ، لندن ٥٠ : ٢١

عندما عادت بيت قبيل العاشرة لم يكن جاك موجوداً في المنزل. كانت قد جلست مع باركر في لاند مارك لبعض الوقت بعد أن ذهب هاوس، لمناقشة انطباعاتهما عن الرجل. أقرَّ الاثنان بأنه كان، دون ريب، متفطرساً، لكنهما اتفقا على أن ما يتمتع به من مهارات كان جديراً بدفع ثمن كهذا. كان الحديث، بالنسبة لبيت، يعني الحفاظ على توازن دقيق. أخذت تستعيد ما قيل وهي تشغل الغلاية لتصنع قهوة وتضع وجبة مجمدة في فرن المايكرويف. كانت هناك فكرة بقيت صامتة وإن كانت لم تبارح ذهنها طوال الأمسية: لا شك بأن إحدى أهم مهمات بريان هاوس ستكون التكفلُ بأمر مسألة توريث المناصب. تساءلت في سرها، وهي تتحى الغلاية، إلى أي حد كان باركر يتقبَّل فكرة كون منصبه هو الأكثر عرضة للأذى بين المناصب الأخرى في الشركة. لقد كانت بايفيلد شركته مثلما كانت أيوت شركة كراوفورد، حتى ولو كان هذا الأخير هو المسؤول التنفيذي الرئيس وليس المدير. هناك إمكانية أن يتضمن أحد حلول الدفاع الناجحة تعيين مدير جديد وأعضاء مجلس إدارة جدد. لحظة كهذه لا شك بأنها ستشكل حداً فاصلاً، لا يبقى بعده شيء على وضعه الأصلي. لقد قالها هاوس لها بصراحة، قد يشكل ذلك تجربة استثنائية عليها أن تتعلم منها-لم تكن الأفكار السائدة في الشركة قد أفسدتْها بأي حال، قد يصوغ ذلك مستقبلها بكامله. أما بالنسبة للآخرين، لمعظمهم، فسواء ربحوا أم خسروا فإن النهاية تلوح أمامهم في الأفق.

ضحكت بصوت عال، ضحكت من مشاعر الزهو ومن رحلتها الطويلة في الحياة، الرحلة التي نقلتها من مزرعة على الساحل بي لاسكوتلندة إلى هنا في هذه اللحظة، إنها تتحدث في الشؤون المالية للشركة مع... مع أشخاص يطلبون ٦٠٠٠٠ جنيه إسترليني لقاء ١٨ يوم عمل في العام. لا شك بأن تلك الرحلة الطويلة قد بدأت تأخذ منحى بهيجاً.

أنّ جاك وهو يتهالك على كرسي إلى طاولة المطبخ. «يالاه من يوم مقيت». بدا وجهه ممتعاً من شدة الإرهاق.

قالت بيث: «أنت بحاجة لطعام». صدر أزيز عن فرن المايكرويف. فتحت الفرن ونظرت إلى الوجبة الخاصة بالحمية، ثم قالت: «لا أعتقد أن أياً منا بحاجة إلى وجبة من هذا النوع حالياً. هل ترغب في أن أطلب البيتزا؟...».

جلس وعيناه مغمضتان: «فكرة رائعة، بيتزا من جميع الأصناف مع بطاطا مقلية».

أحسّت بمدى التوتر الذي يشعر به. سألته: «المزيد من المشكلات؟...».

قال: «المشكلات لا تنقطع. لكن زيارة المفتشين جعلتها تبدو ملحة. معظم الموظفين يدعمون موقفي لكن هناك بعض الموظفين الذين ورثتهم عن الإدارة السابقة ممن يتمسكون بموقفهم السلبي...».

بينما كان مسترسلاً في الحديث أخذ التدليك الذي كانت تقوم به يشيع في جسمه الراحة. فكرتُ هي: كان من المفروض أن نقوم الليلة بمناقشة قضايا أخرى - حياتنا، مستقبلنا...

تابع كلامه قائلاً: «عليّ أن أجعلهم يستفيقون إلى وعيهم بطريقة أو بأخرى، أو أن أخفيهم وإلا انتشر الوباء».

في تلك اللحظة، فكّرت بيت: ولماذا أهتم، إذا تفاقم الأمر فلن يكون لصالح أي منا. بإمكاننا التعايش مع الوضع. في ما بعد. قالت: «سأتصل بالمطعم، أعتقد أنه لن يكون هناك عدد كبير من الطلبات في منتصف الأسبوع».

«رائع. وبعض قطع الخبز مع الثوم».

الساحة الأمامية للمحطة، ريدنغ، بيركس، ٤٠:٢٣

كانت المحطة خاوية تماماً في تلك الساعة. كان عمال التنظيف يمسخون الأرضية بفراش تحيط بها أهداب غريبة الشكل بينما وقف اثنان من رجال شرطة المرور، بدا عليهما السأم، قرب أبواب الخروج.

تثائب جون باركر. لقد كان يوماً شاقاً، ولم يكن يتصور أنه سيقضي تلك المدة في الساحة الأمامية للمحطة حيث كانت درجة الحرارة، بعد انقضاء النهار الرائق، تُتابع الانخفاض بسرعة. كان قد بلغ الحد الذي يتجاوز قليلاً الإحساس بالراحة، إنه بحاجة لشيء من الاسترخاء. لم يتوقف ذهنه لحظة عن التفكير منذ أن تلقى تلك المكالمات الهاتفية من كراوفورد يوم الأحد الماضي - إن مجرد فكرة أنه لم يمض على المكالمات سوى أربعة أيام لا دهر بأكمله. ولسوء الحظ، لم يكن هناك أي محل مفتوح، محل يعرفه على الأقل. عليه الانتظار إلى أن تذهب به سيارة الأجرة إلى منزله، وهي رحلة تستغرق ثلاثين دقيقة في هذا الوقت من الليل.

كان قد خطر له أثناء رحلته في القطار أن يتصل بهيذر كي تأتي لاصطحابه من المحطة، لكنه لم يشأ إزعاجها، إضافة إلى أن الرحلة بسيارة الأجرة سوف تتيح له الوقت الكافي لاستعادة وعيه إلى حد ما، وعندها يمكن له أن يشرب قهوة أو شاياً بدل كأس آخر من الشراب، وقد يتمكن من النوم طوال الليل. لكنه كان يشك بذلك.

تردد صدى وقع كعبي حذائه على الأرضية الرخامية للمحطة، أحكم معطفه حول جسمه ودس كفيه في قفازيه بينما كان يغادر الساحة متجهاً نحو الخارج. كانت

السماء صافية وبدت النجوم واضحة حتى من خلال وهج مصابيح الشارع، لم تكن على نفس الدرجة من الوضوح التي تبدو بها في الريف، فقد كان المشهد خلاباً هناك، وقد علّم طفليه، عبر السنوات، كيف يستمتعان بمراقبة النجوم. اكتسب بول تلك العادة. لكن كليز كانت، حتى تلك اللحظة، تشعر بالبرد وسرعان ما تستغرق في نوم عميق بين ذراعيه عندما يلف معطفه حولها. عندما وصل بالتفكير إلى كليز، وتذكر كم هي هشة وضعيفة أمام الأذى، سألت من عينيه دمعتان حارقتان. قال في سره، رجل في سني يبكي وينشق بسبب ابنته، شيء سخيف مضحك.

«هل يمكن أن تعطيني بعض القطع النقدية الصغيرة؟...».

«ماذا؟... كلا». كان ذلك جوابه المعهود على سؤال كهذا، ليس هناك من يضطر للتسول في هذا البلد. نظر إلى حزمة المعاطف والبطانيات التي كان يطل منها الوجه الناظر إليه، لم يكن الوجه يعبر عن الغضب أو عن الاستياء بسبب الرفض، بل عن الاستسلام المستكين. وقف باركر وألقى عليه نظرة فاحصة، كان وجهاً طفولياً. ربما كان صبيّاً، لكن باركر لم يستطع أن يجزم بذلك كما لم يستطع أيضاً أن يقدّر عمره، رغم أنه بدا أصغر من أن يتجول في الطرقات - في مثل هذا الوقت. رفع إليه الطفل عينين تخلوان من أي تعبير، وكأن هاتين العينين لم تتمكنوا من استيعاب ما كان يحدث في ذلك المكان، كانت تلك اللحظة الزمنية التي لا يمكن لأحد أن يتخيلها، عندما وقف جون جيرارد بيكر، من شركة بايفيلد، يحدق في طفل مجهول ويتخيل ابنته غارقة في النوم بين ذراعيه. نزع قفازيه وسحب محفظة جيبه، وجد ورقة نقدية. لم يعرف قيمة الورقة، هل كانت خمسة جنيهات أم عشرة أم عشرين، مد يده بالورقة. امتدت ذراع من الحزمة، بدا بياضها ناصعاً بينما كانت اليد تأخذ الورقة من يده، أوماً الصبي - كان باركر قد تأكد الآن بأنه صبي - برأسه قليلاً، لا بقصد الشكر بل

لمجرد إبداء ردة فعل، ثم توجه بنظره إلى شخص آخر كان خارجاً من الباب وقال: «هل يمكن أن تعطيني بعض القطع النقدية الصغيرة؟...».

فكر باركر، وهو يسرع الخطأ باتجاه صف الأشخاص الذين ينتظرون سيارات الأجرة، يا لي من أحمق. إنه مجرد مدمن مخدرات طفل لا يأبه بي أو بأي شخص في هذا العالم. شعر بهبوب الريح بينما كان الصف المؤلف من بضعة أشخاص فقط يتحرك بسرعة إلى الأمام وأخذت سيارات الأجرة تصل إلى المحطة ومن ثم تغادرها محملة بالركاب.

«ويتشيرش هيل من فضلك. سأخبرك أنا عندما نصل إلى هناك».

أوماً السائق برأسه، ومد جسمه إلى الخلف ليفتح الباب. دلف باركر بعد جهد إلى السيارة الدافئة وغاص في المقعد وهو يشعر بالسعادة. وبينما كانت السيارة تدور لكي تخرج من الساحة الأمامية للمحطة، نظر إلى الخلف ليرى إن كان الطفل لا يزال في مكانه. لم يكن الطفل واقفاً هناك. خطر لباركر أن الطفل قد لا يكون موجوداً من الأصل... قد تكون كل تلك الأحداث مجرد وهم سرعان ما يستفيق منه.



اليوم ٣ +

الخميس ٤ نوفمبر ٣٥:٠٠

الشقة ١٥ ، ساوث بارك باريد ، بوتني ، لندن

نظرت دايان إيلرويد إلى اللحاف المطوي فوق حجرها . كان لحاف والدتها وقد ورثته هذه الأخيرة عن والدتها، آل الآن إلى دايان التي كانت الشخص الأخير في هذه السلالة . لقد مضى على وحدتها في العالم سبعة أشهر وواحد وعشرون يوماً ، وهو الوقت الذي انقضى على وفاة والدتها في دار المسنين في مين . كانت دايان هي التي تدفع تكاليف الدار، لكنها لم تكن موجودة عندما حانت النهاية، التي جاءت سريعة على الأقل . في إحدى الأمسيات سقطت الأم، وتلت ذلك نوبة خطيرة دامت طوال الليل لم تستف منهن .

قال لها المعارف أثناء الجنازة: كانت تلك أفضل طريقة للموت، فهي لم تعان ألم التدهور الصحي المتطاوّل، شاهدت التلفزيون ولعبت الورق مع أصدقائها عصر اليوم السابق واستمتعت بشرب الشاي ثم... انتهى الأمر. لا شك بأنها الطريقة الأمثل، لكن تلك الحقيقة لم تخفف من ألم دايان .

عندما انتقلت دايان للعيش في أوروبا، كان فراق والدتها أكثر الصعوبات التي عانتها أماً، رغم أن والدتها شجعتها على الذهاب: «عزيتي، أنت بهذا تحقّقين ذاتك، وهو ما يدفعني للسير بالفخر لدى التفكير بأن صغيرتي تعيش في أوروبا . لا شك بأنك تعرفين أن والدك كان في أوروبا . لقد ذهب إلى ألمانيا في الخمسينات» .

كانت دايان تعرف - فقد كان والدها طياراً حربيّاً، ومع أنه لم يشارك في الحرب، إلا أنه شارك في الجسر الجوي الذي أُقيم مع برلين، حتى أنه ظهر في بعض الأفلام التلفزيونية الوثائقية المتعلقة بتلك العملية .

«من الطبيعي أنني كنت أشعر دائماً بالقلق خشية أن يتعرّف هناك إلى شابة ولا يفكر بعد ذلك بالعودة إلى الوطن - لكنه عاد، وأعتقد أنه كان يشعر بالفخر أيضاً، كان يرغب في أن تذهبي إلى أوروبا. هل تعلمين أنني أكاد أراه أحياناً، وكأنه ينتظر في الجانب الآخر من الباب. وإذا ما أصغيتُ جيداً، فقد أتمكن من سماعه وهو يُخرج عود الثقاب ويشعل غليونته، يا إلهي... ذلك الغليون اللعين». كانت والدتها تضحك ويكتسي وجهها بالتجاعيد ليصبح أشبه بتفاحة من مین ظلت في المخزن بعد انقضاء الشتاء، ثم تمضي في الحديث وهي تنتقل من موضوع لآخر دون ترابط، وهو أسلوب يبعث الراحة في النفس، على غرابته، ولا يتقنه سوى المسنين. «كنت أقول له: هاري، أرجوك، لا يمكن أن نقوم بذلك في السيارة، لكن هل تظنين أنه كان يصغي لما أقول؟... دايان، هل تتذكرين يوم اشترينا سيارة إدزيل الجديدة؟... لقد شعرت بالفخر الشديد، أذكر كيف هرعت إلى خارج المنزل وصرخت بأعلى صوتك قائلة لآل بيلافستا، أو لعلها مامي هيرست: هذه سيارتنا الجديدة. كنتِ تقومين بتلميع الكروم الموجود على السيارة - وكان هناك كثير من الكروم الذي يحتاج للتلميع. لا أدري ما الذي خطر ببالهم. كان هاري يقول دائماً...».

ابتلت وجنتا دايان بالدموع وهي تعود بأفكارها لتجول في عالم ذكرياتها الخاصة. لقد كانت دموع الأسى لأنها لم تكن هناك في تلك اللحظة وكانت دموع ألم الحسرة لأنها لن ترى والدتها ثانية، إلا أنها كانت أيضاً دموعاً تبعث الراحة في النفس لأنها تُظهر أن الذكريات ما زالت هنا، واضحة وقوية. كان أكثر ما تخشاه دايان هو أن يأتي يوم تهدأ فيه لواعج الأسى، ومن ثم تبدأ بالابتعاد عن والدتها شيئاً فشيئاً، وتكون النتيجة أن تفقد هي ووالدتها بعضهما بعضاً.

طوت اللحاف ولفّته في قماش رقيق وأعادته إلى مكانه داخل الدرج وهي تفكر، لا بد أن يأتي يوم كهذا، عليها أن تألف الفكرة وتتعايش معها مثلما تتعايش مع ضغوط الحياة كافة. لقد كانت تلك الذكرى، بصورة ما، تعني بالنسبة لها ملاذاً تلجأ إليه لتنجو بنفسها خشية أن تستغرقها مشاغل مجلس الإدارة. لم يكن ذلك يعني

طبعاً أنها تشعر بالرغبة في التراجع، فعملية الاستيلاء هذه لابد أن تكون فرصة رائعة بالنسبة لها. منذ انضمامها إلى مجلس إدارة أيوت، كانت دائماً تشعر بأن أعضاء المجلس يتمتعون بالمقدرة على القيام بما هو أفضل، والآن، هل يُعقل أن تكون الفرصة قد أُتيحت لهم كون جيم كراوفورد قد تجاوز حدود منصبه؟... كان هذا رأيها، وكان هذا رأي مارك تشيما - هذا عندما يتمكن الشاب المسكين من تحويل أفكاره عما يعتبره، هو مفاتن دايان. كان ولعه بها ومحاولته إخفاء ذلك الولع يؤثران بها بصورة ما، بل ويُرضيان غرورها لدرجة كبيرة. كانت تكبره بعشر سنوات، لكنها حين تكون برفقته - هذا عندما لا يأكل الورق- تشعر من جديد بأنها مراهقة. من يدري كيف سيؤول الأمر بالنسبة لكليهما - عليها الآن ألا تنسى الحدث الأهم.

كانت بحاجة للاجتماع بكافين كلوني، المدير غير التنفيذي، ويجب أن يكون ذلك هو البند التالي في مخططها، رغم أن التفكير بمارك كان أكثر جاذبية بالنسبة لها، لقد مضى وقت طويل لم تعش خلاله علاقة رومانسية وقد يكون ذلك إمكانية، مجرد إمكانية...

القبو ، ٧٧ كيبيل ستريت ، فيكتوريا ، لندن - ١٠:١

قال هيو، وهو ينظر إلى سيليا ويزيح خصلة من الشعر عن وجهها: «أليس من الغريب أن يكون كراوفورد وأندريا كريفي حاضرين في حفل ترويج الكتاب، لم يدر في خلدي مطلقاً أنه يهتم بأمور من هذا النوع؟...».

أجابت سيليا بصوت شابه الكدر: «ما أهمية ذلك؟...». كانت مستلقية باسترخاء على السرير وهي تحس بتعب لذيذ، وقد تلاشى العمل من ذهنها ولم يعد سوى ذكرى غائمة.

«أنا أعتقد أن الأمر بالغ الأهمية. إنه يعتمد الظهور هذه المرة. لقد كلّف نفسه عناء الحديث معي مطوّلاً، وشكرني على إجراء المقابلة وأبدى أمله في أن تمضي الأمور على ما يرام...»

الاستيلاء

جذبت سيليا وجهه وقربته من وجهها وقبلته وهي تقول: «هيو، أرجوك، كف عن هذه الثرثرة الحمقاء». لكن بدا واضحاً من رد فعله الغامض أن تفكيره كان يتركز في مسار آخر.

«انتظري قليلاً».

«هيو، المفروض أن العاملين في مركز المدينة التجاري، أمثالي، هم الذين يستولي العمل على تفكيرهم - وليس الصحفيون المأجورون أمثالك».

«صحيح، لكن عليك أن تكوني صبورة وأن تنتظري. أكاد أجزم بأن كل ما قاله لي لم يتعدَّ حدود الشؤون السطحية - من ناحية أخرى...».

«على الأقل، جيم كراوفورد يحصر كامل تفكيره في العمل الموكل إليه».

«وأنا بحاجة...».

«أعرف ما أنت بحاجة إليه، وأنا أيضاً بحاجة إليه».

«ما أنا بحاجة إليه هو إجراء مقابلة مع أندريا كريفي».

«إنها لا تجري مقابلات».

«مقابلة غير رسمية وغير مسجلة. يمكن لي أن أدعوها إلى الغداء».

«إنها لا تلبي دعوات الغداء».

«قد تلبي دعوتك. ادعها وسأمر أنا بالصدفة، أي بالأسلوب الذي نتقنه نحن الصحفيين المأجورين. بإمكانك أن تتذكري بعد ذلك أن عليك إحضار شيء من المكتب ثم اتركني معها لأتكفل بالوضع».

«قلت سيليا متجهمّة: «أتمنى لو تتكفل بوضعي حالياً».

«هل بإمكانك تدبير ذلك خلال الأسبوع القادم؟...».

«هيو، أصدقك القول، لا أدري إن كنت أستطيع».

«أرجوك». قبّلها، تلاشت مقاومتها.

«كما تريد، سأحاول القيام بشيء ما».

«هل هذا وعد؟...».

«أعدك بأن أقوم بما أستطيع القيام به - شرط أن تعدني بأنك لن تستغلها بأية

طريقة. إنها سيدة لطيفة، وآخر ما تحتاجه هو قيام جرد مثلك بالعبث في حياتها،

هذا حقي ولن أتنازل عنه لأحد».

«اتفقنا».

«اتفقنا. والآن... لا بأس.... تحسّنت الأمور قليلاً».



obeikandi.com

اليوم ٧+

الاثنين ٨ نوفمبر، ٢٠١١

لايتولير، باكمان آند غيل، آر جي هاوس، بيشوبيس غيت، لندن
دخل جون باركر غرفة الاجتماعات وتبعته بيت. كانت الغرفة تعكس الطابع الذي
يسود المبنى بكامله - فهي بالغة الاتساع دون أن تضم شيئاً عدا المتطلبات
الأساسية إضافة للبذخ الذي يتجلى بوضوح. كانت هناك طاولة بيضاوية من
خشب السنديان بدأ المجتمعون يتحلقون حولها. جلس كل من بيل هاربر، المسؤول
التنفيذي الرئيس في بايفيلد، وتيم إيريكسون، مدير المصادر البشرية، في مواجهة
بيت. بدا هاربر ممتنع الوجه، أما تيم إيريكسون، الذي كان يتشبث بحقيبة منتفخة
بالأوراق، فقد ابتسم لها ابتسامة باهتة. لا بد أن الرجلين قضيا عطلة نهاية
الأسبوع في العمل دون توقف.

لم تكن بيت قد تبادلت الحديث مع تيم منذ حديثهما الذي دار حول المستقبل، أو
حول عدم وجود مستقبل بالنسبة لتيم. كان كلُّ من في بايفيلد يبذل أقصى جهد
ممكّن في العمل على وضع الخطط والتوقعات والأرقام والتقديرات التي تم إرسالها
إلى نيك سبيلر وفريقه، هنا في آر جي هاوس، حيث كان يجري إعداد وثيقة
الدفاع. كان بريان هاوس، المدير غير التنفيذي المعين حديثاً، قد تردد مراراً إلى
مقر الشركة الرئيس ليوجه أسئلة هنا وليحث على اتخاذ القرارات هناك، ومن ثم
يتلاشى في الشوارع الملتوية والأبراج التي تغطي الغيوم قممها في مركز المدينة
التجاري. لم تشعر بيت بميل كبير تجاه الرجل - ^{بعد} أن عرفتته عن كثب، لم يبد
لها أقل غطرسة مما بدا عليه في لقائهما الأول - لكنها لم تكن مضطرة للشعور

بالميل نحوه، يكفيها منه تنفيذ ما يترتب عليه، وهو ما بدا أنه يقوم به حتى تلك اللحظة، فقد حافظت أسعار الأسهم على استقرارها. كما أن الآراء، على الأقل كما انعكست في معظم وسائل الصحافة، بدت حيادية إزاء مسألة من سيربح المعركة ومن سيخسرهما.

جلس هاوس بجوار جون باركر واستند إلى ظهر المقعد مسترخياً وهو يجيل البصر حول الطاولة. قالت بيث في سرها، لا بد أنه الآن موضع حسد، وبخاصة إذا ما قورن وضعه بوضع المدير، الذي ارتسمت على وجهه علائم الإنهاك والحيرة شيئاً فشيئاً بمرور الوقت. كان بإمكانه أحياناً أن يستعيد رباطة جأشه وأن يتصرف بأسلوبه السابق الذي يتسم بالحزم والمنطق. أما الآن، فهو غالباً ما يشرذ في ما حوله، وكأنه يحاول رؤية شيء ما في الأفق. لكن هاوس، من ناحية أخرى، كان يجني الكثير لقاء القيام بعمل يحبه دون أن يكون ضالعاً فيه بصورة شخصية.

كانت بيث، في بداية الأمر، تعتقد أن الشيء ذاته ينطبق عليها: لن تعدو المسألة كونها مجرد تجربة تكتسب منها درساً دون أن تكون ضالعة فيها بصورة شخصية. لكن الأمر لم يجر على هذا النحو، فقد أثارت تلك المعركة في نفسها مشاعر عديدة متنوعة واكتشفت أنها تحمل إحساساً بالولاء للشركة وللأشخاص الذين تعرفهم فيها - عدا ديك وورثنغتون. للأشخاص من نوع تيم إريكسون، الذين قدموا الكثير لبافيلد، والذين كرسوا، نتيجة ذلك، قدراً كبيراً من ذواتهم للشركة ولصيرها. بدأت تشعر بالتعاطف حتى مع جون باركر، الذي كانت ترى فيه شخصاً مغروراً يحمل ذهنية عفا عليها الزمن. أضافت تلك المشاعر الجديدة حدة على الأحداث التي وجدت نفسها ضالعة فيها - لقد قيل لها إن كراوفورد كان مقامراً، ومع أنها لم تُصَبْ بذلك الداء، إلا أنها شعرت بأنها لو كانت مقامرة، لبدت لها المقامرة دون المجازفة بثروة فعلية أمراً عبثياً. كان الوضع هو ذاته هنا، فقد أخذت المعركة صبغة شخصية أضفت إثارة على اللعبة بكاملها. أما في ما يتعلق بالآخرين حول الطاولة، فقد كان عدد كبير منهم يشعر بالقلق إزاء ما يخفيه المستقبل، كانوا أيضاً عالقين وسط أحداث حقيقية... حقيقية قطع نصل السكين داخل الفم.

فاح عبير عطر: بوبي كينغ. «صباح الخير بيت. لقد تحدثتُ مع المسؤولين ويبدو أن هناك إمكانية لتظهري في برنامج Business Show يوم الثلاثاء، الثالث والعشرين من هذا الشهر، أي بعد أسبوع من التاريخ الذي يُتوقع فيه نشر وثيقة الدفاع. أليس كذلك يا نيك؟...».

«صحيح. في الخامس عشر من هذا الشهر سنكون جاهزين للانطلاق».

قالت بيت: «بوبي، لا أدري إن كنتُ قد اتخذتُ قراراً بهذا الشأن. لم أقم بشيء مشابه قبل الآن».

«لم تقومي بالطبع. وقد يكون هذا هو السبب في أن... جون...». نادته عبر الطاولة ليلتفت إليها. «نريد إشراك بيت في مقابلة تلفزيونية كي تبقى الأمور سائرة في مجراها الطبيعي بعد أسبوع من إصدار وثيقة الدفاع - بالتالي علينا أن نجري لها تدريباً سريعاً مكثفاً على أساليب إجراء المقابلات. يمكننا تدير أمر القيام بالتدريب يوم الجمعة بعد الظهر، إذا كنت تستطيع الاستغناء عنها؟...».

«لا بأس بالفكرة. بيت، هل يناسبك ذلك؟...».

تدخلت بوبي قائلة: «ستجري الأمور على ما يرام. دع أمرها لي».

لم يسع بيت سوى أن تهز كتفها موافقة. «بوبي، انتظري لحظة، سأقابل هذا المدعو هيو ميد الليلة. إنه يُعدُّ برنامجاً إذاعياً عن كراوفورد إضافة للمقالات التي يكتبها للصحف. آسفة، لقد نسيت أن أتفق معك بهذا الشأن».

«هل هي مقابلة صوتية أم أنها ستبث في الصحف؟...».

«أعتقد أنها ستبث في الصحف. سيمر لاصطحابي في سيارة أجرة في الساعة السادسة والنصف هذا المساء».

«لا بأس سأصل به. علينا أن نضمن وجود مصوّر ليلتقط صورتك، إلى أين سيصحبك؟...».

«لم يقل».

كانت بوبي قد وضعت مفكرتها الإلكترونية (بايفيلد بالطبع) في راحة يدها وبدأت تبحث عن رقم هاتف دون أن تتوقف عن الكلام.

«نوبو سيفي بالغرض تماماً. هل تعرفينه؟...».

«كلا».

«إنه مطعم يقدم أصنافاً يابانية ومن ألبيرو. لديه طباخ عبقري. المكان مثير جداً - لقد دعى هيو غرانت جوليا روبرتس إلى المطعم في فيلم نوتنغ هيل. مساء الاثنين، علينا أن...». كان هاتفها الجوال في يدها الآن وبدأت تطلب رقماً «... نحجز مائدة. سأتكفل بذلك. هيو ميد؟... أنا بوبي كينغ». غمزت بعينها واتجهت نحو أقصى مائدة في الغرفة وبدأت تتحدث بصوت خفيض.

تتحنن نك سبيلر وقال: «نحن لا نزال حتى هذه اللحظة نتحرك يحدونا الأمل، هل سيجدي ذلك؟...». أجال النظر حول الطاولة والتقت عيناه بعيني باركر.

قال المدير: «أعتقد أنه سيجدي. لقد أخبرني بريان أن المدراء الماليين أوقفوا الهجوم حالياً».

قال هاوس: «أعتقد أن السبب يكمن في بعض أساليب التدليل التي مارسناها». وأشار بحركة تقدير إلى بوبي التي كانت تسير عائدة إلى الطاولة.

رفعت إبهامها لبيث علامة الموافقة وقالت لهاوس: «إنه الرأي، لا شك بأنك تعرف كيف تجري مثل هذه الأمور، فأنت غالباً ما تقوم بخلق كثير من الآراء». كان في ردّ بوبي مسحة خفيفة من الوقاحة «هذا إذا كان للوقاحة أن تكون خفيفة» لكن هاوس بدا سعيداً بموقفها.

«هذا صحيح. لقد تبادلت الحديث مع عدد من الأشخاص، في المصارف الأخرى وفي مجال التأمين، ومع عدد من أصحاب رؤوس الأموال الخاصة بالمشاريع».

سأله سبيلر: «ما رأيك بقرارنا بالسير في هذا الاتجاه؟...».

«نك، أعتقد أنني أشاطرك الرأي. فما لم نفكر بصفة بيع ما، لن يكون الأمر مجدياً. وفوق ذلك، فإن هؤلاء الأشخاص يتطلعون إلى تحقيق ربح كبير خلال فترة قصيرة - لنقل عشرة بالمائة خلال خمس سنوات - وبذلك يتمكنون من تغطية ممتلكاتهم الشخصية. نحن لا نريد أن نكون جزءاً من هذه اللعبة. علينا أن نبحث عن اتجاهات ضمن الشركة ذاتها تعدُّ بمستقبل أفضل، بمزيد من أرباح الأسهم، لا شك بأنك تعرف هذا الأسلوب: نحن لسنا بحاجة لكرافورد لأن بإمكاننا تحقيق ذلك بأنفسنا. من حيث الأساس، شركة بايفيلد لا تشكو من أية أخطاء وقد كنا نقوم بتخطيط هذه الزيادة طويلة الأمد في مجال الأعمال منذ وقت طويل».

قال باركر: «هذا يبشر بالخير، بيل كيف تبدو لك الأمور؟...».

وضع هاربر يده أمام فمه وتثاءب بعصبية: «جون، لقد كان الجميع... كنا جميعاً نندرس الوضع الاقتصادي داخل الشركة، والتحسينات التي يمكن إدخالها، وجميع المجالات التي يمكن لنا فيه تحسين الشكل العام وجعله أكثر فاعلية».

قال بريان هاوس بلؤم: «لا شك بأنكم تدارستم كل ذلك، ولكن ماهي النتيجة التي خلصتم إليها؟...».

«يبدو لي أن شركتي الورق وصنع البطاقات لا تقدمان النتائج التي، لا أدري كيف أعبر، والتي تبرر تمسكنا بهما. جون، أنا آسف...». التفت إلى باركر وهز كتفيه بحركة اعتذار: «لم يكن لدي وقت لأخبرك بذلك قبل أن تغادر الشركة هذا الصباح. لقد قمت أنا وتيم بتفحص الأرقام، وحجم الأعمال التجارية، ويبدو لنا أنه إذا تم بيع هاتين الشركتين، فإننا سنحصل على مبالغ نقدية نحن في أمس الحاجة إليها، كما أننا سنكون، عموماً، أكثر فاعلية».

قال باركر وقد بدا عليه الامتعاض: «تيم، هل توافق على هذه الخطة؟...».

لاحظتُ بيث على الفور أن تيم إريكسون كان يشعر بالضيق لوجوده ضمن هذه المجموعة، رغم أنها لم تكن واثقة من أن الآخرين قد لاحظوا ذلك، كان ذلك يؤكد ما قاله لها تيم عن افتقاره للثقة. تنحنج ثم قلب الأوراق الموجودة في الحقيبة.

«جون، أعتقد أن من واجبي القول... بعد كل ما قمنا به من عمل أنا وبيل خلال... عطلة نهاية الأسبوع، أن الخطة تبدو معقولة. أنت تعرف أن البطاقات والورق... هي جزء لا يتجزأ من بايفيلد منذ زمن طويل... منذ عدة سنوات، ولكن... الوضع صعب وأنا واثق... من أن السوق قد تغير. ولا بد أنك تذكر أنني أخبرتك منذ بضع سنوات، أن الزبائن، في هذا المجال، في هذا السوق... قد أخذوا يتحولون إلى مصادر أخرى. إن تصاميمنا... نحن لم نبرم أية صفقة مع أصحاب العلامات التجارية عندما أتحت لنا الفرصة. وانظر الآن، ما هي البطاقات التي تحقق النجاح الأكبر: بطاقات غاري لارسون، بطاقات أعياد الميلاد الطريفة.

دمدم باركر ممتعضاً: «طريفة؟... يبدو معظمها بذيئاً أو ثقيل الظل تماماً».

قال إريكسون: «صحيح، وقد اتفقنا جميعاً آنذاك على أن ذلك لم يكن مجالاً نرغب في التواجد فيه. رغم أن الأشخاص الذين كانوا ضمن الأجواء الفعلية، أي الأشخاص الذين كانوا يسوّقون البطاقات والورق، كانوا يتحرقون شوقاً للمضي في هذا الاتجاه».

«تيم، هناك معايير وهناك مسؤوليات».

تدخل هاوس في الحديث قائلاً: «جون، لا شك بذلك، ولكن تجاه المساهمين في شركتك».

قال نيك سبيلر: «أعتقد أن عليّ وبريان البحث عن زبائن محتملين لشركتيّ الورق والبطاقات. فكلما أظهرت بايفيلد نفسها بمظهر مجال الأعمال الذي يركّز على خبرته الأساسية، كان ذلك أفضل لها. كما أود أيضاً التخلص من شركتيّ البناء والركام بطريقة أو بأخرى. أعتقد أن علينا وضع ذلك نصب أعيننا. علينا إجراء

عملية تنظيف صغيرة نزيل فيها الطفيليات لكي تبرز شركة الإلكترونيات واضحةً للعيان. وعندها، نستطيع أن نشرع في البحث عن إمكانات التطوير داخل مجال الأعمال الأساسي، وعن الإمكانات الكامنة فيه...».

شحب وجه باركر، لم تستطع بيث أن تعرف إن كان بسبب الصدمة أم بسبب الغضب، وقال: «يبدو لي أيها السادة أنكم تقومون بتفكيك الشركة إلى أجزاء بحضوري - دونما اعتبار لمشاعري أو لرأيي».

أخذت المفاجأة سبيلر، ثبتت نظره في عيني باركر وقال: «جون، أصغ لما سأقول، أنت هنا بين أصدقائك، هناك هدف واحد يجمعنا: الحفاظ على بايفيلد بمنأى عن براثن كراوفورد».

«هذا صحيح، ولا شك أن أموركم تسير على ما يرام خارج الشركة أيضاً».

أجاب سبيلر دون أن يفقد هدوء أعصابه: «نعم، إنها تسير على ما يرام. لكنني أعتقد أننا إذا لم نقم باستكشاف كل وسيلة متاحة يمكن اللجوء إليها للدفاع، فإننا بذلك نكون مقصّرين في واجبنا تجاهك».

هز باركر رأسه وقال: «أعرف ذلك. أنا آسف. ينبغي ألا أستسلم لعواطفني إزاء هذه المسألة، لكن لا تتسوا رجاء أن بايفيلد هي أكثر من شركة بالنسبة لي. قد أكون على خطأ في موقعي هذا، لكنه موقف لا أملك تغييره. تابعوا الحديث رجاء. بيث، هل لديك ما تضيفينه بهذا الشأن؟...»

قالت بيث: «لا أزال عند رأيي بأن علينا دراسة سعر العرض الذي تقدّم به، فهو لا يبدو لي سعراً جيداً».

أضاف سبيلر: «أوافقك الرأي».

أوماً المجتمععون حول الطاولة برؤوسهم موافقين، قالت بوبي: «جيم كراوفورد معروف بأنه وغد شحيح إلا في حال قيامه بإنفاق النقود على نفسه».

سألها هاوس: «نقود من؟... نقوده؟... نقود الشركة؟... وكيف ينفقها، على أي شيء، وعلى من؟... عشيقات؟... يخوت؟... هل بإمكاننا التوصل إلى معرفة ذلك؟...».

الاستيلاء

قال هاوس: «بإمكاننا استغلال أي شيء.. سمعته في مركز المدينة التجاري مقبولة إلى حد ما. لقد تمكن من قطع شوط لا بأس به دون أن يخلق لنفسه عداوات كثيرة، لكنه في الوقت نفسه لا يتمتع بالكثير من الصداقات الحميمة. بالتالي، قد نتمكن من القيام بشيء ما لتقوض سمعة أيوت، ما رأيك نك؟...».

«بإمكاننا دس شيء ما في وثيقة الدفاع. الشيء المهم هو ضمان نشر الوثيقة يوم الاثنين القادم وضمنان كونها مقنعة».

أو مات بوبي برأسها إلى سبيلر، وبصورة ما إلى بيت في الوقت نفسه، وقالت: «لقد بدأنا نتحرك، بدأت الأحداث تقع، بيت، أريد أن أتحدث معك قليلاً قبل ذهابك، سنراجع سوية كل ما يمكن أن تخبرني به ميد».

سألته بيت: «هل سيؤدي ذلك إلى أية مشكلة؟... بإمكانني الاعتذار عن الموعد - فأنا لا أمانع في أن أعود باكراً إلى المنزل ولو لمرة».

«لا توجد أية مشكلة. لا بد أن موظفي كراوفورد قد قدموا له ما يرغب من معلومات، كما أنه يعيش مع سيليا هارت، وهي وسيطة كراوفورد. التحذير يعني الاستعداد».

قال سبيلر: «بما أننا سوينا هذا الأمر، أود الآن أن نتوجه باهتمامنا، إن كان ذلك بالإمكان، إلى ما كتب بأحرف صغيرة خلف وثيقة الدفاع. هذه الأرقام ستكون القول الفصل. علينا أن نتحقق من صحتها».

نوبو، باريك لين، لندن، ٣٠: ٢٠

وصل هيو ميد في الموعد المحدد، أي في الساعة السادسة والنصف تماماً. كانت بيت قد أمضت نصف الساعة الماضية في حديث هاتفي مع بوبي كينغ، تناول عملية الاستيلاء وما الذي يجب أن يقال للصحفي وماذا يجب ألا يُقال.

بدا هيو ميد، أثناء وجودهما في سيارة الأجرة، بالغ اللطف. فقد نقل إليها تحيات سيليا هارت وشرح لها بعض التفاصيل المتعلقة بالبرنامج الإذاعي الوثائقي الذي كان يعدّه حول حياة كراوفورد - التي تحولت عملية الاستيلاء، بالطبع، إلى جزء لا يتجزأ منها.

كان مطعم نوبو، الذي يشغل الطابق الأول من فندق إنتركونتيننتال في بارك لين، يفوق السمعة الأسطورية التي يتمتع بها. وكان المصور الذي قابلهما في البار - فلم يكن هناك ما لا يمكن لبوبي كينغ تدبيره - يعرف المكان، وقد غمره شعور بالأسى لأنه لن يبقى في المطعم لتناول العشاء. التقط مجموعة من الصور لبيت، أمام البار المكسو بالفولاذ والزجاج بينما كان النادل خلفها يقوم بمزج الشراب، ثم وهي تسير خلف النادل، الذي يرتدي بذلة سوداء أنيقة، إلى الطاولة المحجوزة، وصورة أخرى تجلس فيها إلى الطاولة «الطاولة التي ظهرت في الفيلم» وقد بدت خلفها أضواء بارك لين، ثم صورة تقف فيها أمام أحد الألواح المصنوعة من الزجاج المحفور التي تزين أرجاء المطعم، وأخرى تظهر فيها خلفها مجموعة كبيرة صاخبة من رجال الأعمال اليابانيين - دون نساء - وأخيراً صورة تبدو فيها جالسة على مقعد مرتفع دون مسند إلى بار السوتشي، رغم أنهما لم يكونا قد قررا تناول السوتشي تلك الليلة. بذل هيو جهداً فائقاً في المساعدة، ودفع ثمن المشروبات وقدم اقتراحات بشأن زوايا وأوضاع التصوير إلى أن استأذن المصور في الانصراف وجلسا إلى طاولتهما.

بينما كانا يتهيّان للجلوس، انطلقت صيحة من مكان ما في الجانب الآخر للمطعم - كانت صيحة صادرة عن أكثر من عشرة أشخاص. خشيت بيت أن يكون هناك شغب أو شجار بشأن فاتورة - وبعد أن نظرت إلى قائمة الطعام - تولّد لديها اعتقاد قوي أن السبب قد يعود إلى حادثة وفاة بسبب الإفراط في تناول سمك الفوجي. شرح لها هيو أن الصيحة كانت مجرد تقليد في المطعم: فقد كان يجري الترحيب بالقدامين إلى المطعم لأول مرة بصيحة ترحيب يابانية. بدا الأمر مسلياً بالنسبة لبيت، لكنها، بعد أن ترددت تلك الصيحة لعدة مرات، بدأت تشعر بالضيق.

كان هيو يعرف المطعم جيداً - أو أنه كان يعرفه لدرجة تكفي لأن يضطلع بأمر طلب الطعام واقتراح الأطباق المتنوعة التي تجمع بين أسلوب إعداد السمك بالطريقة اليابانية، الذي يتميز به طاهي مطعم نوبو، ماتسوهيسا، وبين أطباق

اللحم المطهو بصلصات البيرو الحارة. قُدِّمَت الأطباق بأسلوب ينم عن ذوق رفيع ولمّا تنقَضِ ثوان على طهيها. ومع أن بيت كانت تشعر بشيء من الارتباك في البداية، إلا أنها اكتشفت أن الطعام كان لذيذاً جداً.

انشغلت بيت تماماً في محاولات غمس سمك التونا وشرائح الفلفل في صلصة الصويا والليمون ومن ثم لوضعها في فمها، لكنها تخلت بعد قليل عن تلك المحاولات وطلبت شوكة بدل عودَي الأكل الصينيين، وبعد أن وُضِعَ سمك القد «رقائق بلون العاج الخالص تحت قشرة مكسوة بالسكر المحروق» على المائدة، شعرت بأن خيارها كان صائباً. اعتذرت لهيو لأنها كانت تركز انتباهها على الطعام لا على أسئلته، التي لم تجب عليها إلا بالكاد إلى تلك اللحظة.

«لا عليك. كل هذا سيسجّل ضمن النفقات، علينا إذاً أن نستمتع به». رفع كأساً من الخيزران مليئاً بالساكي الدافئ محيياً.

«سيسجّل ضمن نفقاتك أنت؟... وهل تتكفل BBC بنفقات العشاء في هذا المطعم؟...»

ضحك قائلاً: «ليس من أجل أمثالي، بيت. سأكون صادقاً - مع أن هذا ليس بالأسلوب الذي أحب عادة أن أستهل به أمسياتي - بوبي كينغ ستتحمّل نفقات هذا العشاء، بالتالي، أنا أعتقد أن هذا المبلغ، على المدى الطويل، سيتم استرجاعه من بايفيلد. هل جربت قطعة اسكالوب بصلصة الفلفل؟...».

تناولت قطعة وهي تشعر بالسرور كونها لن تضطر لالتقاطها بواسطة العودين. «اعتراف مثير. هذه الوجبة قد تكلف أكثر مما كان والدي يكسب خلال أسبوع».

«هل تشعرين بالذنب إزاء ذلك؟...».

«لا أعتقد. نعم أشعر». ضحكت ثم قالت: «أحياناً. لا أعتقد أنه سيمنع. بل إنه ربما قال: ليزي، أنت تستحقين ذلك».

«ليزي؟... هل هذا هو الاسم الذي تُعرفين به؟...».

«في البيت فقط. ما هذا؟...».

«دجاج بصلصة الفلفل». وبحركة خبيرة سحب قطعة من الدجاج برأس عودِيّ الأكل وقدمها لها عبر المائدة. دسّتها في فمها مباشرة، وبينما هي تلوّكها شعرت بالدهشة لأسلوبها الطبيعي في التصرف مع هذا الصحن. لا شك بأنه كان يخطط ليترك في نفسها انطباعاً ساحراً لكنها، رغم ذلك، كانت تشعر بالمتعة.

قال هيو: «قلت البيت، هل السبب هو أنك لا زلت تعتبره كذلك - وكأن لندن هي مجرد مكان مؤقت؟...».

«كلا طبعاً، لا أفكر في مغادرة لندن فأنا أحبها. أحب فكرة أن يعبر المرء الستراوند في الساعة الثانية صباحاً ويجد هناك زحمة مرور وآلاف الأشخاص. وأنت - هل ولدت ونشأت في لندن؟...».

«أبداً». أشار إلى النادل وطلب زجاجة أخرى من الساكي، «لقد نشأت في إحدى القرى في دورسيت. لم أستطع مغادرة القرية في وقت مبكر. إن المجتمعات المغلقة على نفسها تعني، بالنسبة لي، أن كل شخص يعرف ما يفعله كل شخص آخر. وهناك أيضاً حقيقة عدم وجود دور سينما أو مسارح أو مخازن لائقة لبيع الكتب أو مطاعم. لا يوجد سوى فلاحين أجلاف متخلفين لا يعاشرون سوى الحيوانات ويهاجمون أهل المدن بمناشير سلسلية. لن أنسى طبعاً الأزواج المتقاعدتين، الذين يحصلون في نهاية المطاف على الكوخ المسقوف بالقش، الذي ينبغي لكل رجل إنكليزي أن يتوق للحصول عليه، ثم يشعرون بالكراهية تجاه الكوخ وتجاه بعضهم بعضاً وتجاه قطة المنزل. إضافة لأنه لا يوجد...». ولوّح بمخلب سرطان كبير مغموس بصلصة الزبدة اللامعة «شيء كهذا ولو قطعت أُميلاً. بيت، هل سبق أن قابلت جيم كراوفورد، وحش أوستن رود؟...».

«كلا. لقد استمعت إلى محاضرة له في إحدى الندوات قبل سنتين، ترك في نفسي انطباعاً مؤثراً في ذلك الوقت».

«انطباعاً مؤثراً؟... هل تودين إضافة المزيد؟...».

«لقد بدا مُقنعاً أثناء الحديث، لكنني لا أعرف بالضبط ما هو حجم الدور الذي لعبه أسلوبُ عرضه لأفكاره وحضوره الشخصي في ذلك الانطباع. أعتقد أنك تعرفه».

«سبق لي أن قابلته. لكنني لا أعرفه، ولا أعتقد أن هناك من يعرفه. أدركُ بأن كلامي قد يبدو خالياً من اللياقة. إنه رجل غامض، وهو يضع حاجزاً بينه وبين الآخرين. أجريتُ معه مقابلة، في الأسبوع الماضي، تبادلنا الحديث - لا شك بأنه تحدث لنصف ساعة - لكن حديثه كان أشبه بالألواح الزجاجية في هذا المطعم - فهي تسمح بمرور الضوء لكن الصنفرة التي تغطيها تحول دون رؤية التفاصيل. لا يمكن للمرء أن يرى سوى خطوط عامة، لا أثر للتفاصيل. لكن كل شيء يكمن في هذه التفاصيل».

«يمكن القول: إن نوع الأعمال التي يضطلع بها يستفيد من هذا المبدأ، لا شيء سوى إستراتيجيات عامة دون أن يتورط بأية تفاصيل».

«صحيح، لكن هذا يعبر عن طبيعة الرجل. أو عما ينقصه. آسف، لكن ذلك يبدو أسوأ. ما أعنيه هو، لنأخذ هذه الوجبة على سبيل المثال. أنت تعرفين أنني أريد الحصول على بعض المعلومات منك. وأنا أعرف أنك قد تلقيت تعليمات محددة بشأن كيفية الرد على أسئلتني. في ما عدا ذلك، نحن نتناول وجبة عشاء شهية وأشعر - بإمكانك الاعتراض إذا كنتُ مخطئاً - بأننا نقضي وقتاً ممتعاً».

«لا شك بأنه ممتع».

«لا أعتقد أن نفس الإحساس يمكن أن يساورك إزاء كراوفورد. يراودني شك بأن كراوفورد، عند مستوى ما، يتكتم لدرجة أن يده اليمنى لا تسمح ليده اليسرى بمعرفة ما هي بصدد القيام به. وهذا ما يجعل الكتابة عنه بالغة الصعوبة».

«هيو، لماذا تكتب عنه إذا؟... عملية الاستيلاء هذه، إذا فكرنا فيها بشكل عقلائي، هي مجرد صفقة بسيطة، عدا طبعاً بالنسبة لنا نحن المتورطين فيها».

«صحيح، لكن كراوفورد ليس بالشخص البسيط وأنا... أعتقد أن بإمكانني استغلال هذه القصة للارتقاء بمهنتي. أنا أرغب بالعمل في التلفزيون. أرغب بكتابة مزيد من المقالات في الصحف...».

«لكن يبدو أن ذلك يحدث فعلاً. لقد قرأتُ مقالاتك، وهي ممتازة، حتى وإن كانت لا تدعم موقفنا».

«شكراً بيت، هذا لطف منك». دُهِشْتُ عندما لاحظتُ أن حمرة خفيفة كست وجنتيه، رغم أنه التفت بسرعة لتلقّي زجاجة الساكي الجديدة وليسكب بعضاً منه في قذحيهما.

«لنعد إلى موازنة الأمور قليلاً. ما رأيك بإستراتيجية كراوفورد - بما أنك قد تطرّقت للأمر».

رشف بيت من كأس الساكي، ثم تناولت مزيداً من سمك القد.

«لا أعتقد أن لديه أية إستراتيجية أخرى عدا شراء بايفيلد. إذا أُلقيت نظرة فاحصة على وثيقة العرض، ترى أن هذا هو خلاصة محتواها. لا يوجد فيها شيء ينسحب على المدى البعيد».

«ألا يمكن لكراوفورد أن يقول الشيء ذاته عن بايفيلد؟...».

«يمكن له بالطبع، لكنه سيكون على خطأ. فالغريب أن الأمر يبدو، إلى حد ما، مجرد حادث، أو يبدو، على الأقل، وكأنه لم يكن مخططاً سلفاً. إذا نظرت مثلاً إلى...». توقفت عن الكلام فجأة وقد تناهى إلى سمعها صوت بوبي كينغ يدويّ محذراً في ذهنها، ثم قالت: «هيو، آسفة، لكن الحديث بهذا الشأن محظّر إلى حين نشر وثيقة الدفاع».

«لا بأس».

«الواقع أن إستراتيجية بايفيلد في ما يخص الإلكترونيات تُعتبر، على المدى الطويل، أفضل من إستراتيجية أيوت. فنحن نفكر في المستقبل، نفكر بخدمات جديدة وليس فقط بما هو رائج حالياً. صحيح أننا نفتقر للديناميكية بهذا

الاستيلاء

الخصوص، كما أننا نحتاج لتقوية إستراتيجيتنا، لكن الأفكار الأساسية السائدة في الشركة، والمتعلقة بمفهوم الولاء لمورديننا وللمساهمين في الشركة، تؤدي، من حيث الواقع، إلى اتباع أسلوبٍ طويل الأجل أفضل مما توفره أرباح أيوت قصيرة الأجل. ويسري هذا بصورة خاصة على الأبحاث والتطوير. قد تبدو متلكئين بعض الشيء، لكن لدينا فريق ممتاز بإدارة توم سويقت، وقد توفر لهذا الفريق الوقت الكافي لإرساء قواعد متينة يمكن لبايفيلد أن تؤسس عليها من أجل تحقيق نموٍ رابح على المدى الطويل». تساءلت في نفسها إن كان ذلك سينطلي على هيو - وعما إذا كان سيقوم بنقل كلامها. لكن كلماتها كانت تحمل بعض الحقيقة. فقد كانت بايفيلد فعلاً تضم نخبة من الباحثين متقدي الذكاء في قسم الإلكترونيات، وإن كان لا يمكن لأحد أن ينكر أنه لم تتم الاستفادة من إمكاناتهم بالدرجة اللائقة. لكن كل ذلك سيتغير - رغم أن السؤال عما إذا كان الوقت يتوفر لبايفيلد للقيام بذلك التغيير، كان موضوعاً آخر. تابعت كلامها قائلة: «صحيح أن أرباح أيوت تتعاظم ولكن إلى متى سيدوم ذلك وإلى أين ستصل الزيادة؟...».

شرب هيو آخر جرعة من الساكي وقال: «بيث، تابعي الحديث».

«ستقوم بايفيلد بكل ما يقول كراوفورد إنه سيقوم به، ولكن بصورة أفضل لأننا نعرف موظفينا ونعرف أسواقنا».

«ولكن، ألا تشترك بايفيلد مع أيوت في نفس الأسواق؟...».

«قد يبدو الأمر على هذه الشاكلة، لكنك إذا دقت النظر ترى أن كراوفورد كان دائماً يسعى نحو... هل يمكنني القول نحو الحلول السريعة؟...».

«بيث، يمكنك قول ما شئت: حلوى؟...».

دهشت بيث عندما اكتشفت أن جميع الصحو^١ قد رُفَعَتْ عن المائدة. «بماذا تنصح أنت؟...».

«يجب أن تجري الحلوى المدارية مع مرق الأناناس الدافئ».

«ومم تتألف؟...».

«قطع صغيرة من الشوكولا ومكسرات ومشمش مغلفة، بالعجين ومقلية. صدقيني أن طعمها يساوي عشر شركات».

«أنا رهن إشارتك، تصرف كما تشاء». ضحكت وتساءلت في سرها ماذا يمكن أن يكون شعورها لو كانت بين يديّ هيو الماهرتين الساحرتين. ثم فكرت: «يا إلهي، لقد أصبحت امرأة ساقطة».

طلب الحلوى. تابعت هي الكلام: «السوق الذي يعمل ضمنه كراوفورد يختلف من حيث جوهرة: إنه لا يزال يعتمد على ورشة الإصلاحات المنزلية التي عفا عليها الزمن والأغذية المجمدة، وهو يعتمد الأسلوب الذي يركز على مبدأ الإكثار من الإنتاج والبيع بسعر رخيص، أما بايفيلد فقد ظلت ملتزمة بالسوق الذي يعتمد على جودة النوعية. هناك احتمال أن تكون بايفيلد قد بالغت في اتباع هذا المسار لدرجة قد تسبب لها الأذى لكن إصلاح هذا الخطأ ليس أمراً مستعصياً، إن محاولة الجمع بين سيارة فورد فيستا، مهما كانت سيارة جيدة، وسيارة ألفا روميو لا بد أن تُمنى بالفضل».

«بيث، لا شك بأنها فكرة جديدة بالاهتمام. ولكن ماذا لو قال كراوفورد إن لديه هو أيضاً سيارة ذات أداء رفيع المستوى، وإن السيارتين ستاسبان بعضهما تماماً؟...».

«نحن نعرف بأن هذا الكلام ليس صحيحاً».

«وهل يعرف المساهمون ذلك، وهل سيهتم الأمر في شيء؟... الأسواق تتغير - وقد تكفي سيارة متوسطة الأداء كي تؤمن لهم كل ما يحتاجونه».

«هيو، لحظة من فضلك. هل قلت إن كراوفورد يدّعي بأن أيوت تشاركنا في أسواقنا؟...».

«نعم».

الاستيلاء

«في هذه الحالة، يمكن القول إنه يكذب، أليس كذلك؟...».

«هذه مضيعة للوقت. وهل تُعتبر الكذبة كذبة فقط عندما يُقصد منها الخداع؟...
ماذا لو كانت تشكّل إستراتيجية العمل؟...».

«يعتقد والداي أن الكذبة هي كذبة في أي ظرف كان».

زمجر هيو بصوت يكاد لا يسمع ولم يقل شيئاً. ساد صمت طويل قطعه وصول
الحلوى التي كانت تتطلب، بدورها، صمتاً أطول للاستمتاع بمذاقها. انتهى الحديث
الجدي حالياً، لكن كلاً من هيو وبيث كان لديه ما يشغل باله من أفكار.



اليوم + ١١

الجمعة ١٢ نوفمبر ٧:٤٠

١٧ كارينغتون ستريت، إيلنج، لندن

«أمي، لا أستطيع العثور على قفازي. أين قفازي؟...».

«حيث وضعتُهما الليلة الماضية.»

«لا أعرف أين وضعتُهما الليلة الماضية. لو أنني أعرف لما أضعتُهما.»

«حاولي أن تتذكري جيداً». صدر أزيز عن المايكرويف، أخرجت مانجيت تشيما العصيدة التي أعدتها لإفطار راجيندا. كان القدر ساخناً، لذع أصابعها فاضطرت لأن تقلته من يديها، وقع على سطح المنضدة وانزلق باتجاه الحافة. قفز مارك من مكانه بسرعة وأمسك به قبل أن ينقلب، وظل ممسكاً به رغم سخونته وحمله إلى المائدة.

«راجيندا، تناولي إفطارك وسوف نعثر لك على قفازيك.»

اندفع رافي شقيق راجيندا، البالغ من العمر خمسة عشر سنة، إلى المطبخ وهو يُدخل طرف قميصه في خصر البنطال ويصرخ قائلاً: «أبي، أريد نقوداً للاشتراك في حفل المدرسة.»

سأله مارك وهو يُخرج محفظة جيبه: «كم تريد؟...».

قبل أن يجيب رافي، قالت راجيندا: «أبي لقد وعدتني بأنك ستدفع لي أجور دروس الكمان». لم يكن بإمكان مارك أن يفهم السبب الذي يدفعها لتعلم العزف على الكمان، ولكن يبدو أنه قد فقد التواصل مع ولديه في المدة الأخيرة.

«رافي، انتظر لحظة، أي حفل؟...».

تناولت مانجيت قطعتين من الخبز من جهاز التحميص ووضعتهما أمام رافي.
«عليك أن تأكل كمية أكبر في الأيام الباردة، فالحرارة الداخلية أفضل من طبقات
الملابس الخارجية». قالت ذلك بأسلوب عملي كان قد بدأ مؤخراً يثير سخط مارك.

أجاب رافي بحدة: «لا أريد عصيدة، إنها تؤدي إلى البدانة».

قالت راجيندا بصوت أقرب للنواح: «من تقصده؟... أنا لست بدينة. أمي، هل
أنا بدينة؟...».

قالت مانجيت: «كلا، أنت لست بدينة».

وَلَوَلْتُ راجيندا: «أنا بدينة، لا يمكن إنكار ذلك، انظري إليّ. لماذا تصرّين دائماً
على أن أكل العصيدة؟...».

قال مارك: «أنت لست بدينة». كان ذلك صحيحاً. كانت راجيندا نحيلة مثلما
كانت مانجيت يوماً ما، نظر ملياً إلى قوام زوجته الممتلئ. التفتت هي ونظرت إليه
من فوق كتفها حيث كانت تقف أمام الفرن، وكأنها تسأله: من المذنب برأيك. لم يكن
لدى مارك أي جواب.

قال رافي: «كلي العصيدة أيتها البدينة».

«همست راجيندا: «أعرب عن وجهي أيها السخيف».

قالت مانجيت: «لا أسمح بهذه اللغة داخل بيتي. مارك، هل ترغب بالعصيدة؟...».

«كلا، شكراً». شعر بأن العصيدة لا بد أن تخنقه إذا أكلها.

«أرأيت، أبي لا يأكل العصيدة. لماذا يتعين عليّ أن أكلها؟... فقط لمجرد أنك
تريدون أن أصبح بدينة؟...».

صرخ مارك: «أنت لست بدينة».

قال رافي وهو يكبت ضحكته: «بل إنها بدينة».

وقبل أن يتمالك مارك أعصابه، مد يده من فوق المائدة وأمسك بذراع رافي.
لاحظ معالم الصدمة التي ارتسمت على وجه الفتى، بينما كان هو يهمس بصوت
خنقه الغضب: «اعتذر لأختك وتناول الخبز المحمص واذهب إلى المدرسة».
«ولكن ماذا بشأن الحفل...».

«قاطع مارك: «نفذ ما أمرتك به، فوراً»

اعتذر رافي لراجيندا وهو عابس الوجه، رسمت هي على وجهها ابتسامة متكلفة
وتابعت أكل العصيدة بهناء. سحب مارك ورقة نقدية بخمسة جنيهات وقدمها لرافي
الذي دفعها بعيداً عنه قائلاً: «لم أعد أريدها. لا أريد الذهاب إلى الحفل».
لاحظ مارك الدموع التي تجمعت في عيني الفتى قبل أن يشب على قدميه ويندفع
إلى خارج الغرفة تاركاً النقود على المائدة.

التفتت مانجيت حيث كانت تعمل على منضدة المطبخ وتبادل وإياها النظر. كان
مارك يدرك ضرورة قيام حوار بينهما - بشأن رافي، الذي كان لا يخفي قلقه بسبب
اقتراب الامتحان، وبشأن راجيندا، التي كانت مسكونة بفكرة النحافة كما كانت
ترتدي ثيابها بأسلوب لا يليق، وفوق كل شيء، بشأنهما شخصياً. لقد كان هذا
الحوار ضرورياً لكنهما، بصورة ما، تفاديا القيام به. عندما يعود مارك للمنزل، يكون
في العادة مرهقاً أو تكون مانجيت على وشك الخروج - فهي تدرّس مادة الفيزياء
لصفوف مسائية - أو يكون الطفلان موجودين، كالآن مثلاً، أو يكون من الواجب
حضور حدث اجتماعي في المعبد أو اجتماع مجلس محلي كانا قد وعدا بالمشاركة
فيه. كان الأمر فوق الاحتمال، وفي مكان ما في لجة كل تلك الأحداث، ضلاً الطريق
وكأنهما وقعا في شرك متاهة لا مخرج منها.

لكنك، مع ذلك، إذا أجليت النظر في المطبخ الواسع، وتجوّلت في المنزل بطوابقه
الثلاثة الفسيحة، وسرت في الحديقة الخلفية، لا بد أن تقول في شرك، مثلما كان
أصدقاؤهما ووالديّ كل منهما يقولون: لقد تمكنا من إنجاز الكثير.

انتهت راجيندا من أكل العصيدة، وإذ لاحظت الصمت الذي ساد بين والديها، قالت: «سأذهب للبحث عن قفازي». أعتقد أنهما في الطابق العلوي».

لم يتفوه مارك بكلمة، قالت مانجيت: «أذهبي يا حبيبتي».

قال مارك، لحظة سماعه صوت باب غرفة راجيندا وهو يُغلق: «أنا آسف، لم يكن من الواجب أن أتصرف بهذا الشكل. لقد كان حماقة مني لكنه... كان مزعجاً».

قالت مانجيت: «كان مزعجاً؟... إنه لا يتوقف عن الإزعاج لكنك لا تقبض عادة على ذراعه بتلك الطريقة. مارك، ما بك؟... هل سيكرر ذلك يوماً ما - مع راجيندا، معي أنا؟...».

«لقد كانت كل تلك الضجة، كل... كل شيء...».

سألته: «هل تواجه مشاكل في العمل؟...».

قال: «لا توجد أية مشاكل». لم يسبق لها أن أبدت أي اكتراث بعمله يتجاوز فكرة كونه عمالاً. خطر له أنه لم يُبدِ أيضاً أي اكتراث بعملها، لكن لا مجال للمقارنة بين عمله في أيوت وعملها ليلتين أسبوعياً في التدريس في معهد تدريس الكبار في الجوار. تابع قائلاً: «كل شيء على ما يرام». كان كذلك فعلاً - فلم يسبق للعمل أن كان أكثر إثارة منه في أي وقت مضى منذ أن التحق بالعمل في أيوت.

بدأت مانجيت تفلس الأواني، وضعت الفناجين وقدر العصيدة في الحوض. رمت بقطع الخبز التي لم يتناولها رافي في دلو جمع البقايا لتحولها إلى سماد. كانت قد أعدت في الحديقة كومة من بقايا الطعام لتحولها إلى سماد وكانت تقوم دون كلل بإعادة تدوير النفايات العضوية وغير العضوية. كان وجودها في الحديقة، وهي ترتدي ثياباً فضفاضة وحذاءً طويل الساق، غالباً ما يضيف عليها سعادة تفوق ما تشعر به في أي مكان آخر. لم يكن مارك يشاركها اهتمامها بالحديقة. كان يجلس هناك أحياناً في أيام الصيف، كما كان يلعب الطفلين هناك في صغرهما، رغم أنه لم يكن، في الحقيقة، بارعاً في ملاعبتهما، كان يفضل إجمالاً ألا يخرج إلى الحديقة.

تابعت مانجيت كلامها قائلة: «إذا لم تكن هناك مشكلة في العمل، ما الأمر إذاً... لا شك بأن هناك ما يزعجك».

هز كتفيه.

قالت: «مارك، أنا أحاول. ألا تلاحظ ذلك؟... أنا أحاول أن أتحدث إليك».

«مانجيت، أنا أسمعك، لست أصم».

«أخبرني إذا ما الأمر؟...».

مانجيت بصراحة أنت مملة، أنت لا تشيرين في أية رغبة جنسية وأنا أعشق امرأة أخرى تكبرك بعشر سنوات وأنا... ماذا يمكن أن يقول لها؟... هل يخبرها بأنه يخشى أن يصارح دايان بمشاعره، وبأنه حتى ولو فعل ذلك، فإنه لن يتخلى عن مانجيت أو عن الطفلين - كان يفضل إطلاق النار على نفسه قبل أن يرتكب هذه الفعلة - وبأن فكرة قضاء ما تبقى من حياته في إيلينغ، يقوم بالأشياء ذاتها أسبوعاً بعد أسبوع، تكاد تقوده للجنون. مانجيت، لماذا لا تسترخين وتعدّين لنفسك فنجاناً من القهوة ريثما أقوم بتقويض العالم الذي تعيشين فيه؟... ومع ذلك، هل يُعتبر الوضع الحالي أفضل؟... كانا ينظران إلى بعضهما عبر المطبخ دون أن يكون لدى أي منهما ما يقوله. قال محاولاً قطع حبل الصمت: «قد لا يعدو الأمر كوني أعمل فوق طاقتي. نحن بحاجة لإجازة. لشيء ما... مختلف. لأن نعود إلى موطننا لمدة شهر خلال الصيف، نحاول خلاله معرفة شيء ما عن... عن الحياة وعن المكان الذي جئنا منه».

قالت مانجيت: «الولدان يرغبان في زيارة أمريكا». كان صوتها يعكس نفس الروح، نفس مشاعر الإحباط، نفس محاولة تفادي لحظة حاسمة. لقد حان وقت تضميد الجرح، وقت إصلاح الأمور بعجلة إلى أن... إلى أن تنور المشكلة من جديد.

سمعا صوت بابين يُغلقتان بعنف في الطابق العلوي، تبع ذلك صوت أقدام تنزل الدرج بصخب. فُتح باب المطبخ بسرعة ولوّحت راجيندا بقفازيها قائلة: «أمي، أبي، وداعاً». ثم ذهبت.

خطف راضي الورقة النقدية وقال: «أمي، وداعاً». تفادى عيني أبيه وانطلق خلف أخته. فُتح الباب الأمامي ثم أُغلق.

قال مارك: «يبدو أنه تجاوز الأمر؟...».

«هل تعتقد ذلك؟...».

«عليّ أن أذهب لثلا أتاخر». وقف وسار باتجاهها وطبع على وجهها قبلة فاترة. كانت رائحتها... هي رائحتها، رائحة العصيدة والنوم والبيت، الرائحة اليومية. لم تكن رائحتها لتشبه في شيء رائحة دايان إيلروي.

بار ليبيرتي، ريجنت ستريت، لندن ١٢: ١٣

«مرحباً، كيف أحوالك؟...». انحنى هيو وقبل سيليا من وجنتيها. ألقَتْ عليه نظرة يمتزج فيها الازدراء بالإعجاب.

قالت: «صديقي هيو ميد. هيو، أقدم لك أندريا كريفي».

كان مظهر أندريا يشي بسنيها الأربعين. لم تكن بالمرأة الجميلة لكن وجهها كان يعبر عن النضوج والوضوح، كما ارتسمت على جانبي فمها تجاعيد طولانية، كان وجهها قد بدأ يفقد رونق الشباب رغم أن تلك الحقيقة جعلته يبدو أكثر جاذبية. مد هيو يده وصافحها. شددت على يديه مصافحة ونظرت في عينيهِ مباشرة وقالت: «أخبرتني سيليا أنك تود مقابلتي للحديث عن جيم».

بهت هيو للحظة. كان يعتقد أن سيليا ستُحضر إليه أندريا كريفي ساذجة، لا امرأة مشاركة في المكيدة، لكن الصحفي المأجور الناجح لا يفقد اتزانه طويلاً، تجاهل الابتسامة الخبيثة على وجه سيليا واندفع للكلام مباشرة: «هذا صحيح، أنا أعدُّ برنامجاً إذاعياً وثائقياً عن جيم كراوفورد وبدا لي أن بإمكانك...».

«أن أخبرك بأشياء لا يعرفها سواي؟... لا أعتقد ذلك، لكن لا مانع لدي من الحديث إذا كان ذلك يفيدك بشيء. لا أريد أن يتم تسجيل شيء مما أقوله».

جلس هيو بينهما . كانتا تتناولان بعض أنواع السلطة وقطعة تورته صغيرة . تذوق بعض الفتات من صحن سيليا ، ثم قال : « لا أستطيع أن أسجّل هنا أي شيء ، على أية حال ، كما أنني بحاجة لإذن منك ، لا داعي إذاً للقلق . لكن يسعدني تبادل الحديث معك وإذا لاحظت وجود أي شيء مهم ، فقد أحاول إقناعك بالمجيء إلى المكتب حيث نقوم بالتسجيل . إذا كان ذلك يرضيك ، طبعاً . ما هذا ؟ ... » .

ضربته سيليا بعنف على يده لإبعادها عن صحنها . « ميد اطلب وجبة لنفسك . »
« لست جائعاً . تناولت شطيرة قبل قليل . سأشرب قهوة - هل أطلب قهوة لثلاثتنا ؟ ... » .
قالت سيليا : « يجب أن أنصرف . أندريا ، سررت بلقائك ، لا بد أن نجتمع ثانية » .
تبادلت السيدتان القبل وأمسكت سيليا بأربعة أكياس تسوّق مليئة بالمشتريات ثم اتجهت بسرعة نحو المصاعد بعد أن قبّلت هيو على عجل وهمست في أذنه محذرة :
« إياك وإزعاجها » .

بدا الاسترخاء على أندريا وقالت : « هيو ، لقد سمعت عنك الكثير . يبدو أن سيليا تميل إليك . يا إلهي ماذا قلت ؟ ... يبدو أنها تميل إليك ؟ ... » . ضحكت بصوت عال ثم قالت : « آسفة ، سأعيد صياغة ما قلت : سيليا تميل إليك » .
« أعتقد أن كلا منا يميل للآخر » .

« هل يعني ذلك أنكما قد ... تستمران في هذه العلاقة ؟ .. » .
ومضت في ذهنه صورة سيليا ثم أخذت بالتلاشي . قال : « كل شيء جائز » . رغم كل شيء ، عندما يعرف طرفا العلاقة ما يعرفه هو وسيليا عن نزوات وأهواء بعضهما ، لا يتبقى أمامهما سوى الزواج . سألتها : « ولكن اسمحي لي ، هذا إذا لم يكن سؤالي فضلاً ، وأرجو أن تصارحيني إن كان كذلك ، أنت وكرافورد لم ترتبطا بالزواج ، أليس كذلك ؟ ... » .

« كلا لم ترتبط . لا زلنا نعيش في الخطيئة بعد مرور كل تلك السنوات . هذا لا يعني طبعاً أننا نرتكب الكثير من الخطايا حالياً » .

الاستيلاء

«أصبحت كلمة خطيئة عتيقة الطراز، أليس كذلك؟...».

«نعم، رغم أنني لا أعرف تماماً إن كان ذلك أمراً جيداً أم لا. قد نكون جميعاً بحاجة لمشاعر الخوف النابعة عن دوافع أخلاقية».

«أندريا، أنا على ثقة من أنك لست بحاجة لشيء من هذا القبيل. انتظري قليلاً، سأحضر القهوة».

بينما كان يقف في الصف بانتظار القهوة، اختلس إليها نظرة من بين الجموع الآتية لتناول الغداء. كانت تجلس هادئة وقد أمالت رأسها جانباً، مسترخية، لا تبدو عليها علامات القلق أو نفاذ الصبر. بدت له واضحة وصريحة - قد لا تكون راغبة في إفشاء أية أسرار.

«وأخيراً». وضع فتجاني القهوة وجلس، حرك كرسيه بحيث يجلس في مواجهة أندريا. «لقد قابلت كراوفورد عام ١٩٧٨، أليس كذلك؟...».

لم تجب على الفور فقد كانت تتذوق القهوة. «نعم. كان مرشحاً للبرلمان. حدث ذلك أثناء الانتخابات الأولى في عهد تاتشر. كان هناك شعور عارم بأن البلاد جاهزة لإحداث تغيير ما. لا أعتقد أنك تتذكر كل ذلك؟...».

«كنت لا أزال تلميذاً».

«كان كراوفورد عضواً بارزاً في حزب المحافظين المحلي. تبرع بالمال، وضع منزله تحت تصرف الحزب لاستخدامه، كان يملك منزلاً خارج ريدنج - ونظم المهرجانات وأشياء من هذا القبيل. يمكن لي القول، إلى حد ما: إنه استطاع شق طريقه عنوة عبر لجان الاختيار العديدة. هذا لا يعني طبعاً أنه لم يكن محبوباً... أعني من قبل معظمهم».

«أي نوع من الرجال كان كراوفورد في ذلك الوقت؟...».

«كان رائعاً. أعرف أن ذلك قد يبدو مثيراً للضحك، لكنك لو رأيته فعلاً... كان مضعماً بالحيوية. مازال طبعاً يتمتع بتلك القوة الطبيعية، لكن في ذلك الوقت... كان يكفي أن تتواجد معه في نفس الغرفة، كان بإمكانك أن تشعر بأنه قادر على وضع

الأمر موضع التنفيذ. وكان قد قام بذلك فعلاً - فقد كانت أعماله مزدهرة وكان يوظف عديداً من الأشخاص من سكان المنطقة، كان ذلك قبل إنشاء ورشة الإصلاحات المنزلية، ولهذا لم يكن قد أصبح بعد شخصية معروفة على الصعيد الوطني، لكنه رغم ذلك كان يتمتع بشهرة واسعة في بيركشاير وفي هاشاير.

«ومتزوجاً؟...». كان يحاول سبر ردود أفعال أندريا كي يعرف المدى الذي يمكن له أن يمضي إليه.

تهدل جانباً فمها قليلاً وقالت: «نعم، كان متزوجاً من باتريشيا. لا أدري كيف حدث ذلك. كانت - للإنصاف، أنا لم أعرفها مطلقاً كما أن «المرأة الأخرى» هي آخر من يحق له إبداء رأي في الزوجة».

ابتسم وقال: «لا أدري، ربما تريان بعضكما بوضوح أكثر من باقي الأشخاص». «هيو، صدقني، وأنا واثقة مما أقول: إن الأمر ليس بهذا الشكل. لقد كانت... أعتقد، إذا أردت رأيي، لقد تزوج باتريشيا - لم يكن أحد يناديها بات أو تريشيا، كانوا ينادونها دائماً باتريشيا - تزوجها بسبب والدته». «تابعي الحديث».

«كما تعرف، أو كما لا تعرف، كانت والدة جيمي...». هزت رأسها وحركت عينيها جيئة وذهاباً. لم ينطق هيو بكلمة بل انتظر أن تتابع كلامها: «كانت سكيراً. كان جيم، بصورة ما، هو من أمدها بالقوة على الاستمرار بعد... لنقل: إنه أمدها بالقوة على الاستمرار». «بعدَ ماذا؟...».

«لقد حدث شيء ما. لست أدري ما هو بالضبط، لكنه أفقد الوالدة توازنها وبدأت تعاقِر الخمر».

«متى حدث ذلك - في ما بعد، قبل ذلك؟... هل كانت تعمل؟... وماذا عن والده؟...».

الاستيلاء

«يا إلهي... يا إلهي». رفعت يديها لتوقفه عن الكلام. «لا أعرف من هو والده. حسب ما قاله هو، كان الأمر عبارة عن مغامرة دامت ليلة واحدة، هذا كل ما أعرف. كانت والدته قد توفيت، ولذلك لم أقابلها مطلقاً. توفيت عندما كان جيم في الثامنة عشر أو التاسعة عشر من عمره».

«نتيجة الشراب؟...».

«كان للشراب علاقة بذلك. لا أستطيع أن أقول أكثر من ذلك. لم تكن بالنسبة له أمّاً صالحة- عدا أنها، على ما أظن، كانت تحبه، كانت باتريشيا على النقيض منها لم تكن تحبه، طبعاً. فهي لم تكن امرأة تتصف بدفع المشاعر، وجيم يحتاج في المنزل لمن يحيطه بحماية مطلقة تتقبله كما هو دون انتقاد».

«لا يمكن أن يخطر ذلك ببال أحد، فهو يتمتع بسمعة مخيفة. إنه قرصان مغامر».

«حتى لو كان ذو اللحية السوداء، فإن هناك احتمالاً بأن يرغب في الجلوس مساء مع مدام ذي اللحية السوداء والقطة ليتناول كوباً من الشاي ويقرأ الصحيفة».

«أعتقد أن ذلك ممكن. إذاً، عندما قابلته لأول مرة كانت باتريشيا ما تزال السيدة كراوفورد؟...».

«كانت تراودها طموحات بشأنه. فقد كان والدها رجل أعمال مهم في المنطقة، ماسونياً وكل ما إلى ذلك، رغم أن جيم لم ينتسب إلى الحركة مطلقاً فقد كان لا يميل إلى هذا النوع من الامتيازات التي تقتصر على أفراد مجموعة بعينها».

«لكن كانت تحدوه رغبة في الانتساب إلى مجلس العموم. المسألة إذاً لم تقتصر فقط على باتريشيا، أليس كذلك؟...».

«كلا، فلو لم يرغب هو بذلك، لما رشح نفسه. ولو لم يرشح نفسه لما تطوعت أنا في فريقه الانتخابي ولما تقابلنا ولكان بإمكانه أن يكون الآن زعيماً للمعارضة».

«إلا أن الأمور لم تجر على هذا المنوال».

«كلا، لم تجر على هذا المنوال». تنهدت ونظرت إلى فتجان القهوة وبدأ أنها لم تعد تشعر بالضجة والجلبة اللتين تحيطان بها.

قال هيو يستحثها على الكلام: «كانت الحملة إذاً تسير في طريقها المرسوم؟...».

«نعم. كنا نطوف في المدينة نلتمس أصوات الناخبين-هذا هو الجانب الصعب في العمل السياسي: فليس هناك متعة في قرع الأبواب لسؤال الناس عمن سينتخبون، أفرَدنا لهذا العمل سوية، وكالعادة، تتطور الأمور لتأخذ شكلاً مختلفاً. يوم شاق، بضعة كؤوس، غرفة في فندق-كان بإمكانه دفع تكاليف كهذه - قضاء الليل سوية، وفي اليوم التالي، لا تدري كيف تسرب الخبر إلى الصحيفة المحلية. ثارت ثائرة باتريشيا-تخلّى عنه الحزب في المنطقة دون أن يعبأ به...».

«ولكن، أندريا، لماذا كل هذه الضجة؟... العلاقات الغرامية العابرة هي أمر شائع. وحتى في عام ١٩٧٩، كان الناس يقيمون مثل هذه العلاقات. هل كان الأمر على هذه الدرجة من السوء؟...».

«كان على هذه الدرجة من السوء إذا أخذنا باعتبارنا وجود أشخاص في الحزب لا يرغبون بوجوده هناك. عليك ألا تتسّى أنني كنت خارج الجو بالكامل. لم أكن عضواً في أي حزب معروف، ولم أكن أتردد مطلقاً إلى المناسبات الاجتماعية. كل ما في الأمر أن وقتي كان يتسع لتلك الأنشطة وطلب مني القيام بها - لم أكن حتى ضمن الدائرة الانتخابية لريدينغ، كانوا يقلّوننا بالسيارات إلى المنطقة ومن ثم يعودون بنا. كنت امرأة عادية لا وزن لها، أمضت بالصدفة ليلة في أحد الفنادق مع رجل ساحر مثير جعلني أشعر بأن لي وزناً كبيراً».

«نحن جميعاً بحاجة لشعور كهذا، هل ترغبين بالمزيد من القهوة؟...».

قالت، وهي تبتسم لذكرى الأيام الخوالي: «كلا، شكراً لك، طُلب منه الانسحاب من المعركة الانتخابية لصالح شخص آخر. لم أكن موجودة في ذلك الوقت، ولم يتطرق هو إلى ذلك الموضوع مطلقاً. أعرف أن باتريشيا كانت لا تمانع في الصفح

الاستيلاء

عنه. لكن ذلك لم يلق هوى في نفسه، ليس هناك من يحق له أن «يصفح» عن جيم كراوفورد. كما أنه «لا يصفح» عن أي شخص آخر. انسحب بكل بساطة. لم يكونا قد رزقا بأطفال. تمت تسوية الإجراءات... وغادر هو المنطقة».

«هل جاء إليك مباشرة؟...».

ابتسمت وقالت: «اسمح لي، لم يكن هناك مشهد مؤثر لرجل قوي داعم العينين مع عشيقته الشابة. انسحب من فرع الحزب في المنطقة وبدأ مشروع ورشة الإصلاحات المنزلية ثم باع منزله وانتقل للعيش في لندن، وعندها اتصل بي هاتفياً وسألني إن كنت أود القدوم لرؤية منزله الجديد. شعرت بالدهشة - لم أكن أتصور أنني سأراه ثانية بعد تلك الليلة».

«إذاً فهي قصة حب حقيقية».

«هيو، أنا لا أدري ما هي. أعتقد أننا نأخذ أفضل ما يتوفر لنا في الحياة. آسفة لأنني أتحدث بهذا الأسلوب الفلسفي في وقت الغداء في ليبرتي».

«كلا أندريا، إنها فكرة ذكية رائعة. إن ما قلته يضيف كثيراً من التفاصيل المتعلقة بالسنوات الأولى. بوالدته و... بالأمر الذي قلب الأمور رأساً على عقب، مهما كان نوع ذلك الأمر...».

انتظر لحظة لكنها لم تُوافِهِ بأية معلومات إضافية. «والآن، كيف سارت حياتك بعد ذلك - مع رجل الأعمال ذي اللحية السوداء؟...».

شرعت تتحدث وتظاهر هو بأنه يصغي بكامل جوارحه، لكن ذهنه شرد في مكان آخر - عاد إلى السبعينات، وحتى إلى ما قبل السبعينات، الوالدة التي كانت أنموذجاً لفضائل الأمومة وكانت، في الوقت نفسه، سكيرة. بدا له كأن هناك عرقاً من الذهب الخالص في مكان ما من قصة كراوفورد. لو كان بإمكانه استخراج هذا العرق - كان واثقاً على الأقل من شيء واحد، وهو أن جذور ذلك العرق كانت تقبع في ريدينغ، أيام طفولة كراوفورد وخلال فترة بدء صعوده إلى مراكز القوة.

رصيف بتلر، لندن ١٧:٣٥

كان جيم كراوفورد يقلّب صفحات الفاياناشال تايمز عندما رن جرس الهاتف. وضع الصحيفة جانباً ورفع السماعة. كان الصوت مألوفاً مهذباً يتسم بشيء من الفطرسية. بدأ الحديث، كالعادة، دون أن يبالي بالتعريف عن نفسه.

«قرأتُ كل ما كتب عنك في صحيفة يوم الأحد الماضي».

«يدهشني أنك وجدت الوقت الكافي لذلك».

«أنت تعرف كيف تسير أمور المعارضة. علينا أن نملأ أوقاتنا بشكل أو بآخر».

«أعتقد أن أحد أصدقائك القدامى سيتعرض للمحاكمة في أي وقت».

«ألا تعتقد أنه ارتكب حماقة عندما عبث مع ذلك المصري».

«لا أحمل أي رأي في ما يتعلق بهذه القضية. ما ذا تريد؟...».

«عجّل بالأمر قليلاً يا صديقي. دعنا ننته منه، فالأعمال لا يمكنها الانتظار طويلاً».

«ولم تعد أنت تتمتع بذات النفوذ كالسابق، أليس كذلك؟...».

«تماماً. وإذا لم تتحرك بسرعة، فسوف تخسر أنت أيضاً ما لديك من نفوذ».

«هل لديك أي تاريخ محدد؟...».

«لا تكن سخيّاً، موظفو وزارة الخارجية لا يذيعون أخبار المواعيد كيفما اتفق».

إنهم جميعاً يخشون كوك ويخشون المسؤولين عن تطبيق أنظمة الحزب. تعرف طبعاً

أنهم لا يرغبون في أن يخسروا مناصبهم».

دمدم كراوفورد: «ومن يرغب بذلك؟... لا أعتقد أنك ترغب».

«أعتقد أن بإمكانني كسب رزقي من العمل في الإدارة».

«لا تعوّل على ذلك».

أطلق ضحكة خافتة وقال: «جيم، نحن لا نعوّل على أي شيء. نحن نحاول دائماً أن نتأكد من أن الاحتمالات تميل لصالحنا. أود لو كان بإمكانني أن أتحدث معك لكنني مضطر للذهاب. أعتقد أن ميشيل بورتيللو يقوم بزيارة تفقدية لمكان ما في لندن بعد ظهر اليوم، ولا أريد أن تفوتني فرصة كهذه».

وضع سماعة الهاتف دون أي مقدمات. ظل كراوفورد لثوان مصغياً إلى نغمة انشغال الخط، ثم أعاد السماعة إلى مكانها وسار باتجاه الشرفة.

هيدلانندن، ويتشيرش هيل، أوكسون، ١٩:٣٥

كانت البوابة المفضية إلى الممر الضيق مفتوحة، قرر جون باركر أن يذكر هيدز بأن تُبقي البوابة مغلقة على الدوام. فليس بإمكان المرء أن يتكهن بنوعية الأشخاص الذين يتجولون في الجوار هذه الأيام، حتى الحياة في الريف لا تشكل ضماناً ضد الأخطار. تساءل في سره: هل أصبحت ردود أفعالي تجاه كل شيء مبالغاً فيها هذه الفترة؟... هز رأسه وهو يقود سيارة الجاكوار يتمهل لإيقافها تحت المظلة إلى جانب سيارة الرينج روفر الخاصة بهيدز.

عندما خرج من السيارة، تمهل برهة وهو يقطع الممر المؤدي إلى باب المنزل. كانت السماء صافية في تلك الليلة - رغم أن الطقس كان غائماً في لندن، وكان القمر، رغم الضوء الساطع المنبعث منه، صغيراً لم يصبح بديراً بعد مما سمح لضوء النجوم القريبة منه بأن يسطع بوضوح. سرعان ما عثر على أوريون - وهي كوكبة النجوم التي كان مغتماً بها بشكل خاص. في وقت انقلاب الفصول هذا، وعندما يبدأ مسار تلك الكوكبة الجبارة بالانزلاق ببطء في السماء، كان يشعر دائماً بحيوية تدفعه لأن يقول: كل شيء على ما يرام، لقد عادت كوكبة أوريون إلى موضعها.

لكنه، هذا العام، افتقد السحر القديم نوعاً ما. نوعاً ما؟... كلا، إنه يعرف تماماً كيف حدث ذلك، التآكل التدريجي لكل ما شيّده في حياته - لكل ما ورثه. قال في سره: كلا، لنضع ذلك جانباً. يبيع قسم الطباعة والنشر - يجب ألا أدع ذلك يفسد ما

في حياتي من بهجة. هيدر وكثير. البيت الريفي. أوريون الجبار. الليلة سوف يتناسى كل ذلك- كما كانت سكارلت أوهارا تفعل، سيفكر بالأمر غداً لأنه إن لم يسارع إلى تهدئة نفسه فلسوف ينتهي به الأمر إلى الجنون.

فُتح الباب الأمامي ونادته كليز: «أبي، ستشعر بالبرد».

تابع السير باتجاه المنزل. «لن أشعر بالبرد، فأنا أرتمي معطفي» والواقع أنه كان يحمله على ذراعه، وضعه بسرعة فوق كتفيه قبل أن يصل إلى الشرفة المسقوفة أمام الباب.

قالت كليز وهي تضحك: «أنت تحاول خداعي، لقد رأيته، وضعته فوق كتفيك». جذبت الكم فانزلق المعطف الصوفي السميك من فوق كتفيه. «أرأيت. أنا أعرف كل شيء. أنا كليز التي ترى كل شيء». قالت أمي: «إنني لا أستطيع مشاهدة بافي قاتلة مصاصي الدماء. بل أستطيع، أليس كذلك؟... لماذا لا أستطيع؟...».

«بافي من؟...». أحياناً، كان عالم ابنته ومشاغها يثيران في نفسه الحيرة والارتباك.

رفعها بين ذراعيه وسار باتجاه البهو الأمامي وأغلق الباب خلفهما.

«أبي، دعك من التجاهل، إنها تقضي على مصاصي الدماء المؤذنين. في المدرسة».

«و هل هناك مصاصو دماء في المدرسة؟...».

انتزعت نفسها من قبضته وابتعدت بسرعة وهي تقول: «انتظر».

خلع معطفه. تسلك إلى أنفه رائحة الطعام آتية من المطبخ: إنه لحم محمّر، وبما أنهما قد ابتاعا اللحم من مزرعة قريبة لا تباع سوى المنتجات العضوية، فلا بد أن اللحم من النوع الجيد ولا بد أن تتشكل قشرة محمّرة على سطح اللحم. كان جون باركر يحب قشرة اللحم المحمّرة أكثر من أي طعام آخر في العالم. قال بصوت عالٍ: «عزيزتي، لقد أتيت».

أجابته: «أنا هنا في المطبخ». كانت تجيبه دائماً من المطبخ عندما كان يصل إلى المنزل لتناول العشاء، ولكن كان هناك شيء ما غير مألوف في صوتها تلك الليلة.

الاستيلاء

دفعت كليز إليه بمجلة وقالت: «أنظر، أنظر هنا». لم يعد هناك أي شك، فقد كان العنوان المكتوب على الغلاف هو: بافي قاتلة مصاصي الدماء وكان هناك صورة لمجموعة من الفتية والفتيات أشبه بمراهقين أميركيين.

بدأت كليز تتكلم وكأنها تدافع عن نفسها، فقد كانت تشك بأن والدها سوف يدعم موقف والدتها: «أبي، الجميع يشاهدون المسلسل، ليس فيه أي ضرر. إنه لا يثير الرعب، قال بول إن ...». توقفت عن الكلام وساد الصمت. تابعت كلامها بصعوبة وشجاعة، وإن كانت قد أدركت أنها قد خسرت المعركة: «قال بول إنه يعتقد بأن المسلسل ليس فيه أي ضرر». سحبت المجلة من يده وركضت عائدة إلى المطبخ تاركة باركر يقف وحيداً في البهو.

صاح منادياً: «هيزر؟...».

«مرحباً أبي» دخل بول قادماً من المطبخ. كان يرتدي سترة صوفية وبنطالاً فضفاضاً، لم يكن يرتدي قبة إكليريكية. اقترب من والده وهمَّ بمعانقته لكن باركر تقهقر إلى الخلف.

«ماذا تفعل هنا؟...». كانت كلماته أشبه بشظايا خشنة من الثلج، لم يكن في نيَّته أن يجعلها جارحة إلى تلك الدرجة التي جعلت بول يتعثّر لدى محاولته الوقوف في مكانه. لكن المشكلة أن السيل قد بلغ الزبي الاستيلاء، كراوفورد والآن بول- كان ذلك آخر ما يحتاجه في تلك اللحظة.

قال بول بصوت مرتجف نتيجة التوتر: «كنت أتحدث مع أمي، كانت تشعر بالقلق وفكرت أنك قد ... أنها قد تحتاج، على الأقل، لقليل من الدعم».

«إذاً فقد أخبرتك؟...».

مضى باركر إلى غرفة الجلوس، واتجه مباشرة إلى الخوان، شعر أن بول دخل الغرفة ووقف خلفه وقال: يجب ألا تلوم أمي. فالأمر يشغل بالها، إنها تشعر بالقلق».

واستدار باركر ليوأجه ابنه. «أعرفُ أنها تشعر بالقلق، نحن جميعاً نشعر بالقلق. إنه وقت عصيب. لم تكن بك حاجة بك لإضاعة وقتك في المجيء إلى هنا. أنا واثق من أن مشاغلك كثيرة».

«أبي، أنا لست أحد مدرائك التنفيذيين، لا داعي لإلقاء الخطب. لست مضطراً لقول أي شيء إذا لم تكن راغباً بذلك».

«لقد قلتُ كلَّ ما لدي».

لم يجب بول، لكن باركر لاحظ أنه يبذل جهداً وهو يعقد ذراعيه ويتكئ إلى دعامة الباب بطريقته المعهودة - المخبولة، لم يجد لها باركر وصفاً آخر - شعر، كما كان يشعر دائماً منذ أن بدأ بول يقف بتلك الطريقة عندما بلغ الرابعة عشر أو الخامسة عشر من العمر، شعر بغضب عارم يجتاحه.

قال بعصبية: «لا تفعل ذلك».

فَرَدَ بول ذراعيه ووضع يديه في جيبي بنطاله. ثم قال بصوت مشدود بفعل التوتر: «لقد جئتُ لأنني كنت أظن أنك ترغب في أن تكون محاطاً بعائلتك، لا أستطيع المجيء في وضع النهار، حتى لا تضطر لتبرير وجودي أمام الجيران. كنت أعتقد...».

قال باركر: «أشك بذلك، فليس من طبعك أن تفعل إلا ما يحلو لك، دون أن تعبأ بغيرك».

«هل كنت ستقبل الأمر لو أنني اتجهت نحو ميدان الأعمال؟... هل كنت تفضل ابناً مختلاً ضمن أعضاء مجلس إدارتك؟...».

«ما الذي يدفعك للاعتقاد بأنني سأسمح لك بالانضمام إلى مجلس الإدارة؟...».

كان يتميز غيظاً لأن هذه الأمسية - بكل ما فيها من طعام لذيذ ووقت يتضيه مع كلير، والبُعد عن بايفيلد وعملية الاستيلاء - قد أفسدتْها رغبة بول الأنانية في الظهور بمظهر الراعي الصالح. لم يكن باركر مستعداً ليكون نعمة أيَّ كان.

اقترب منه بول عبر الغرفة ممتعّ الوجه وقال: «أبي، يجب أن يتوقف ذلك. هذا لا يصب في مصلحة أحد. أرجوك...» مد يده وهو يتوقع أن يتلقفها باركر.

«بول، أنا أحترم حقك في أن تعيش حياتك بالطريقة التي تختارها. لكنني، ببساطة، لا أستطيع أن أفهم لماذا يتعين عليك أن... أنت لا تسبب المتاعب لنفسك فقط بل... أخبرني ما هي القدوة التي تضعها أمام أنظار كليز؟... ما رأيها بك و...».

«وبحقيقة كوني أقيم علاقة حب حميمة مع إنسان شاءت الظروف أن يكون رجلاً؟... لا أعتقد أن ذلك يسبب لها أية مشكلة».

جذب باركر بعنف اليد الممدودة إليه لإبعادها وقال: «أنت لا تعرف، وأنّى لك أن تعرف؟...».

«أبي، لأننا نتحدث حول الموضوع. هذا ما يفعله الأشخاص العقلاء. إنهم يتحدثون ويشرحون مشاعرهم ويُشركون الآخرين بها».

«أنت تحدث ابنتي عن هذه الموضوعات القذرة؟... عن تسكعك حول المراحيض العامة لالتقاط نماذج لا يعلم بها سوى الله».

«أبي، لم أتسكع في حياتي حول مرحاض عام». ارتسمت على وجه بول بسرعة ابتسامة متسامحة، وكأن الرجل العجوز قد أضاع رشده تماماً. اخترقت الابتسامة قلب باركر في الصميم كشعاع جارح.

«أنا أمنعك من الحديث مع كليز بشأن...».

أمسك بول بذراعه وقال: «أبي، اصمت أرجوك قبل أن تتفوه بما قد تتدم بسببه لاحقاً».

«الشيء الوحيد الذي أندم بسببه هو أنت يا بول. أندم على أنني قد رُزقت بابن مثلك. كم أتمنى... لو أنك لم تأت إلى هذا العالم».

سمعا صوت نحيب، كصوت حيوان جريح، آتٍ من أقصى الغرفة وبدا وجه كليز الشاحب الخائف من فوق ظهر مقعد. فتحت فمها، لكن لم يصدر عنها سوى نسيج.

صرخ باركر: «انظر عاقبة انغماسك الأحرق في شهواتك... أغرب عن وجهي. أخرج من بيتي. أخرج». سار باتجاه كليز لكنها تراجعت مبتعدة عنه، وقد تغيرت معالم وجهها وغطته الدموع.

«كليز، لا بأس، سينتهي كل شيء على ما يرام».

مدّ ذراعيه ولكن هيزر، التي ظهرت بغتة إلى جانب المقعد، دفعت بذراعيه بعيداً وأخذت كليز بين ذراعيها. نظرت إليه وهي تعانق ابنتهما بقوة وقد احمرت عيناها. تنهد بول، الذي كان قد توارى عن الأنظار، وقال: «أمي، أنا آسف. كنت أعتقد أن الأمور ستجري بصورة أفضل. سأطلب سيارة أجرة».

قالت هيزر: «سأقلّك بنفسى. كليز، ارتدي معطفك وقفازيك، سنقلّ بول إلى المحطة».

أنزلت كليز إلى الأرض وركضت الطفلة إلى البهو.

تناهى إلى سمع باركر صوت بول وهو يتمتم ببعض العبارات المطمئنة. قال لزوجته: «لا داعي لأخذ كليز. بإمكانها أن تبقى معي». لكن تلك الكلمات بدت، حتى بالنسبة له، حمقاء وسخيفة وجوفاء.

لم تجب هيزر، بل تجاوزته وسارت باتجاه البهو وأغلقت الباب.



obeikandi.com

هذه الوثيقة مهمة وتستدعي الاهتمام بها دون إبطاء

عرض أيوت المثير للسخرية
يبخس شركتكم حقها
لدرجة قاضحة

فهو قد أخفق في إدراك الاستثمارات الأخيرة المهمة
التي تقوم بها بايفيلد بهدف تحقيق نمو مستقبلي.

كما أخفق في إبراز المكانة الرائدة التي تتمتع بها بايفيلد في الأسواق
ارفضوا العرض ولا تتخذوا أية إجراءات بهذا الخصوص

BYFIELD ELECTRONICS (HOLDINGS) (PLC)

مسجلة في إنجلترا تحت رقم (٢١٠٠٠٠٥٦٤٢٣٢٠)

المدراء:

ج. ج. باركر

ت. ه. إريكسون

و. ه. هاربر

ب. هاوس x

آ. ر. هوارد

ج. ستيفارت

ت. ي. سويفت

ر. ر. وورثغتون

x غير تنفيذي

إلى المساهمين في شركة بايفيلد، ولأخذ العلم فقط، إلى أصحاب حق بيع وشراء الأسهم بسعر معين خلال مدة معينة بموجب خطط بايفيلد المتعلقة بغير الأسهم.

١٥ نوفمبر ١٩٩٩

المساهمون الأعضاء:

إن العرض المقدم من أيوت هو عرض يثير السخرية وغير وافٍ - ارفضوا العرض. قيمة شركتكم تفوق العرض الذي قدّمته أيوت بكثير، أي ١١٧ بنساً، والذي يمثل في السوق قيمة لا تزيد عن ١٨١ مليون جنيه استرليني.

إن عرض أيوت يفترض تماماً لإدراك القيمة الأساسية لشركة بايفيلد، وبشكل خاص:

■ إعادة هيكلة فريق الإدارة في بايفيلد الأمر الذي سيحوّل بايفيلد إلى مجال أعمال عقلاني أعيد تحديد مواقع التركيز فيه.

■ إعادة استثمار الأموال الناتجة عن بيع قسمي الطباعة والنشر، الأمر الذي سيؤدي، باعتقاد المدراء، إلى تعزيز الأرباح المستقبلية إلى حد كبير.

■ المكانة الرائدة التي تشغلها بايفيلد في أسواقها الرئيسية - الإلكترونيات والبناء. إذا أخذنا بعين الاعتبار أن أيوت تعرض أسهمها بدفعات جزئية، فإن هناك بعض الأمور المهمة التي ينبغي لكم معرفتها. هذه الوثيقة تبين لكم بعض النقاط البالغة الأهمية التي يتوجب أخذ العلم بها والمتعلقة بما يلي:

■ سجل فريق الإدارة في أيوت الذي يُفترض به بأنه يتمتع بالذكاء الحاد والفعالية.

■ الافتقار المزمّن للفعالية في إدارة شركة أيوت.

■ غياب أي منطق سليم يتعلق بالأعمال في عرض أيوت.

■ الأسباب الحقيقية وراء عرض أيوت الانتهازي.

لقد جاء عرض أيوت للاستيلاء على بايفيلد نتيجة خوف أيوت من إمكانياتها المستقبلية ضمن المجال واسع الانتشار لأسواقها الحالية. وبخاصة عدم قدرتها على التركيز على مجال أعمالها الأساسي لأن الأعمال الثانوية تؤثر بشدة على الموارد المالية المركزية للشركة.

إن ٤٨٪ من أعمالها تقع ضمن قطاع التوريد، مع التركيز على الأسواق المحلية، في الوقت الذي لا يوفر فيه القطاع الكهربائي سوى نتائج يمكن وصفها دون موارد بأنها متواضعة.

على إدارة أيوت أن تركز جهودها على تنمية أعمالها بدل شن هجوم ذي طبيعة انتهازية على بايفيلد سعياً وراء حل سريع.

خلال مجرى أحداث هذا العرض، عبّر عديد من زبائن بايفيلد عن قلقهم بشأن ما ستركه عملية استيلاء أيوت على الشركة. وأنا، نفسي، أشعر بقلق شديد إزاء هذا الاحتمال.

علاقات المورد والزبون التي تتمتع بها بايفيلد قد أُرسيت ونمت خلال سنوات عديدة، إن الولاء والخدمة هما أسس الازدهار المستقبلي لهذه المجموعة.

لا تدعوا أيوت تنال تلك المزايا بثمن بخس.

لا يوجد بين مدراء بايفيلد من ينوي قبول هذا العرض كما أن مستشارينا الماليين يدعمون بقوة موقفنا إزاء العرض.

المخلص

جون باركر المدير

ويمאוٲ ، باٲرنوسٲر ، مركز لندن ٲٲجاري ، ٤٥ : ١٤

«ما رأيك بهذه ٲفاهات؟...». دفع كراوفورد بوٲيقة الدفاع عبر ٲطاولة. وضع بوبز إصبعاً فوقها ليثبتها في مكانها.

«هل اٲلَّعتَ عليها بصورة فعلية؟...».

ضحك كراوفورد وقال: «أوين، لديّ موظفون يقومون بذلك نيابة عني. لا يمكن لي أن أقرأ كل تلك الحروف الدقيقة وكل تلك الأعمدة من الأرقام».

جلس أوين وفتح الوثيقة. «لا شك بأن تعيين بريان هاوس لدى بايفيلد يعتبر حركة موفقة. باعٲقادي أن نكُ سبيلر هو الذي قام بٲرشيحه».

قال كراوفورد: «أعرف هذا الرجل. إنه وغد، لا يُٲٲيه عن هدفه شيء لكنه بارع. وهو يعرف الأشخاص الواجب معرفٲهم. لكن، ألا ٲٲقَد أن الأوان قد فات؟... إنه لا يستطيع إنقاذ شيء في الوقت الراهن».

«لا أٲٲقد أن بإمكانني أن أكون واثقاً من ذلك». نظر إلى الرسالة الموقَّعة من قبل باركر». إنهم يٲٲرون بعض النقاط التي قد ٲسبب لنا المتاعب. قد ٲكون نقاطاً ثانوية، لكنها أُٲٲرت على أية حال. فهم يوجهون الٲٲباه إلى غياب ٲوازن في الفعاليات المشتركة لأيوٲ. أٲرف أنه قد سبق لي وٲحدثٲ معك بهذا الشأن، وكنتَ دائماً ٲسخر من الفكرة».

«أوين، لا زلتُ حتى الآن أسخر منها. لا قيمة لهذا على الإطلاق».

«قد يكون كلامك صحيحاً، وقد يكون خاطئاً». نظر أوين إلى أظافره، كانت مقلمة بأناقة - وهو ما بدا بنظر كراوفورد أمراً غير مألوف، ولكن، كيف سينفق هؤلاء الأشخاص أموالهم إذا لم ينفقوها على أمور كهذه؟... فالمرء لا يستطيع أن يملك سوى عدة سيارات وشقةٍ قريبةٍ من مركز المدينة وبيتٍ في أعماق الريف. نحن جميعاً، في نهاية المطاف، نحمل طبيعة بشرية. من ٲراه يوقِّر؟... لا شك أنه لن يكون

شاباً في التاسعة والعشرين لديه خمسة ملايين جنيه في المصرف وأمامه الحياة بكاملها. كان كراوفورد يعرف مصرفياً شاباً يعمل في مجال الاستثمارات رفض قبول منصب يدر عليه سنوياً مبلغ ٤٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني، لأن اللقب لم يكن بالفخامة المطلوبة. عندما تذكر ذلك صدر عنه صوت يعبر عن الاستهجان، وعندما نظر إليه بويز متسائلاً، قال له: «لا شيء. تابع».

قال بويز: «علينا الانتباه جيداً إلى أسعار الأسهم - وإلى جميع نواتجها. إن أي تحول في الرأي قد يغير مسار الأمور بالنسبة لنا».

دمدم كراوفورد: «لم أحب نواتج الأسعار في حياتي. إنها ليست مالاً حقيقياً. إنها ليست أي شيء حقيقي، إنها أشبه بلعبة».

«لكن اللعبة قد تعني الكثير إذا كانت تؤثر على أعمالك. بإمكان هذه الوثيقة أن تلعب دوراً كهذا. نأتي الآن إلى فكرة أسلوبك الإداري الذي يعتمد أساساً يومياً، هل بإمكانك إنكار ذلك؟...»

«كلا! لكن النتائج كانت مرضية باستمرار».

«ولكن، ألا تلاحظ أن بايفيلد تلمح إلى أنها بتبنيها أسلوب إدارة آخر، ستصبح شركة أفضل بكثير؟...»

«أوين، هذا كلام يقوم على افتراضات لا غير. لا يمكنك أن تناقش بغية دحض شيء لا وجود له أصلاً».

«كلا طبعاً، لكن بإمكانك اللجوء إلى هذا الأسلوب بغية تغيير رأي ما. أعرف أنك من النوع الذي يهتم بالنقد، بالبناء بالإنتاج، ولكن إذا سألتك: ما هي القيمة، أرني إياها...».

«لقد بدأت تتكلم مثل كافين كلوني، ذلك الأستاذ المجنون الذي يعمل في الشركة».

«هناك أحيان ينبغي لك فيها أن تصفي لما يقوله الأستاذ المجنون. فأنت، رغم كل شيء، تدفع له راتباً كي يتواجد ضمن مجلس الإدارة. أعتقد أن علينا إظهاره في مؤتمر صحفي».

«لا أعتقد أن بإمكانه الثبات في موقف كهذا». فتح كراوفورد حقيبة أوراقه ثم سحب صحيفة وفردها على الطاولة. كانت صورة بيث ستيوارت، المديرة المالية في بايفيلد، تحتل نصف صفحة ضمن مقالة هيو ميد. بدت بيث في الصورة جالسة على مقعد مرتفع دون مسند في أحد بارات تقديم السوتشي. أبرزت الصورة التي تم التقاطها من الأعلى، إلى حد ما، مفاتن ساقיה الطولتين المعقودتين وقد أضفت عليهما الجوارب لمعاناً متألّقاً يتباين مع سواد تنورتها الفاحم. كانت تستند بأحد كوعيهما على سطح البار وقد أمسكت بيدها بخضة عودَيّ الأكل، وانعطفت قليلاً برأسها، المتوّج بقصّة شعر قصيرة جميلة، كأنها تقوم باختيار طبق طعام. كان أحد الأضواء المركّبة في السقف مسلطاً، سواء عن طرق الصدفة أو بفعل المهارة الفنية، على فتحة صدرها البادية من خلال ياقة السترة السوداء التي كانت ترتديها. كانت تبدو صاعقة الجمال. وكان عنوان المقال: «امتطاء عربية السكة المتلوية في عملية الاستيلاء».

ابتسم أوين ثم قال: «لقد أحدثت الصورة وقعاً مثيراً لدى بعض العاملين لدينا. أعتقد أن السيدة ستيوارت قد أسدت خدمة كبيرة لحياتها المهنية. إضافة إلى أنها تبدو، من خلال المقال، داهية - كنت أعتقد أن ميد يعمل لحسابك».

«عليك أن تسأل بيرى كينغ للتحقق من ذلك. ولكن من يلوم ميد إذا كانت بيث قد خلبت لبه؟... رغم أنني أظن أن لدى سيليا بعض الأسئلة لتطرحها بشأن السيدة ستيوارت رائعة الجمال».

«حديثها يدعم كل ما جاء في وثيقة الدفاع - المقالة مكتوبة ببراعة، مقالة متكاملة خالية من أية ثغرة. سوف يقرؤها الناس، ولو كان لمجرد معرفة المزيد عن السيدة نفسها».

«أوين، هل يثير ذلك أية مشكلة بالنسبة لنا؟...».

«لا أعتقد، رغم كل ما جرى». طوى الصحيفة وأعادها لكرافورد. «إنهم يفتون الانتباه إلى الطابع المتعجل لعملية الاستيلاء ويربطون ذلك بذكاء بما يُفترض أنه إحساسك بالضيق إزاء الرتبة. أعتقد أن علينا الانتظار بضعة أيام لنرى كيف ستجري الأمور».

«أعتقد أنه لا يمكن لهم الإشارة إلى أسلوب ديناميكي في الإدارة».

أشار بويز إلى سطر في رسالة مدير بايفيلد وقال: «لقد توفرت لديهم الحكمة الكافية لدفعهم إلى بيع قسم الطباعة والنشر».

قال كرافورد وقد بدا عليه السرور: «مع ذلك أقسم لك أن باركر يشعر بالفصحة حيال اتخاذ إجراء كهذا. هل لديهم مشتر؟...».

«أعتقد أن لدى هاوس وسبيلر مرشح ما ينتظر. إذا وضعنا بالاعتبار السرعة التي تم بها ذلك، فإنني أعتقد أن سبيلر، هذا إذا لم يكن باركر، كان يخفي هذه الورقة منذ اليوم الأول لتقديم العرض على الأقل».

«إنه سبيلر، على الأغلب، وليس باركر. قسم النشر هذا هو أحد الأقسام الأصلية في المجموعة. لقد كان ملكية عائلية لسنوات تعود إلى القرن الماضي. لا أعتقد أن بإمكان باركر أن يبيعه دون الشعور بألم كبير».

قال بويز: «كان العاملون في وول ستريت يستخدمون تعبيراً متداولاً للإشارة إلى نجاحهم في تدبير مكيدة لأحدهم. كانوا يقولون: لقد تمكنا من تمزق وجهه إرباً. وهذا ما فعلناه، أليس كذلك؟...».

قال كرافورد: «هذا ما فعلناه تماماً».

بايفيلد ، غولد هوك ميوز ، لندن ، ١٠ : ١٥

نزعت بيث عن لوحة الإعلانات الصورة المنشورة في الصحيفة. كانت تلك هي النسخة الثالثة التي تلقتها اليوم، بدأ الندم يساورها بسبب إجراء تلك المقابلة. كانت مساعدتها سيلينا تشعر بحماسة بالغة وقام العاملون في قسم البريد بنزع صورة غيل بورتر وثبتوا صورة بيث مكانها. لقد بدأ الأمر يكتسي طابع السخافة.

الاستيلاء

«بيت، انتظري لحظة». أطل تيم إريكسون من غرفة مكتبه وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة. قالت بيت محدرة: «إياك أن تتفوه بكلمة».

«وهل أجرو؟... كنت فقط أود أن أقول بأن المقالة كانت ناجحة تماماً. أعني ما قلته أنت في المقابلة. المقالة بكاملها كانت ناجحة. آمل أن تؤدي لإحداث تغيير ما»

«يعود الفضل الأكبر لبوبي كينغ، التي قامت بالتنسيق بين مذكرة الدفاع وبين المقابلة».

«لا شك بذلك. إنها امرأة شديدة الذكاء، رغم أن مظهرها لا يوحي بهذا».

كانت بيت على وشك أن تسأله لماذا «لا يوحي» مظهر بوبي بالذكاء، عندما خرج جون باركر من باب المصعد. كان يبدو مرهقاً، لم يكن في الأمر ما يثير الدهشة، لكنه بدا في ذلك اليوم بالذات مرهقاً أكثر من المعتاد. خطر لبيت أن بيع قسمي الطباعة والنشر أثر فيه بشدة. كان قد خرج لتناول الغداء مع بريان هاوس في مطعم شينيكو، لكي يُظهر نفسه في الأماكن العامة مسترخياً هادئ البال. أملت بيت في أن يكون قد بدا في المطعم بصورة أفضل مما كان يبدو في تلك اللحظة - وإلا لم يكن ليُقنع شخصاً ضريباً.

«جون، كيف كان الغداء؟...».

«بيت، اتبعيني إلى المكتب، وأنت أيضاً يا تيم. أحضرا معكما كل من هو موجود حالياً».

الواقع أن الطابق الأعلى لم يكن يضم في تلك اللحظة سوى بيت وتيم وأنغوس هوارد من قسم المبيعات والتسويق، بالتالي كان الاجتماع في مكتب باركر اجتماعاً مصغراً مرتجلاً. جلست بيت بجوار طاولة المكتب التي تكدست فوقها نسخ من وثيقة الدفاع. لم يكن على الطاولة، عدا ذلك، سوى صور زوجة باركر وابنته، تساءلت بيت في سرها عن تأثير كل تلك الأحداث على الزوجة والابنة.

جلس أنغوس هوارد، وكان رجلاً ضخماً الجثة يفضل ارتداء سترات رياضية مكسوة بالوبر بدل البدلات الرسمية، بجوار النافذة، فتح الكوة العلوية وأشعل غليونه. لم يكن يُسمح بالتدخين في بقية أقسام المبنى، والواقع أن الشركة بكاملها

كانت تطبق سياسة منع التدخين، لكن تهذيب باركر كان يمنعه من فرض أي أمر داخل مكتبه الخاص. أقرت بيت في سرها بأن رائحة تبغ هوارد كانت تحمل نكهة عطرة لذيدة. بعد أن نفث هوارد الدخان لبضع دقائق، قال: «بيت، الصورة جميلة. سوف ننظر إليك بعد الآن نظرة مختلفة».

قال باركر وهو يجلس خلف المكتب: «الأهم من ذلك أن المقابلة كانت ناجحة وأنها استطاعت أن تعبّر عن عدد من الأفكار التي كنا نود التقدم بها».

أجاب هوارد: «كان بوسعنا أن نتقدم بجميع تلك الأفكار، بكل ثقة، ضمن وثيقة الدفاع. لكن الأمر المؤكد، هو أنه لم يكن بإمكاننا أن ندفع تكاليف دعاية جيدة من هذا النوع».

طراً تغيير واضح على جو الغرفة - لم يكن هوارد بالرجل الأخرق، وهو وإن كان يشعر بأن مستقبله أصبح الآن في الميزان، إلا أنه كان واضحاً أن المعركة تروق له. والواقع أنه، بصرف النظر عن بيل هاربر، كانت المعركة قد أسبغت حيوية على الجميع. فقضايا الإدارة اليومية البليدة لم تكن تحمل أية إثارة - لكن عمليات الاستيلاء كانت مثيرة برغم عامل الخطورة الكامن فيها، أو حتى بسبب ذلك العامل. قالت بيت: «بما أن الشركة قد دفعت ثمن الوجبة، أو أنه اقتطع من أجورنا، تكون الشركة قد دفعت تكاليف تلك الدعاية بصورة فعلية».

قال إيركسون: «بالنسبة لي، لا يمكن أن أتناول سمكاً نيئاً. جون أمل أن يكون غداؤك مقبولاً أكثر».

«يعتقد هاوس...». لم يكن المدير غير التنفيذي، حتى تلك اللحظة، قد حظي بشرف المنادة باسمه الأول بين أعضاء مجلس الإدارة، وكانت بيت تشك باحتمال أن يحظى بذلك الشرف يوماً ما - فقد كان بالنسبة لمجائز بايفيلد مجرد صبي غرّ. «أننا، على الأقل، صامدون وأننا لا نزال نمسك بزمام الأمور. هناك دائماً خطر أن يأتي هذا النوع من الإجراءات» نقر بأصابعه على رزمة من الوثائق، «بعد فوات الأوان بحيث يغدو دون فائدة، إضافة إلى أنه يُظهر للعيان ما قصّرنا بالقيام به سابقاً. أي ما كان يجب أن نقوم به».

الاستيلاء

فكرت بيت، ها أنت أخيراً قد بدأت تفهم ما نحاول قوله.

تابع باركر حديثه قائلاً: «لا شك بأننا كنا نتمتع ببعض المزايا التي كانت في مكانها الصحيح تماماً. بالتالي، نحن لا نعتبر فاشلين تماماً، برأي هاوس على الأقل».

دمدم أنغوس والغليون في فمه: «لا شك بأن ذلك يهدئ من روعي. جون، امض في حديثك، أخبرنا بمدة المهارة التي كنا نتمتع بها».

«إن وجود شخص يعمل في قسم الأبحاث والتطوير ضمن أعضاء مجلس الإدارة الأساسي، في شركة بهذا الحجم، يُظهر بوضوح أننا كنا جادين بشأن الأبحاث. وهذا صحيح من الناحية الفعلية. لا يمكن أن ننكر بأننا لم نستغل كافة المواهب المتوفرة في الشركة، لكن المواهب موجودة مع ذلك. لا شك بأن توم سويفت، مدير الأبحاث والتطوير، هو مدير ناجح، وهناك عديد من الشبان الذين يتمتعون بذكاء حاد ويتقدمون بأفكار متنوعة سوف تبدو نتائجها في المستقبل. وهذا ما سمح لنا بأن نقوم بسرعة بإعداد الدفاع الذي نواجه به كراوفورد».

تساءلت بيت في سرها، إذا كان الوضع على هذا النحو، لماذا إذاً لم يُمنح توم سويفت المكانة التي يستحقها. ما من شك بأنه كان يتقدم بأفكار عديدة، ولكن لم يكن يُعتمد منها سوى الأفكار الموثوقة جيداً، كما أنه لم يكن يُسمح له بمشاركة المجموعة لدى اعتماد الخيارات المتعلقة بالأسهم. كان بالإمكان الاستغناء عنه في أي وقت - والواقع أنه كان، شأن العديد من الأشخاص الأذكياء، معنياً بمتابعة أبحاثه بصحبة أفراد فريقه الحمقى أكثر من الالتفات إلى شؤون إدارة الشركة، لكن ذلك لم يكن ليشكل أية ضمانات مستقبلية. خطر لها أن تثير هذه النقطة، ولكن، مثل كثير من النقاط الأخرى، كان الوقت قد فات الآن للقيام بأي إجراء بهذا الشأن، اكتفت بالسؤال: «هل سيجدي ذلك؟...».

«لقد أجمع مستشارونا على أن ذلك وحده لن يجدي. ولكن، إذا بدأ مركز المدينة التجاري يشعر بالقلق إزاء تصورات كراوفورد طويلة الأجل ضمن مجال الأعمال...».

سأله هوارد: «وهل هناك سبب يدفع المسؤولين في المركز للشعور بقلق كهذا؟...».

«لا شك بأن بعض أقسام أيوت ليست بمستوى الأداء المطلوب. وكما أشارت بيث في مقابلتها، هناك إمكانية... ربما... إذا اقترن ذلك بالحل السريع والشكوك التي زرعتها في وثيقة الدفاع بشأن عدم الاستفادة من كامل إمكانات أعضاء مجلس إدارة كراوفورد. يعتقد هاوس ونك سبيلر أن كل تلك العوامل مجتمعة، قد تؤدي به للتراجع. إذا بدأت أسعار أسهم أيوت بالهبوط. إذا تغير رأي مركز المدينة التجاري».

قال إريكسون: «ألا تلاحظ أنك لجأت كثيراً لاستخدام تعبير «إذا»...».

قال باركر: «لكننا نبذل كل ما بوسعنا، ولا نستطيع القيام بأكثر من ذلك. علينا الانتظار لمعرفة ما سيحدث».

سحبت بيث وثيقة من الرزمة الموجودة على الطاولة وقلبت الصفحة إلى الأرقام الموجودة في النهاية. «جون، إن القرار... أعني قرارك الصعب ببيع قسمي الطباعة والنشر، قد يصب في مصلحتنا. لأن قراراً كهذا يتطلب شجاعة...».

«بيث، ثقي بأنه تطلب مني ما هو أكثر من الشجاعة. لقد شعرت وكأنني أغرس إبرة داخل قلبي. فقد أسس والد جدي مشروع القرطاسية...». تمكّن منه انفعال شديد منعه من مواصلة الكلام.

قالت بيث: «جون، نحن جميعاً نشعر بالإعجاب تجاهك للموقف الذي اتخذته. لنر إن كان كراوفورد سيتمكن من الارتقاء إلى مستوى قرارك هذا».

دار كراوفورد، أوستون رود، لندن ١٥: ١٧

«سيليا أنت تشيرين حنقي».

تقبلت سيليا التقرير بهدوء يليق بمهنتها. «ولكن جيمس كنت أظن أن الأمور تجري على ما يرام».

«ليس هذا ما أعنيه». أغلق كراوفورد الباب المنضي إلى مكتبه وسار بخطوات كبيرة باتجاه الأريكة ذات الشكل الدائري والطاولة المستديرة المثقلة بالصحف والمجلات، ثم جلس وقال: «لقد تناولت الغداء مع أندريا قبل بضعة أيام، أليس كذلك؟...».

الاستيلاء

«هذا صحيح، رغم أنني لا أعرف ما علاقتك بالأمر؟...».

أوماً برأسه وقال: «لا علاقة لي بالأمر، ولا أود أن أبدو مثل...».

«رجل الكهف؟...».

«أنا لا أحب أن يتم التفرير بمعارفي».

«تبعته سيليا وجلست في مواجهته وغاصت في الأريكة الوثيرة. «وهل هذا ما تفترض أنني قمت به؟...».

«صديقك، ميد...».

«جيمس، كنت أظن أنك تعتبر هيو ميد ضمن فريقك. إنه على اتصال مع بيرى كينغ».

«سيليا، أنت خير من يعرف أن الصحفيين المأجورين لا يمكن أن يكونوا ضمن فريق أحد».

انحنت إلى الأمام وقد التمع في عينيها برق مخيف، وقالت: «جيمس، أمل ألا تكون على وشك اتهامى بسلوك منافٍ لقواعد المهنة. نحن أصدقاء، وقد مضى على صداقتنا فترة لا بأس بها - ولكن إذا كنت ستقفو بأشياء من هذا النوع...».

رفع إصبعه وقال: «سيليا، أرجوك، لا تتصرفي... كامرأة. أنا لا أتهمك طبعاً بشيء من هذا القبيل-الفكرة هنا هي أن ميد قضى الوقت بكامله في محاولة دفع أندريا للحديث عن أمور قديمة تتعلق بي وبحياتي المهنية».

«جيمس إنه يعد مقالة عنك، ماذا تتوقع إذا؟...».

«أتوقع أن يتحدث معي مباشرة».

«ولكن هذا ما فعله أليس كذلك؟...».

وقف كراوفورد وسار باتجاه النافذة. «الماضي هو زمن فات وانقضى، وبودي لو يظل كذلك. سيليا، ليس لدي ما أخجل منه، إياك أن تظني ذلك، الفكرة هي أنني عندما تعرفت على أندريا... كنت أمر بمرحلة عصبية. لقد شعرت أندريا بأن ميد كان، إلى حد ما، يحاول دفعها لقول ما لا تريد قوله».

«جيمس، أندريا فتاة بالغة. نحن جميعاً هنا أشخاص بالغون وعلينا أن نتأقلم مع الحياة. لقد أخبرتها أن هيو يرغب في إجراء مقابلة معها، لم أغرر بها بأي شكل من الأشكال. لا شك بأنه إنسان محترف، وبأنها تفتقر لهذه الميزة، لكن الحياة معك لمدة عشرين عاماً يُفترض بها أن تكون كفيلة بتعليمها بعض أساليب المناورة مع وسائل الإعلام».

قال كراوفورد: «سيليا، لا شك بأن التملق يصل بك إلى مبتغاك».

«لكنه لا يستطيع أن يساعدني في النهوض عن هذه الأريكة اللينة دون أن تتكشف ثيابي الداخلية، هل لك أن تساعدني؟...».

ترك كراوفورد مكانه إلى جانب النافذة وعاد ليمسك بيد سيليا ويجذبها لتمكن من الوقوف. وقفت إلى جواره برهة وقالت: «جيمس، لا شك بأنه كان بإمكانك أن تتركني أصارع وحدي في محاولة للنهوض».

«لا بد وأن الأمر كان سيبدو مثيراً». توقفت برهة عن الكلام. وقفا وجهاً لوجه- كانت سيليا، ترتدي حذاء عالي الكعب، وتبدو أطول من رجل الأعمال الذي أضاف: «لكننا في نفس الفريق، أليس كذلك؟...». عرض عليها الجلوس في أحد المقاعد العادية قائلاً «إنها على الأقل أكثر احتراماً».

«شكراً. والآن، قبل أن نمضي في حديثنا، هل تشعر فعلاً بالحنق تجاهي بسبب أندريا؟...».

«كلا، لا أستطيع أن أشعر بالحنق تجاهك، ليس لفترة طويلة. لكنني أشعر فعلاً بأن عليّ حمايتها».

تبادر إلى ذهن سيليا سؤال «حمايتها أم حماية ما تعرفه من أمور...». لكنها لم تطرحه بل قالت: «سأتكلم مع هيو وأطلب منه أن يراجعك قبل كتابة أي شيء مبني على أساس مقابله مع أندريا. هذا لا يعني أن بإمكانني ضمان تغيير أي شيء. هيو انتهازي إلى حد ما، لكنه مستقيم عندما يتعلق الأمر بعمله».

الاستيلاء

«هذا يكفيني، لا أطلب أكثر من ذلك. والآن، نلتفت إلى شؤون العمل».

«وهي؟...».

«بايفيلد».

«وثيقة الدفاع؟... ما رأيك بها؟...».

«لا أعتقد أنها بالغة الإتقان. يقوم أوين بوزير حالياً بدراساتها مع موظفيه وسوف يخبرني بأي شيء يرى أنَّ عليَّ معرفته. هل سمعت أن باركر اضطر لبيع قسمي الطباعة والنشر؟...».

«تبدو خطوة منطقية بالنسبة لي».

«بالنسبة لك وبالنسبة لي، أما بالنسبة له...» أغمض كراوفورد عينيه لبرهة وبدأ كأنه يستمتع بهدوء الصمت. «فهي تُمثلُ خسارة شيء يحمل معنى بالنسبة له. وهذا يصيب المرء في الصميم».

«جيمس، لا أعتقد أن هذه أحاسيس لائقة محترمة».

«ومن قال إنني شخص لائق ومحترم. بالمناسبة...» فرد الصحيفة ووضع صورة بيت ستيوارت على طاولة المكتب ونقر بإصبعه على السطر الذي كُتب فيه اسم هيو ميد. «لقد قطع صديقك أشواطاً لا بأس بها. أليس كذلك؟...».

«يمكن القول إنه قد احتكر سوق العاملين لدى كراوفورد ولدى باركر».

«وسوق الفتيات الجميلات أيضاً».

نظرت سيليا شزراً إلى الصورة. «إنه يتمتع بذوق رفيع، لا مجال لإنكار ذلك. ولكن ما علاقة ذلك بما نحن فيه؟... أنت لا تريدني طبعاً أن أقف كنموذج لصورة خلاعية».

«سيليا، ما كنت لأمانع بذلك. لكنني حالياً أكثر اهتماماً بالأرقام التي تتعامل بها هذه الشابة».

«أرقام بيت؟...».

«إنها بارعة بإجراء المقابلات، وحسب ما ذكرت، عندما كنا نخطط لعملية الاستيلاء، إنها من أفضل أعضاء مجلس الإدارة لدى باركر».

«دون شك. وهي، باستثناء بريان هاوس، المدير غير التنفيذي الجديد، تفوق الآخرين ذكاء وشخصية. هناك مستقبل باهر ينتظرها».

«وهل يدرك باركر قيمتها؟...».

«إذا لم يكن يدرك سابقاً، فلا شك أنه قد أدرك الآن».

«رائع. أنا أريدها».

«عفواً؟...».

«أريدها بين أعضاء مجلس الإدارة الأساسي في الشركة عندي».

«انتظر قليلاً، إذا كنت ستكسب هذه المعركة، فإنك ستحصل عليها على أية حال عندما تستولي على بايفيلد».

«سلييا، سأصوغ ما أرمي إليه بتعبير آخر. أريد أن يخسرها باركر. أريدها أن تكون الشخص الذي يخبره، عندما يحين الوقت، بأنه قد خسر بايفيلد».

سرت قشعريرة باردة في ظهر سلييا. كان هناك خسة في الطريقة التي كان يجلس بها كراوفورد ساكناً لا يحرك سوى عينيه، ويتحدث عن الخيانة. لم يسبق لها أن رآته بهذا الشكل سابقاً، ولم تكن واثقة من أنها أحبت الصورة التي بدا عليها في تلك اللحظة.

«هذا يعني أن نطلب من بيت أمراً يفوق طاقتها».

«سلييا، الخيانة هي إحدى مراحل النضج. أعتقد أن السيدة ستوارت ستستفيد من تعلم درس كهذا، وإذا كانت، كما تقولين، شخصية استثنائية، فإن ذلك سيساعدها على النضج».

الاستيلاء

«ولكن ماذا سيكون تأثير ذلك على باركر؟...».

«سوف يُضَعَف موقفه. وسوف يخسر المعركة».

«لا شك بأنه إذا حدث ذلك فإن عملية الاستيلاء تكون قد انتهت. ويكون هو قد خسر وانتهى الأمر».

«صحيح، سيليا - أعتقد أن علينا أن ندعو السيدة ستيوارت للانضمام إلى مجلس الإدارة لدينا. لماذا لا نتحدثين إليها؟... لا ضرورة للحديث بشكل واضح، يكفي بعض التلميح. بعد ذلك، راقبي رد فعلها ومن ثم عودي لإخباري بما حصل».

«جيمس، هل هذا عقابي للتغريب بأندريا؟... إن كان الأمر كذلك، عليك أن تدرك أن بإمكانني تحمّل الكثير من هذا النوع من العقاب - لأعود إليك بعد ذلك».

«إنه مجرد أسلوب للتعاطي مع الأمور في عالم الأعمال».

بينما كانت سيليا في المصعد المصنوع من الفولاذ في طرقها إلى أسفل البناء، تساءلت في سرها عما يدور في ذهن كراوفورد. هل كان الأمر شأنًا شخصيًا لا تعرف هي أبعاده؟...

لا شك بأنه كان غاضباً بشأن الحماقات التي تفوهت بها أندريا وهذا ما جعل سيليا أكثر توقاً لسماع ما قالته أندريا لهيو بالتحديد.



اليوم + ١٧

الخميس ١٨ نوفمبر ١٠,٠٠

ويماوث ، باترنوستر ، مركز لندن التجاري

التقى المصرفيان في مكتب بويز. كان كل منهما يحمل نسخة عن وثيقة الدفاع ودفترًا لتسجيل الملاحظات. قال كارينتر: «قمت بإلقاء نظرة على الأسهم، ولا يمكن لي أن أقول: إنني شعرت بالراحة لما رأيته».

«طبعاً، وأنا لا أستطيع أن أدعي أن ذلك لم يكن متوقعاً». فتح بويز وثيقة دفاع بايفيلد على الصفحة التي تضم رسالة المدير، باركر، كما فعل قبل عدة أيام بحضور كراوفورد. أولى كارينتر الوثيقة انتباهاً فاق في تركيزه، ما أولاه لها رجل الأعمال. فقد أحنى رقبته بينما كان بويز يشير إلى عدد من النقاط ثم يقلّب الوثيقة ويضع علامة على طول صف كامل من الأرقام.

قال بويز وهو يقرأ من الوثيقة: «لقد تحدثتُ أيوت، مرة بعد أخرى، عن فكرة دمج مصنعها مع شركتي البناء والركام التابعتين لبايفيلد، ولكن أين هو الدليل الذي يدعم الأرباح المزعومة التي يُفترض أن تحققها هذه العملية؟... تقوم بايفيلد حالياً بتشغيل مصنع ضمن سوق تعرفه جيداً - ويعرفها هو بدوره جيداً».

«قال كارينتر: «الأسلوب سخيّف، لكن المضمون ذاته ليس سخيّفاً. إذا كانت أرقامهم صحيحة، ولا أجد سبباً يمنع من أن تكون كذلك، فإن النتائج العامة لضم بايفيلد إلى أيوت بعقد لا ينفصم لن تؤدي إلى زيادة الأرباح».

قال بويز: «هذا صحيح. كان كراوفورد يحاول إقناعنا بأمر مستقبليّة، بنواتج أموال. لا شك بأنه مراوغ، فقد كانت تلك طريقته في تجاوز المسائل التي لم تُحسم بعد». قرّب إليه دفتر ملاحظاته. «هبطت أسعار أسهم أيوت بعد إعلان العرض،

كما توقعنا تماماً. بعد أن تسنى لمركز المدينة التجاري الوقت الكافي لاستيعاب الوثيقة، عادت الأسعار للارتفاع. ولكن منذ أن بدأت معركة بايفيلد الدفاعية، أخذت الأسعار بالانحدار من جديد».

«إذا لم يتلق التجار الإشارات المناسبة، فلن يدعموا الشركة».

تناول كارينتر قلماً ودوّن بعض الأرقام: «هل يتوفر لديك حالياً بعضٌ من النتائج التي حققتها أيوت؟...».

«تشيب، ما الذي تسعى إليه؟...».

«أود إجراء مقارنة بين نتائج الشركات المختلفة. إذا كان لهذا الأمر أن يمضي إلى أبعد من ذلك، فسوف يكون كراوفورد بحاجة لاستعادة ثقة مركز المدينة التجاري».

سأله بويز وهو يقلّب صفحات الوثيقة الأصلية لعرض أيوت للعثور على الأرقام التي طلبها كارينتر: «وهل من الضروري أن يمضي إلى أبعد من ذلك؟...».

«لا معنى للانسحاب الآن بعد أن وصلنا إلى هذه المرحلة. لقد بدأنا، أساساً، في العدو باتجاه أسفل الهضبة بسرعة مطّردة ولن نستطيع، حتى لو رغبتنا بذلك، أن نتوقف دون أن نتعثر ونقع. هذا ليس بالأسلوب الناجح لإدارة الأعمال. لقد تورطنا في الأمر...».

قاطعته بويز: «وخالفنا بذلك رغبتك بالقيام بما هو أفضل، علي الاعتراف بذلك».

«أوين، لقد دعمتُ موقفك، لم يجبرني أحد على ذلك. ولكن صادقين، لم ينته الأمر كلياً بعد. أعتقد أن بإمكاننا القول، بمعنى ما: إن الأمر قد يتحول ليصبح مثيراً بالنسبة لجميع الأشخاص الضالعين فيه».

«تلك اللعنة الصينية القديمة، فلتعشّ لتشهد أوقاتاً مثيرة. والآن، من سيقوم بإبلاغ كراوفورد بالأنباء السيئة؟...».

هز كارينتر كتفيه وقال: «أنت طبعاً، فأنت المصرفي الذي يتعامل معه. كما أن تلك ليست بالأنباء السيئة - إنها مجرد تغييرٍ للاتجاه، إشارة بسيطة تبدّت في مسارنا المقدّر أصلاً».

اليوم + ١٨

الجمعة ١٩ نوفمبر

ثلاث مكالمات هاتفية

أوين بويز مع جيمس كراوفورد ٨:٥١

بوز: «جيم، أمل ألا أكون قد اتصلت في وقت مبكر؟...».

كراوفورد: «أوين، لا وجود في قاموسي لمفهوم -وقت مبكر-. بإمكانك الاتصال بي متى شعرت بحاجة لذلك، وسأكون مستعداً للحديث. ماذا تريد؟...».

بويز: «السؤال هنا يتعلق بما تريدني أنت أن أقوم به، بما يتوجب علي أن أخبرك به، أن أقوله لك».

كراوفورد: «تخبرني، تقول لي؟... أوين، ماذا دهاك؟... هل أفرطت في الشراب ليلة أمس؟... هل سلبك أحد إرادتك هذا الصباح؟...».

بوز: «جيم، كنا نناقش أرقام حساباتك. ونحن... نعتقد أن عليك أن تفكر ملياً في بيع القسم الخاص بالتجهيزات. هذا القسم على الأقل. ولا بأس أيضاً ببيع قسم الأغذية المجمدة... جيم؟...».

كراوفورد: «أوين، أنا أوصي إليك، لكنني أفكر وحسب... ولماذا الآن بالذات؟...».

بوز: «هل اطلّعت على أوضاع أسهمك مؤخراً؟... آسف، لا شك بأنك اطلّعت عليها. سوف ترى أنها...».

كراوفورد: «هبطت بمعدل ١٢٪ الليلة الماضية».

الاستيلاء

بويز: «ولم يتحسن الأمر... فقد طرأ هبوط طفيف صباح اليوم».

«كراوفورد: «أوين، واعذرني لقولي هذا، لكن، أليس من المفروض أن عملكم هو الحيلولة دون ذلك؟...»

بويز: «جيم، أنت تعرفنا جيداً. عندما نقوم بصفقة، فإن بالإمكان اعتبار نصف الصفقة قد أُنجز قبل الانتهاء من مناقشتها. ولكن إذا بدأ بعض المدراء الماليين بإثارة المتاعب بشأن هذه...»

كراوفورد: «يا للأغبياء»

بويز: «كما أن بايفيلد قد أعدت مذكرة دفاع متقنة».

كراوفورد: «متقنة؟... وهل تسمي ذلك دفاعاً متقناً؟...»

بويز: «ليس على المدى الطويل، طبعاً لا. لن يغيّر ذلك من الأمور في شيء، نحن نأمل ألا يغيّر وسنعمل على ذلك... وإذا كنا سنقوم بذلك، علينا أن نكون واثقين قدر الإمكان...»

كراوفورد: «من أن عرضنا لا يحوي أية ثغرة؟...»

بويز: «تماماً. لا يمكن لنا أن نقدم لهم عرضاً يشبعونه بحثاً وتمحيصاً أو يضعون العراقيل أمامه. ويمكن القول عموماً: إن شركة التجهيزات... كما أشرت أنت سابقاً، أعمال البناء تشهد ازدهاراً، والناس بحاجة... سوف يحتاجون دون شك للرافعات و... وللحفارات... إذاً، ستجد لها شارباً، وبسهولة. هذا سيدفع مركز المدينة التجاري للاعتقاد بأن هدفك هو...»

كراوفورد: «صفقة عمل؟...»

بويز: «تماماً جيم، سأصدقك القول، إن شركتيّ توريد الأغذية والطعام لا تعودان عليك بإيرادات حقيقية - تخلص من هاتين الشركتين أيضاً. سوف تتوفر لديك سيولة نقدية إضافية وسيتضح للجميع تماماً بأنك تركّز على مجال أعمالك الأساسي».

كراوفورد: «أوين، هل لديك مشترٍ جاهز؟...».

بويز: «بإمكاني الاتصال ببعض الأرقام إذا أعطيتني الإيعاز بذلك».

كراوفورد: «تعرف طبعاً أن مجلس إدارة أيوت يجب أن يوافق على هذه الفكرة.

أنا لا أستطيع أن أضمن موافقتهم».

بويز: «معرفتي بك تجعلني لا أخشى وجود مشاكل عويصة بهذا الشأن».

كراوفورد: «أوين، الأمور لا تتم دائماً عبر التلويح بالسيف فوق رؤوس الناس».

بويز: «جيم، الفكرة هنا هي أنك عندما تشرع بعملية ما، لا يمكنك دائماً أن توقفها عندما تتخذ لنفسها مساراً ذا اتجاه مختلف. إذا حاولت أن تمضي بالأمر دون صفقة البيع هذه، فإن من واجبي القول... نصيحتي، ونصيحة زملائي... هي أن العملية ستفشل غالباً. وإذا انسحبت...».

كراوفورد: «لن أنسحب».

أوين: «حتى ولو فكرت بذلك، فإنني أعتقد أن أسعار الأسهم لن... لن ترتفع ثانية، لأن ذلك سوف يبدو لأنظار العاملين في مركز المدينة التجاري... وكأنه يشير إلى وجود خلل في... خلل أساسي في أيوت».

كراوفورد: «وصلت الفكرة. أي أن عليّ الالتزام بمجال عملي الأساسي. لا بأس، عليك إذاً أن تعلن بأن أيوت تفكر بالتخلص من شركتي التجهيزات والأغذية. لكن لا تعقد أية صفقة».

بويز: «هذا يكفي في المرحلة الحالية، طالما نقوم بالوفاء بالتزاماتنا. فهو سيوضح لهم أن...».

كراوفورد: «أن كراوفورد لا يزال موجوداً ضمن اللعبة».

بويز: «تماماً».

الاستيلاء

كراوفورد: «أنا مدعوّ إلى حفل رسمي في الأسبوع القادم - رجال الأعمال والمستقبل. كالعادة، خطب وخمر كرهة المذاق. كنت أنوي ألا أذهب لكن أعتقد أنّ عليّ الذهاب».

بويز: «وأنا أعتقد ذلك أيضاً. هذا يظهر كمظهر الواثق من نفسه كما أن بإمكانك تبادل بعض الأحاديث العَرَضِيَّة مع الأشخاص المناسبين».

كراوفورد: «طبعاً، وتحصل أنت على سيارة أخرى جديدة. سأتصل بك».

انتهت المكالمة.

هيو ميد مع سالي كوهين ١٥: ١١

عاملة الهاتف: «صباح الخير، -ريدنغ أرغوس-».

ميد: «صباح الخير، هل يمكنني التحدث مع سالي كوهين؟...».

عاملة الهاتف: «من المتكلم رجاء؟...».

ميد: «هيو ميد. إنها تعرفني».

عاملة الهاتف: «انتظر لحظة من فضلك».

كوهين: «هيو؟...».

ميد: «مرحباً، سالي، كيف أحوالك؟...».

كوهين: «جيدة، مشغولة على الدوام كالعادة. وأنت؟... هل لا زلتَ تعيش مع راشيل، هل كان ذلك اسمها؟...».

ميد: «لا... لقد كان ذلك منذ...».

كوهين: «أسفة».

ميد: «وأنتِ، هل لا زلتِ تعيشين مع تيم؟...».

كوهين: «كزوجين عجوزين. الواقع أننا نفكر بالزواج في العام القادم. سأرسل لك دعوة».

ميد: «رائع. والآن، سالي، هل لك أن تقدمي لي مساعدة؟...»

كوهين: «مهما كان نوعها إذا كان بإمكانني ذلك - وإذا كانت القصة جيدة فقد أشارك فيها».

أوين: «يسرني ذلك. أنا أقوم بإعداد مقالة عن جيم كراوفورد».

كوهين: «عفواً؟...»

ميد: «رجل الأعمال. إنه ضالع حالياً في معركة للاستيلاء على شركة أخرى».

كوهين: «قرأتُ شيئاً كهذا، لكنني لا أعرف شيئاً عن الرجل».

ميد: «لقد بدأ حياته في ريدينغ».

كوهين: «ميد، كان ذلك منذ زمن طويل، قبل أن أدخل مجال العمل».

ميد: «قبل أن ندخل كلانا مجال العمل. المسألة الآن، أتساءل إن كان - لقد رشح نفسه لانتخابات البرلمان، لكن حدثت مشكلة فتم استبعاده».

كوهين: «أعتقد أن ذلك لن يفيدنا بشيء. بإمكانك العودة إلى الأعداد القديمة. إذا استطعت المجيء إلى هنا، سيكون من السهل تدبير ذلك».

ميد: «أود القدوم طبعاً، لكنني كنت أتساءل فقط إن كنت تعرفين شخصاً... أعتقد أن القصة قد حدثت منذ فترة طويلة جداً...».

كوهين: «هناك عمود في الصحيفة لدينا اسمه: «أحداث بيركشاير»، يحكي عن ذكريات الماضي. الشخص المسؤول عن العمود يعمل في الصحيفة منذ الأزل، لكنه تقاعد مؤخراً وهو يعيش حالياً قرب بانغبورن. إنه يدعى هاري بورتون. يُطلق على نفسه اسم ملك الصحفيين المأجورين. قضى حياته في أرغوس، بدأ بتوزيع الصحيفة وانتهى به الأمر إلى أن يصبح صحفياً. أستطيع الاتصال به إن شئت... إذا كان لأحد أن يعرف شيئاً، فلا بد أن يكون هذا الشخص».

الاستيلاء

ميد: «هل لك أن تتصلي به رجاءً؟... بإمكانني الحضور في أي وقت يرغب هو فيه».

كوهين: «المشكلة مع هاري تكمن في إقناعه بالتوقف عن الكلام. هل لك أن تعطيني رقم هاتفك الجوال، سوف أتكلم معه لمعرفة رأيه بالأمر».

ميد: «سالي، أنتِ رائعة. رقمي هو ٨٩٧ ٨٩ ٠٩٥٦».

كوهين: «شكراً، وإذا اتفق لك المجيء لمراجعة السجلات، فأعلمني. يمكننا تناول كأس سوية».

ميد: «ونستعيد الأيام الخوالي».

انتهت المكالمة.

سيليا هارت مع بيث ستيوارت ١٤,٠٠

هارت: «بيث، أنا سيليا هارت».

ستيوارت: «سيليا، كيف أحوالك؟...».

هارت: «أنا بخير، وأنتِ؟... هل يثقلون كاهلك بالعمل؟...».

ستيوارت: «يمكنني القول إنكم تثقلون كاهلي بالعمل».

هارت: «أعتقد ذلك. أين أنتِ، وآسفة لهذا السؤال، لا أعتقد أنك في المكتب في وقت كهذا».

ستيوارت: «أنا في مكتب بوبي كينغ أتلقي بعض التدريب للظهور في البرنامج

التلفزيوني: «The Business Show»

هارت: «لقد قرأتُ المقابلة التي أجراها هيو معك. لقد بدوتِ رائعة وكان حديثك أكثر روعة. لا شك بأن فريقنا بحاجة لهذا النوع من الأشخاص. هل يمكن لي أن أشغل دقيقتين من وقتك؟...».

ستيوارت: «أعتقد ذلك، انتظري لحظة. «بصوت خافت» بوبي هل...؟... لا بأس، تفضلي سيليا».

هارت: «كنتُ أحدث مع كراوفورد قبل بضعة أيام».

ستيوارت: «وبعد؟...».

هارت: «لقد تركتُ المقالة أثراً بالغاً في نفسه. وكان رأيه أن حديثك يبدو منطقياً».

ستيوارت: «أعتقد أن هيو جعل الحديث يبدو أفضل مما كان عليه في الأصل».

هارت: «دعك من هذا، أنا أعرف الشاب - وهو ليس بالبراعة التي تظننها. لقد كتب الحديث كما جاء. هذا ما يراه جيم».

ستيوارت: «هذا لطف من جانبه».

هارت: «بيت، إنها واقعية، فجيم لا يكثر كثيراً باللطف في ميدان العمل. لقد ترك حديثك أثراً بالغاً لديه وهو... يود لو تتضمن لفريقه».

ستيوارت: «ماذا، عفواً؟...».

هارت: «يريدك أن تتضمني إلى أعضاء مجلس الإدارة لديه. إنه يعرض عليك منصب مدير».

ستيوارت: «هل تعنين أنه يريدني أن أظل في بايفيلد بعد أن... إذا نجحت عملية الاستيلاء؟...».

هارت: «بيت، كلا. إنه يعرض عليك منصباً في مجلس الإدارة الأساسي في أيوت. مسؤوليات أكثر، وراتب أعلى ومستقبل مهني أفضل».

ستيوارت: «الآن؟...».

هارت: «العرض سار منذ هذه اللحظة، رغم أنك ستبقيين في مجلس إدارة بايفيلد. لن يتغير شيء بهذا الشأن. عندما يحين الوقت، وإذا سمحت الظروف بذلك، سوف يكون بإمكانك... أن تتبيني أنه لا مناص من الاستيلاء. كما سيكون بإمكانك عرض شروط مناسبة على المدراء الآخرين لفصلهم من العمل».

بيث: «سيليا، أعتقد أنني لم أستوعب جيداً العرض الذي تتقدمين به. أعني... هل يُفترض بي القيام بدور الجاسوس؟...».

هارت: «بيث، الأمر ليس على هذا النحو. كراوفورد لا يحتاج إلى أية معلومات سرّية. سوف يريح عاجلاً أم آجلاً. هو يدرك ذلك، وأنتم تدركون ذلك أيضاً. أعتقد أن مديرك هو الشخص الوحيد في عالم الأعمال الذي لا يدرك ذلك. ما نأمل به حالياً هو إنجاز الدمج بأسلوب سلس. أي تنفيذ عملية توريث المناصب بصورة مناسبة».

بيث: «أنتِ إذاً بحاجة لـتيم إريكسون للقيام بتلك الخطوة...».

هارت: «بيث، سأخبرك بما نحن بحاجة إليه. نحن بحاجة إلى رأيك على المدى القريب بشأن عملية الدمج، وعلى المدى البعيد بشأن الكيان الجديد الذي سينشأ؛ إنها فرصة جيدة، لا تقلقي، فلن يطلب أحد منك أن تتركي موقعك الحالي في المعركة. أظهري على شاشة التلفزيون، وقومي بما يتوجب عليك القيام به. لا شك بأنك ستكونين رائعة. عندما يصبح الوضع حتمياً، عندها فقط سنكون بحاجة لشخص يوضح لنا ماذا سنواجه وكيف يجب أن نتصرف. هل ستفكرين بالعرض؟...».

ستيوارت: «أعتقد... أعتقد أن هذا ما يجب أن أقوم به، أليس كذلك؟...».

هارت: «نعم، أعتقد أن عليك أن تفعلي ذلك. بيث، أنتِ تعرفين طبعاً بأنني على ثقة تامة من النتيجة التي ستؤول إليها الأمور. خلال خمس سنوات، سوف تصبحين المسؤول التنفيذي الرئيس لشركة كبرى وسأعمل أنا لديك».

ستيوارت: «لا أدري. أحياناً يبدو كل شيء وكأنه...».

هارت: «أرجو لك وقتاً ممتعاً في التلفزيون. سأحاول أن أشاهد البرنامج».

انتهت المكالمة.



اليوم ٢٢+

الثلاثاء ٢٣ نوفمبر ١١:٣٥

دار كراوفورد، أوستون رود، لندن

«كيف استطاع القيام بذلك؟...». فتحت دايان إيلروي عينيها، غير مصدقة، حتى كادت رموشها الجميلة أن تلامس جبهتها.

هز مارك كتفيه وقال: «إنه سحر كراوفورد المعهود».

«كنت أعتقد أن فيل غودمان، على الأقل، سيتقدم باعتراض، كنت دائماً أتصور أنه شديد الحماس للشاحنات والبلدورات».

«من الواضح أنه أكثر حماساً لمنطق الأعمال السليم».

«مارك، هل تعتقد أن ذلك يمثل منطقاً سليماً؟...».

كانا يقفان إلى جانب الجدار الزجاجي يتأملان شارع أوستون رود الذي لا تنقطع فيه حركة المرور كالعادة.

«دايان، أنا لست مديراً. دوري لا يتعدى كتابة محاضر الاجتماعات،» ظهرت في السماء طائرة هليكوبتر تابعة للشرطة، أضاءت الأنوار الكاشفة لهوتها الغيوم الكئيبة المنخفضة. أشار إليها مارك وقال: «يبدو أنهم يحاولون احتجازه».

«لا أظن. كراوفورد مراوغ كبير لا يمكن لأحد، ولا لرجال الشرطة، الإمساك به».

هزّت رأسها بغضب - تأرجح شعرها بحركة فائقة كستارة سوداء فوق جيدها الناصع. تساءل مارك في سرّه كيف يمكن أن يكون طعم القبلّة على بشرة كهذه، ثم داهمه شعور بأن الأمر برمته قد أصبح يثير الملل. ألم يحن الوقت بعد ليبوح بعواطفه أو ليصمت إلى الأبد؟... أحس باضطراب في معدته حيث اعتملت مشاعر امتزجت فيها السعادة بالخوف إزاء فكرة تحديد موعدٍ نهائيّ كهذا.

الاستيلاء

قال لها: «لقد اضطر أعضاء مجلس الإدارة لمجاراته، لم يكن أمامهم خيار آخر، حتى كافين كلوني بدا ... غير معارض لأول مرة».

«لا يمكن لك أن تنكر بأن الأمر غدا مثيراً، فقد أصبحت القرارات اليومية الروتينية تظهر على شاشة التلفزيون. وبدأت أخبارنا تشغل صفحات الصحف - ليس فقط الصفحات الخاصة بالأعمال، بل الصفحات العامة أيضاً. المديرية المالية الماكرة في بايفيلد تتدبر أمر عرض مفاتها في الغارديان. نحن بشر، نحن نحب مثل هذه الأمور وكراوفورد يدرك ذلك، ويعرف كيف يستغله، يقول إيمرسون: عندما نتزلج فوق جليد رقيق، فإن نجاةنا تعتمد على سرعة الحركة. لكني أود معرفة رأي كلوني الحقيقي بكل ما يجري».

كان الأكاديمي السابق يقف في الطرف المقابل من الغرفة يتبادل الحديث مع بوروز من قسم المصادر البشرية. كان كراوفورد قد غادر الغرفة لحظة تأكد من دعم أعضاء مجلس الإدارة لعملية بيع شركة التجهيزات وتوريد الأغذية.

«لنذهب ونر». ابتعدت دايان عن النافذة ودارت حول الطاولة المستطيلة السوداء التي تتوسط غرفة مجلس الإدارة لتتضم إلى بوروز وكلوني، بعد بضعة دقائق، غادر مدير المصادر البشرية الغرفة وذهب مارك لينضم إلى دايان، كانت في تلك اللحظة تقول لكلوني: «هل كنت فعلاً تدعم موقفه اليوم؟...».

لاشك في أن باستطاعة دايان أن تتحدث دون موارد عندما ترغب بذلك - ماذا لو استجابت بالرضى لمحاولاته بالتودد إليها؟... شعر ثانية بقبضة تعصر معدته، هل سيحاول فعلاً؟... لا بد وأنه مخبول...

«دايان، ادمم موقفه؟... نعم ادمم موقفه بصورة إجمالية، إذا أخذنا بعين الاعتبار الموقف الذي نواجهه حالياً. أعتقد أنه من الأفضل، على المدى الطويل، أن يكون المرء مؤيداً من أن يكتفي بإبداء ردود أفعال، وهو الوضع الذي نجد أنفسنا فيه...». نظر حوله وكأنه يود تحديد اتجاهه، «حالياً».

قالت دايان: «يكتفي بإبداء ردود أفعال - هل تعني وضع المُجبر على القيام بأمور لم نكن لنفكر بها قبل بضعة أسابيع؟...».

ضحك كلوني وقال: «أنت تقفزين إلى النتائج قفزاً؟...».

تساءل مارك في سره، ماذا لو قفزتِ إلى أحضاني. تابع كلوني كلامه: «بما أنك عبّرت عن الأمر بهذه الطريقة، جوابي هو نعم».

أخذ جوابه الموجز دايان على حين غرة، ظلت صامته لبضع لحظات. لم يشعر كلوني بالانزعاج مطلقاً لصمتها: فقد كان الصمت النابع عن التفكير طبيعة متأصلة فيه.

سألته دايان أخيراً: «هل تعتقد أن ذلك أمر صائب؟...».

«صائب - هذه قيمة نسبية ضمن مجال الأعمال. أنا لا أود أن أبدو مثل ١٠٦٦ وإلى ما هنالك...». أطلق كلوني ضحكة خافتة كونه أشار إلى أمر لا يبدو أن مارك، أو دايان كما بدا من تعبير وجهها، قد استطاعا إدراكه. «الإدارة الصائبة للشركة تتطلب... إذا كان لي أن أتكلّم طبعاً؟...».

ضحكت دايان وقالت: «بإمكانك أن تقول ما شئت. فنحن، في ما يتعلق بهذا الشأن، نجثو عند قدميك».

«شكراً جزئياً. لا أريد أن أبدأ بإلقاء المحاضرات، لكن فكرة علاقة متبادلة ناجحة، مثلما كان عليه الأمر، بين مجال الأعمال والصيرفة والحكومة، قائمة على أسس يومية لا تزال تستعصي على أفهام كثيرين ضمن مركز المدينة التجاري. لا شك بأننا سائرون على طريق الهداية لكن كثيرين منا لم يصادفوا بعد... أعني لحظة... الوحي الذي يعمي الأبصار. بعضنا لا زال شاؤول ولم يصبح بعد بولس».

أطلق ضحكة، خافتة، ابتسمت دايان وقالت: «ماذا لو أن شاؤول لم يتمكن مطلقاً من الوصول إلى دمشق؟... هل يشتري زوجاً من نظارات ريبان؟...».

«عفواً؟...».

الاستيلاء

«إنه نوع من النظارات الشمسية، إذاً لا تغيير، لا رحلات تبشيرية، لا رسائل إلى الكنائس الوليدة. هل سيكون هذا... أمراً صائباً؟...».

قال كلوني وهو مستغرق في تفكير عميق: «كلا، ليس صائباً على الإطلاق على المدى الطويل».

«وكما تقول يا حضرة البروفيسور، الاستراتيجية لها وزنها».

فكّر كلوني بما قالت ملياً ثم أوماً برأسه وقال: «أنا مضطر للذهاب. وقد أدعوك لتناول كأس يوماً ما في النادي الذي أتردد إليه. آسف، لا أعتقد أنهم يسمحون بدخول...».

«النساء؟...».

«تماماً. أسحب الدعوة. هل تحبين تناول السوتشي؟...».

لم تتمالك دايان نفسها وقالت بدهشة: «سوتشي؟... أنت؟...».

«لقد قمتُ بالتدريس في اليابان. قضيتُ خمس سنوات أتردد إلى اليابان. أنا أشعر بالحب والاحترام البالغ إزاء حضارة اليابان. اتصلي بي هاتفياً». حياها وكأنه يلمس قبعة خفية على رأسه وسار مبتعداً.

قالت دايان: «حاد الذهن كإبرة».

قال مارك: «كالدبوس. ما رأيك بما قال؟...».

«دبوس، إبره، ما الفرق. آسفة لكنك بالغ الجدية. مارك، لا أستطيع مقاومة ذلك».

بدت على وجهه إمارات الخيبة.

مدت يدها ومستّت وجنته بأصابعها برفق. «آسفة لم أقصد إزعاجك. لا تبتئس.

سأعطيك رقم هاتفي الجوال». سحبت بطاقة ودستها في الجيب العلوي لسترتة.

شعر بأن وجهه قد أشرق بابتسامة مضيئة - كأنه المتسابق المرجح فوزه في مسابقة ريفية لأفضل ابتسامة بلهاء. حاول أن يسيطر على نفسه لكنه فشل. قالت دايان: «هذا أفضل. أعتقد أنني سأذهب لتناول السوتشي مع الدكتور كلوني بأسرع وقت ممكن».

شعر مارك بأنه إذا لم ينتهز اللحظة الحالية فإنها ستضيع إلى الأبد. قال، وقد استجمع شجاعته ليقوم بأجراً عمل في حياته: «دايان، هل تتناولين معي العشاء يوماً ما؟...». قالت دايان: «نعم».

بايفيلد، غولدهوك ميوز، لندن ١٤,٠٠

قال بريان هاوس: «جون، كلا، إنها لا تغير من الأمر شيئاً».

دفعت بيت بوثيقة العرض الثانية، التي أصدرتها أيوت ذلك الصباح، فوق سطح طاولة الاجتماعات وقالت: «أنا أتفق مع بريان، إنها لا تغير من الأمر شيئاً». عادت لتتفحص الكلمات التي نطقت بها: هل غيرت الكلمات من الأمر شيئاً. منذ أن قبلت عرض سيليا - بالتالي عرض كراوفورد - بمنحها منصباً ضمن مجلس إدارة أيوت، وجدت نفسها تدور في دوامة من المشاعر والأفكار تهدد بسحبها إلى قاع الحيرة والارتباك. كانت مصممة على أن تحافظ على ولائها لباركر وبايفيلد وألا تقدم أية نصيحة تتعارض مع واجبها كمسؤولة في الشركة - قدر استطاعتها. كانت تلك الكلمة الصغيرة «قدر» هي مكن المتاعب.

«أنا، ببساطة، لا أستطيع أن أفهم ما ترميان إليه». رغم أنه كان يبدو مرهقاً ومتوتراً خلال الأسبوع الماضي، إلا أن المعاناة بدت أكثر حدة خلال هذا الأسبوع. لدى بداية الاجتماع، بدا باركر، للوهلة الأولى، مبتهجاً، وكأن نبأ قيام كراوفورد ببيع شركتين تابعتين كان إشارة إلى تراجع معاناته قليلاً. لكن آماله بدأت تتقوض. «بريان، بيت، بحق الله، ألا يُظهر ذلك بأن الرجل لا يستطيع السيطرة على إدارة شركاته بشكل يومي. لماذا إذاً نسمح له بإدارة مجال أعمال أوسع؟...».

الاستيلاء

فتح بريان هاوس وثيقة أيوت الجديدة. «جون، هذه الوثيقة تدافع ببراعة عن فكرة بيع شركتي الأغذية والتجهيزات. تبدو الفكرة حكيمة. هذه ميزة لا يسعني سوى الاعتراف بأن كراوفورد لا يتصف بها، إلا أنها تبدو واضحة في الوثيقة. لقد جرى تدبير صفقات البيع بدعم من مستشاريه ومن أعضاء مجلس الإدارة، لديهم الآن سيولة نقدية أكبر، بالتالي، بإمكانهم تمويل قسم الأبحاث والتطور الذي نتجج به في وثيقة الدفاع».

قال باركر: «بإمكاننا تمويل ذلك».

قالت بيث: «ولكن ليس إلى هذا الحد».

قال بيل هاربر، المسؤول التنفيذي الرئيس: «لم تطرأ أية زيادة على العرض الأصلي - وإذا كان مساهموننا لم يقبلوا العرض في أول الأمر، لا أجد سبباً يجعل عملية البيع هذه تُحدث أي تغيير».

قال تيم إريكسون: «بل، هذا صحيح وأنا لا أزال على اعتقادي بأننا نتمتع بولاء زبائننا والموردين الذين يتعاملون معنا...».

أضاف باركر: «إضافة لولاء المصرف. وبما أننا لا نزال نتمتع بكل ذلك، بإمكاننا إذاً المقاومة».

قالت بيث: «ما يقلقني هو عدم ظهور أي فرسان بيض. مازال الأمر يأخذ طابع منافسة صريحة. بريان، هل لديك أية آراء بهذا الشأن؟...».

فكر هاوس للحظة ثم قال: «لقد أثرت نقطة مهمة. أعتقد أن الجميع يقف بانتظار شيء ما. فليس هناك - جون، أنا آسف لما سأقول - شيء يثير الاهتمام بشكل خاص في أيٍّ من الشركتين، أعني شيئاً يغري الآخرين بالاشتراك في المعركة في هذه المرحلة. لماذا لا ندع الطرفين ينهكان قواهما، وبعد ذلك، وإذا ظل في الأمر ما يغري، نتقدم بقوات قوية مفعمة بالنشاط وبخطة معركة جديدة؟...».

دمدم باركر: «تعني أنهم سيدعوننا نغرق، أليس كذلك؟...».

بدأت بشرة وجهه كالمعجون القديم - فكرت بيث، إنها لم ترف في حياتها رجلاً يبدو عليه الإنهاك والأرق بهذا الشكل.

«لا يمكننا أن نحكم في هذه المرحلة». بدأ هاوس واثقاً مما يقوله، ولكن كان من الواجب أن يكون واثقاً، هذا هو عمله.

قال أنغوس هاورد، الذي لم يتوقف عن محاولة سحب الغليون من جيبه ومن ثم العدول عن ذلك: «ما هي أخبار الأسهم؟...». كان من الواجب أن يكون على علم بها، لكن هناك احتمال ألا يكون قد جرواً على محاولة النظر إليها.

قالت بيث: «ارتفعت أسعار أسهمه ١٥٪، أسعار أسهمنا على حالها. لكنني لا أعتمد على بقاء الوضع ثابتاً لمدة طويلة. لا بد أن يحدث شيء في القريب العاجل».

صدرت صرخة من أعماق باركر: «لا نستطيع الاستسلام. لا أستطيع الاستسلام». أطبق قبضته بشدة وقال: «يجب أن نستمر في المقاومة؛ هذا العرض... وإن كان يمكن الدفاع عنه، إلا أنه منخفض جداً، إنه منخفض لدرجة مهينة. لا يمكن أن نسمح لأنفسنا، لن نسمح لأنفسنا...». قال وورثفتون، الذي لم يكن وجوده أكثر وضوحاً من غيابه والذي تمكّن من الحضور في ذلك اليوم: «جون، ليس هناك من يتكلم عن الاستسلام. الأمر أشبه بقصائد بروس سبرينغستين الغنائية العظيمة، حيث تكافح وتكافح ومن ثم...». صمت وورثفتون عندما تذكر أن القاعدة في أغاني سبرينغستين هي أن ينتهي الكفاح بالاندحار أو بالموت على الطريق الخلوي أو بديون لا يمكن لرجل أن يسدها. لم يكن باركر، لحسن الحظ، على دراية بالأعمال الكاملة للمؤلف، بالتالي لم يحمل ملاحظة وورثفتون أكثر من معناها السطحي. تابع المدير غير التنفيذي، الذي كان يربط شعره بشكل ذنب حصان، قائلاً: «جون، يجب أن ترتاح قليلاً. اذهب إلى المنزل، استرخ قليلاً ونم جيداً. أنت مهم جداً بالنسبة لنا، نحن بحاجة لأن تكون مستعداً للترجل ودفع العربة معنا - ما رأيك؟...».

«ديك، لا شك بأن الدعوة مغرية، لكن عليّ حضور حفل رسمي الليلة. لن يستمر الحفل إلى وقت متأخر ولكن... لقد قطعت وعداً بالذهاب وعليّ الآن، أكثر من أي وقت مضى، أن ألتزم بوعودي».

«لا بأس، ولكن عد إلى المنزل باكراً». «كان هذا كل ما استطاع وورثفتون قوله».

نزعَت بيث يديها عن أذنيها وتابعت الإصغاء، ثم قالت: «تعرفون طبعاً أن عليّ الاشتراك في برنامج تلفزيوني، سيبدأ التسجيل في الساعة الرابعة، أعتقد أن عليّ الذهاب».

ابتسم باركر وقال: «إذا كان أداؤك في البرنامج بنصف جودة أدائك في المقابلة الصحفية، سنكون جميعاً فخوريين بك بيث».

ابتسمت بيث وهي تدرك أنه ليس هناك ما تضيفه بهذا الشأن. «أشعر بالخوف. لكنه تسجيل على الأقل، قالت بوبي إنه في حال حدوث خطأ ما، يُمكن إعادة التسجيل. لو كان البرنامج سيذاع على الهواء، لا أعتقد أنني كنت سأشارك فيه».

«رويدك، إنه برنامج تلفزيوني لا أكثر.... تلفزيوني».

«شكراً ديك، سأعمل على ألا أنسى ذلك».

على التوالي: بارك لين / كينغز كروس / سوهو، لندن، ليلاً.

كان جناح الحفلات الرسمية في فندق ريجنت بارك يعج بالناس - بحشد من الرجال بالبذلات الرسمية، وبعدد قليل من السيدات بثياب رسمية، فقد كانت المناسبة حفلاً خاصاً بعالم الأعمال. وهي واحدة من المناسبات التي كان يجري الاحتفال بها، برأي باركر، لمجرد الاحتفال بها. آخر مرة جاء فيها إلى هنا كانت بمناسبة حفل خاص بالإبداع ضمن عالم الأعمال. هذه المرة، كان الحفل خاصاً برجال الأعمال - بالتالي كانت هناك فرصة ولو ضئيلة للاجتماع بكراوفورد ثانية. وهي فكرة لم يكن باركر يشعر إزاءها بالارتياح.

لقد انقلب الاجتماع الطارئ، الذي طلب عقده للاحتفال بالنكسة التي مُنِيَ بها كراوفورد، إلى كابوس. فقد أوضح كلٌّ من هاوس وبيث أن تلك الخطوة لم تكن تشكل مخرجاً بالنسبة لبايفيلد. وبينما كانا يشرحان وجهة نظرهما بصبر، وكأنهما يتحدثان إلى طفل، شعر بإحراج كبير نظراً لبارقة الأمل التي كان يمني بها نفسه والتي كانت تبعث على الإشفاق. ما كان يجب أن يرتكب تلك الغلطة، في المقام الأول. كما أن ارتكاب مثل تلك الغلطة أمام هاوس، جعل الأمر يبدو أكثر سوءاً - كان يحب بيث ستيوارت ويثق بها - لكن المدير غير التنفيذي، مع جميع مواهبه، لم يكن بالرجل الذي يوحي بالدفع والولاء.

كان قد عقد النية، بعد أن انفضَّ الاجتماع، على الاتصال بِنِكْ سبيلر لكي يعيد إلى نفسه الثقة بشأن الرغبة المستمرة في المقاومة، لكن مجرد فكرة رفع سماعة الهاتف وطلب الرقم كانت تمثل جهداً فوق استطاعته، ولعل مرد ذلك كان خوفه من رد فعل نِكْ. لقد أقتنع نفسه بأنه نظراً لعلاقات الولاء الدائم التي تربط بايفيلد، بكل أشكالها وتجلياتها، بمصرفيها، فلا بد إذاً من أن يبادلها مصرفيها هذا الولاء. يمكنه الركون إلى هذه الحقيقة، على الأقل، بقدر لا بأس به من الاطمئنان.

«جون كيف تسير أمورك؟...». كان ذلك تشيب كاربنتر، أحد العباقرة الصغار في ويماو، باترنوستر، وهو مصرف كراوفورد، لكن تشيب لم يكن ضالعا في عملية الاستيلاء.

«لا بأس، إذا أخذنا بعين الاعتبار ما يجري.

قال جون: «ما أخبار العائلة؟».

«جيدة. غادر ابني المنزل والتحق بالمدرسة».

«وهذا يتيح لك وقت فراغ أطول». أدرك باركر أنه وكاربنتر لم يكونا يشعران بالارتياح في حضرة بعضهما ولم يكن لديهما ما يتحدثان به. رغم ذلك، كان عليهما أن يقفا ويتبادلا الأحاديث المهذبة حول أي شيء إلى أن يُنهي اجتماعهما ويجد

الاستيلاء

أحدهما عذراً للانصراف. كان الأمر أشبه بحدوث وفاة في العائلة - واكتشاف أن الأصدقاء والمعارف لا يستطيعون التغلب على مشاعر الإحراج.

«لم تكن كيت متحمسة لمغادرته المنزل، قالت إن ست سنوات ليست بالعمر الكافي ولكن... بعد أن استقر في مدرسته، لم يبق لدينا سوى كورين لكي نقلق بشأنها».

مضى الحديث على هذا النحو، إلى أن انتهى كأسا النبيذ والويسكي، ثم رأى كارينتر شخصاً يجب أن يتحدث إليه، ودّعه باركر واتفق الرجلان على أن يلتقيا في وقت لاحق.

قدّم العشاء على مائدة مفتوحة، كانت الأصناف كالمعتاد، قرر باركر ألا يذهب إلى المائدة وأن يبقى جالساً. كان الأمر على ما يرام في تلك اللحظة. ولماذا يعود إلى المنزل لمواجهة نظرات هيذر الجامدة ومشاعر الألم في وجه كليز؟... لقد سامحته: فقد ذهب إليها قبل أن تخلد للنوم وشرح لها أنه حتى الآباء قد يصادفون، أحياناً، بعض المشاكل التي تدفعهم للشعور بالغضب عندما لا يقصدون ذلك. قالت كليز: «إذا فأنت تحب بول بصدق، أليس كذلك يا أبي؟...». قال: هو، بالطبع أحبه، إنه ابني، ولكن هناك أشياء قد تحدث أحياناً... قد يغضب الناس من بعضهم... و... هل كان يكذب على ابنته؟... كان من الصعب أن يفكر بذهن صاف في أي شيء كان. شعر وكأنه يريد فتح رأسه وإخراج دماغه وعصره كالإسفنجة، ثم تركه على صخرة ليجمد تحت أشعة الشمس حتى لا يتبقى فيه شيء على الإطلاق.

غلبه شعور رائع. أفضل مما شعر به منذ أسابيع. منذ أن بدأت كل تلك الأحداث اللعينة. قد يكون ديك وورثفتون على حق، عليه أن يعود إلى المنزل ليصالح هيذر. ما المانع؟... كانت هيذر امرأة عظيمة.

وشق طريقه بين جموع الحاضرين في طريقه إلى قاعة الفندق حيث كان النزلاء يصلون إلى الفندق ويغادرونه، وحيث كان الحمّالون ينقلون الحقائب: كانت الحياة تسير في مجراها الطبيعي. أخذ معطفه من حيث كان قد أودعه وذهب باتجاه الباب الدوار ثم خرج ليواجه النسيم البارد الذي جاء أشبه بضربة ملاكم.

شعر بدوار ولم يستطع التحكم بخطواته، التوى كاحله على حافة الرصيف. أمسكت يدُ بذراعه وجذبتَه إلى أن استعاد توازنه.

«جون كن حذراً وإلا ألحقت بنفسك الأذى».

كان كراوفورد يقف مبتسماً وقد ألقى بمعطفه فوق ذراعه.

قال باركر: «لا بأس أستطيع أن أتدبر أمري». لكنه شعر بأنه كان يتلعثم.

«لا شك بذلك. هل أستدعي لك سيارة أجرة».

رفع كراوفورد ذراعه واقتربت منهما سيارة أجرة. مد باركر يده لكنه لم يتمكن من الإمساك بقبضة الباب بشكل صحيح. خلع كراوفورد قفازه وفتح الباب كي يتمكن باركر من الدخول مترنحاً إلى عتمة السيارة. عندما انطلقت السيارة مبتعدة عن الفندق، سحب باركر نفساً عميقاً وفتح عينيه. لم يكن يشعر بدوار. حمّد الله.

دمدم وفتح عينيه-أدرك على الفور أنه لم يكن وحده. كان كراوفورد يجلس إلى جانبه، مسترخياً، شاردأً ببصره من فوق رأس السائق.

«ماذا تفعل هنا؟...».

«جئت لأطمئن على وصولك سالماً إلى البيت. أنت لا تريد طبعاً أن تضل الطريق».

«أنا قادر تماماً على الوصول إلى بيتي وعلى رؤية طريقي». قالها باركر وهو يشعر بالغضب من نفسه لأنه كان يتمم بكلمات غير مترابطة، وكأنه كان أعجز من أن يكبح جماح نفسه فأفرط في الشراب. ساوره شعور شبيه بالشعور الذي انتابه عصر ذلك اليوم في حضرة بريان هاوس. «أستطيع... أن أصل إلى بيتي».

الاستيلاء

لم يجب كراوفورد، بل جلس في مكانه وكأنه قد من صخر. قبض باركر على مسكة الباب ليتمكن من الجلوس بوضع مستقيم. كان الوضع يبعث على الجنون. فقد كان يشعر بأنه على ما يرام - بدت أفكاره واضحة تماماً لكنه كان أعجز من أن ينطق بكلمة. ماذا تظن بأنك فاعل؟... أيها السائق، أوقف هذه السيارة فوراً. لم تسعفه الكلمات رغم أن كل شيء حوله كان واضحاً تمام الوضوح. حتى الابتسامة الخفيفة التي كانت ترسم على جانبي فم كراوفورد.

بذل جهداً فائقاً وتمكن أخيراً من أن يسأل: «إلى أين نحن ذاهبون؟...».

استدار كراوفورد ونظر إليه كتمثال أصم، تمثال ضخيم ينطق بالوعيد، كانت أضواء السيارات وأنوار واجهات المحلات تنزلق بسرعة مجنونة على الزجاج خلف رأسه. أدار وجهه عن باركر، وبعد صمت طويل، دمدم قائلاً: «سوف ترى».

حاول باركر التعرف إلى معلّم ما كي يتمكن من تحديد الاتجاه الذي كانت تتطلق فيه السيارة، لكنه لم يستطع أن يعرف إن كانا قد وصلا إلى منطقة مجهولة بالنسبة له أو أن ذاكرته كانت تخونه، مثلما كانت بقية أعضاء جسمه. بدت الشوارع أكثر ظلمة وكان هناك جدار كبير يمتد بموازية الطريق الذي يسيران فيه، وصلت السيارة إلى منطقة ارتد فيها الجدار إلى الخلف قليلاً، حيث انعطفت وتوقفت، انحنى كراوفورد للأمام ودفع للسائق أجرته ثم فتح الباب الخلفي فانساب هواء الليل البارد إلى داخل السيارة. شعر باركر للحظة وكأنه استعاد السيطرة على أطرافه، انزلق من فوق المقعد الخلفي وخرج من السيارة ووقف على الرصيف. كانت هناك لافتة مضاءة بالنيون تبرز فوق رأسه، رفع رأسه وقرأ ما كان مكتوباً عليها: «كازنو».

«كازنو، ماذا يعني ذلك؟...».

«جون، إنها كازينو. حيث يبعثر الناس نقودهم. لا بد أنك تعرف ذلك». مرة أخرى، أمسك كراوفورد بذراعه وصعد به بضع درجات ليدخلا إلى ردهة أمامية قدرة تضيئها مصابيح صفراء طويلة من خلف زجاج يعلوه الغبار. «لا شك أنه ليس بمستوى

الأمكنة التي اعتدت التردد إليها، لكنه يصلح لتجريد أي شخص من نقوده. هيا، اخلع معطفك فالجو حار في الداخل».

فك باركر أضرار معطفه وسلّمه إلى سيدة عجوز ترتدي بزة رسمية رثة، وضعت السيدة المعطف فوق علاقة ثياب مصنوعة من سلكٍ مثني. أفلت كراوفورد ذراعه وسأله: «هل ستدخل معي؟...».

يجب أن يدير ظهره ويخرج حالاً، لا ضرورة لأخذ المعطف، بإمكانه أن يتركه هناك.

«هيا، إذا كنت تريد الفرار...». كانت الكلمات تنبض بالشماتة والخبث. هل تقوّه بها كراوفورد حقاً أم أنها كانت مجرد أصداء تضج داخل أفكار باركر؟... كلا، لم يسبق له في حياته أن فرّ من أي شيء. سحب نفساً عميقاً ثم التفت نحو كراوفورد. «إذاً جيم، هذا هو ناديك؟...».

كان باركر واثقاً من أن كراوفورد قد أخذ على حين غرة، لكن ذلك لم يدم سوى لحظة، ضحك بعدها وقال: «تعجبني فطنتك، نعم، هذا أحد النوادي التي أملكها، تفضل سأقدم لك كأساً». سار متجهاً نحو بابين دوارين، عبّر أحدهما وترك باركر وحيداً في الردهة. بدأت السيدة الواقفة في حجارة إيداع المعاطف تسعل سعالاً متقطعاً وهي تكاد تختنق بالبلغم، أطلق أحد المارة في الخارج شتيمة بذئنة بصوت عنيف، سار باركر نحو البابين الدوارين وعبّر أحدهما متجهاً للداخل.

كانت العتمة الشديدة تلف المكان، وكانت هناك طاولات بلياردو ومصابيح صفراء طويلة هذرة يبرز ضوءها بوضوح في العتمة الكثيبة. بدت تحت الأنوار طاولات البلاك جاك والروليت، وبار طويل اصطف على طوله كراسي عالية دون مساند كان معدّلمها فارغاً، وبضعة موائد تحف بها مقاعد طويلة مرتفعة الظهر في طرف الغرفة، جلس إليها أشخاص لا تبدو ملامحهم بوضوح، غمرت المكان رائحة السجاجيد الرطبة ودخان السجائر إضافة لذلك النوع من الهياج الذي كان باركر

الاستيلاء

يتخيل دائماً أنه يسمُّ الأشخاص المصابين بلوثة عقلية. لم يستطع باركر أن يفهم شيئاً، تبع كراوفورد إلى البار وتهالك على أحد الكراسي العالية ووضع مرفقيه على السطح الخشبي للبار. لم يستطع أن يفهم شيئاً ولكن، هناك أشياء كثيرة حالياً لا يستطيع فهمها.

عند طرف المنصة كان هناك جهاز تلفزيون يومض وهو معلق إلى الجدار بزاوية تدل على جنون مطبق، ظهرت في التلفزيون مباراة كرة قدم تجري في عاصفة ثلجية، أو لعل العاصفة كانت ناتجة عن عطل في الجهاز بينما تجري المباراة في جو مشمس.

أشار كراوفورد بإبهامه، من فوق كتفه، إلى جهاز التلفزيون، نظر كراوفورد ورأى بيت ستيوارت، وفهما يتحرك دون صوت وهي تحرك يديها وتبتسم لآلة التصوير، كانت الصورة شديدة الوضوح.

صب كراوفورد مزيداً من الشراب في كوب باركر وقال له: «جون، أنت محظوظ لوجودها في شركتك. آسف بشأن الصوت، أعتقد أنهم هنا لا يحبون الإصغاء إلى التلفزيون، إلا إذا كان البرنامج عن السباق. مع ذلك، أنا لا أشك بأنك واثق من أن بإمكانها الدفاع عن قضيتك».

«قضية؟... ليس هناك أية قضية وأنت تعرف ذلك جيداً. هذه مجرد لعبة، أليس كذلك؟... إنها لعبة سخيفة تلعبها أنت. تعتقد أن بإمكانك الفوز - جيم كراوفورد، قد تفوز، لكنك ستظل مجرد...».

أشاح كراوفورد بوجهه وأشار للفتاة التي غيّرت المحطة لتظهر ثانية مباراة كرة القدم والعاصفة الثلجية. «جون، تعال وراقبني وأنا أخسر بعض النقود. سوف تحب ذلك.

اتجه كراوفورد، دون أن يضيف كلمة، نحو كشك اكتست واجهته بالأسلاك حيث أدخل رزمة من الأوراق النقدية تحت الشبكة المعدنية وأخذ كومة من الفيش ذهب بها ليجلس على مقعد خال إلى إحدى طاولات الروليت. صب باركر لنفسه كأساً آخر وسار بخطوات مترنحة ووقف خلف كراوفورد الذي نظر إليه من فوق كتفه.

«ليس هناك ما يثير الخيال في هذا المكان، إنه مجرد مكان للعب القمار لا أكثر». دفع بالفيش فوق مربع أحمر. تبعه بعض المتحلقين حول الطاولة، راهن بعضهم على اللون الأحمر أو الأسود بدل الأرقام. قالت المشرفة على اللعب، وكانت شابة ترتدي ثوباً ضيقاً فضي اللون: «انتهى وقت المراهنة، سنبداً اللعبة». أدارت الدولاب لتسقط الكرة بعد توقف قصير.

نظر باركر حوله إلى الأشخاص الذين اختاروا التعامل مع مكان من هذا النوع. لم يكن في المكان ما يبهر الأنظار ولم يكن بين الزبائن من يبدو عليه الرقي. رجال ونساء في منتصف العمر، معظمهم من المدخنين ذوي البشرة الكالحة الخشنة، يرتدون ثياباً غطتها بقع النيكوتين القديمة. قد تكون الإنارة هي السبب في جعل بشرة ظاهر أيديهم تبدو شاحبة سقيمة وفي تحول لون كم سترته إلى لون لم يكن ليرتديه.

«أحمر ٢٤. سيداتي وسادتي، أحمر ٢٤.»

لم يبد أن هناك، بين الجالسين إلى الطاولة، من يلاحظ أو يكثرث. كانوا يجلسون تحت الضوء الأخضر المصفر وقد بهتت ألوان ثيابهم في العتمة الكثيبة، وأخذت وجوههم ترتعش كأنها بالونات بالية بدأت تفرغ من الغاز. خامر باركر شعور يبعث على الغثيان بأن جلودهم كانت جوفاء لا تحوي شيئاً، لا عظام ولا غضاريف ولا شيء مطلقاً، وبأنهم سوف ينكمشون بمرور الوقت وتغزوهم التجاعيد وسوف...

«نهض كراوفورد مبتسماً وقال: «خمس آلاف نقداً. جون، هل تقامر؟...»

«أنا لا أقامر. المقامرة تدل على حماقة. على حماقة شديدة.»

«لكنها، على الأقل، لا تتلف الكبد كالشراب الذي تتناوله». سحب الزجاجاة من يد باركر وأعادها إلى البار - اكتشف باركر فجأة أنهما كانا يقفان إلى جوار البار دون

أن يدرك كيف وصلا إلى هناك، مثلما عجز أتصاً عن إدراك كيف أصبح خارج القاعة، يترنح أمام شارع مزدحم بالسيارات. شعر بأن ساقيه قد امتلأتا بكل كمية غاز الهيليوم التي تم سحبها من بالونات الوجوه الرخوة في الداخل.

«تمهل، لا أريد أن أفقدك الآن. ليس بعد». قاده كراوفورد لدى عبور الشارع. كان من الصعب عليه الآن أن يتحكم بقدميه، فقد شعر بأنهما متورمتان إضافة لأنهما علقتا في شرك صفحات صحيفة قديمة. وقف على الرصيف المنصّف للشارع وتمسّك بالحاجز المعدني محاولاً أن يستجمع قواه. كان الفولاذ بارداً عندما لمسه براحتيه، وعندما جذب يديه بعيداً، شعر كأن إحداهما قد التصقت بالحاجز.

«هل وصلنا إلى المحطة؟... عليّ... عليّ أن أستقل القطار».

هزّه كراوفورد وقال: «جون، لقد أخطأت المحطة. إنها محطة كينغز كروس. لكنه مع ذلك مكان مثير. اتكئ هنا، أرح جسمك قليلاً».

دعك باركر وجهه الذي كان قد أُصيب بالخدر ليعيد إليه الإحساس، ثم رفع بصره ونظر إلى واجهة المحطة ذات الطراز الفيكتوري. جدار حجري ضخّم، كيف ظل قائماً بهذا الشكل؟.. التفت ليسأل كراوفورد لكن هذا الأخير كان يتحدث إلى رجل يرتدي سترة جلدية. افترقا بعد لحظة وعاد كراوفورد إلى جواره.

«هل شعرتَ بتحسّن؟... جيد، هناك شيء بانتظارك». جذبه ثانية، وجد باركر نفسه أمام ثغرة في الجدار، كانا يقفان في مدخل بناء قرب درج يضيئه مصباح خافت، كان الرجل ذو السترة الجلدية يقف هناك وبصحبتة فتاة شابة شاحبة اللون.

«اسمها تريسي. تريسي، ألقِ التحية على جون».

ابتسمت الفتاة. أدرك جون في تلك اللحظة أنه إذا كان لسكان الجحيم أن يبتسموا، فلا بد أن تكون ابتسامتهم بهذا الشكل. قالت بلكنة صبيانية: «مرحباً جون».

«اغربي عن وجهي». حاول دفعها بعيداً بذراعه. اندفع الرجل ذو السترة الجلدية ووقف بينهما ثم أحاط عنق باركر بذراعه ودمدم بغضب بكلمات لم يستطع باركر فهمها. أحس بأنه قد دُفِع إلى الجدار وأن رأسه قد ارتطم بالجص وصدر عنه صوت حاد سمعه بوضوح. لكنه لم يشعر بأنه قد أصيب بأذى كبير - كان يشعر فقط بخوف بالغ. امتلأ فمه باللعب وأدرك أنه لا يمكن لأحد أن ينقذه سوى كراوفورد وأن هذا هو سبب مجيئهما إلى هذا المكان.

«أرجوك...»

«إليك نقودك». برزت رزمة أخرى من الأوراق النقدية. أفلت هذا باركر الذي انزلق ووقع على الدرج.

«هذا مبلغ كاف، خذه وانصرف. خذها معك هي الأخرى».

رفع باركر نظره إلى كراوفورد. كان نور المصباح الآتي عبر الغبار يضيء بشئوم فوق رأسه.

«هيا، دعنا نغادر هذا المكان. هؤلاء الأشخاص...».

وجد باركر نفسه ثانية داخل سيارة أجرة. كان يشعر بألم في يده، نظر إليها، كانت هناك مادة دبقة تغطي أصابعه. حاول إزالتها بمسح يده بالمقعد.

تمتم قائلاً: «يدي».

لم يبد على كراوفورد أنه سمعه. قال له: «جون، إذاً فأنت لا تميل إلى النساء».

«ليس لتلك... المرعبة. لماذا؟...» غمره الحزن، شعر بالتقزز من نفسه. حاول أن يقول: أيها الوغد، لكن الكلمات راوغت لسانه المتناقل، شأنها شأن بقع النور الصغيرة التي كانت تتقافز داخل السيارة وتضيء جنباتها.

صرخ كراوفورد بالسائق بكلمات ما، فتوقفت السيارة. انتقلت النقود، مرة أخرى، من يد لأخرى. فكَّر باركر، لقد بُذِلت كثير من النقود هذه الليلة، وجد نفسه على الرصيف، ومَضَتْ غمامة صغيرة من الكلمات المضيئة وعبرت ذهنه لتبتلعها جلبة

الضوضاء والأضواء والألوان التي كانت تضج داخل رأسه. أغلق عينيه، لكنها كانت ما تزال هناك-الفوضى، العويل، نَتَفَ من الموسيقى، خط إنتاج هائل.

«جون، قد يعجبك هذا أكثر. هل تحب الألعاب؟...».

حاول باركر أن يصفي لكن الكلمات كانت تتساقط داخل قمع طويل ثم ترتد إلى وجهه «ألعاب... أنت تلعب... وتجد وسيلة للهرب... دائماً».

«ما...». حاول أن يسير إلى الأمام لكنه وجد نفسه متكئاً على لوح زجاجي لم يمكنه من حفظ توازنه. كانت وجنته ملتصقة بالنافذة، وكان بإمكانه رؤية ما يجري في الداخل. أين كان كراوفورد؟... لم يعد ذلك مهماً الآن. فقد كان هو على ما يرام، معزولاً عن كل شيء، لا يمكن أن يصل إليه شيء. بل إنه ضحك ودفع بنفسه للأعلى محاولاً الوقوف ثم دلف إلى الداخل ماشياً على ساقيه المملوءتين بالهليوم. حاول أن يُخرج نقوداً من جيبه لكن شعر بأن أصابعه قد انتفخت وأصبحت أشبه بالبالونات الصغيرة.

«هل أنت على ما يرام؟...».

جاء الصوت هادئاً حاداً.... أحس بماء بارد ينسكب فوق رأسه.

«أعتقد ذلك، لقد أفرطت بالشراب قليلاً ، هذا كل شيء».

«طبعاً». كان فتى أشقر الشعر، وكان هناك مشبك فضي مغروز في حاجبه.

مد باركر أصابعه الثخينة المنتفخة، ولحظة لمست المشبك عادت فتقلصت إلى حجمها الطبيعي. ابتسم الفتى ودبت الحياة في وجهه فبدا جميلاً مؤثراً حتى إن باركر اضطر للابتعاد عنه وكأن ملاكاً قد تجلى فجأة هنا في رواق مَحالّ الألعاب. وجد باركر نفسه يبادلُه الابتسام.

قال الفتى: «اسمي كيفن».

قال باركر: «اسمي جون، كيفن، لقد سررت بمقابلتك».

مد يده صافحه الفتى وقال له: «هل تود الذهاب إلى مكان ما؟...».

ظهر كراوفورد ثانية، أخذ بذراعه وجذبه بعيداً قائلاً للفتى: «إنه معي، اغرب عن وجهي».

«لا... رجاء... أنا أريد... أريد فقط أن أكون بصحبة أحد».

«كدنا نصل تقريباً». هزّه من ذراعه ثانية... كانا قد أصبحا في مكان آخر، لكن الظلمة كانت تغمر كل شيء كما فاحت رائحة القمامة.

«لماذا قمت ب... لقد كان...».

«أيها العجوز، لقد كان فتياً جداً...».

«لم أقصد ذلك، لم يخطر أبداً...». تخيل كبير وهي تصدّه يوم كان يعنّف بول. بدا وكأن نوراً انطفأ داخله - وظل مطلقاً منذ ذلك الحين. نور... ثم وجد نفسه في مواجهة كتلة مظلمة وشعر بشيء صلب يلامس وجنته. ما أجمل أن ينعم بالسكون أخيراً.

«لماذا... أين...؟...».

استدار... كان يستدير. يدان. وجه. والسماء. سماء ليلية. عناقيد مضيئة. مجموعات النجوم.

قال: «أوريون».

نظر إليه أوريون وسأله: «أليس هناك عتمة داخلك؟...».

«عتمة؟...».

قال أوريون: «جون، عمتّ مساء».

أعتقد أن بإمكاننا القول، بكل ثقة: إن عالم الأعمال، بشكله الراهن في البلاد، يجب أن يتمتع، دون شك، بإمكانية لا يحدها شيء لتنمية مصالحه وتحقيق

أهدافه المشتركة دون أن تعكّر صفوه، كما كان عليه الحال، محاولات الإصلاح الخرقاء التي تقوم بها الجهات الحكومية دون داع، أو المقاضاة غير المسؤولة من قبل مؤسسة القضاء، أو القلق الوجودي القائم على التهديد بالإقصاء من المجال المشترك الذي يمارس المرء مواهبه ضمنه، أو لنقل: إنه يكسب رزقه فيه. ولكن، علينا ألا ننسى أننا نعمل في عالم لا يمكن وصفه بالأنانية بأي حال من الأحوال، وأن حريتنا المنشودة، بحد ذاتها، تقوم على المسؤولية. وكما كان يمكن لكيركفارد أن يقول: لو أُتيح لحياة ذلك الدانمركي الكئيب أن تأخذ مساراً آخر، إن نقاء السريرة ضمن عالم الأعمال يعني قبول أمر واحد: وهو أننا لا نعمل لأنفسنا، لكننا نكدح من أجل المساهمين، وسوف يُطلب منا، دون أي شك، تقديم بيان بما قمنا به من أعمال، كما سيجري، في ذلك اليوم، الحكم علينا من قبل مجلس الإدارة. وإذا ثبت افتقارنا للكفاءة، فسوف نواجه الطرد.

كافين كلوني، قانون الشراكة ١٩٩٢



الجزء الثالث

السد



obeikandi.com

اليوم + ٢٤

الخميس ٢٥ نوفمبر ٢٠٢٥

القبو ، ٧٧ كيل ستريت ، فيكتوريا ، لندن

أدخل هيو القابس الكهربائي في المأخذ وملأ الحوض بالماء الساخن. بينما هو يستحم، دخلت سيليا إلى الحمام وبدأت حمامها تحت رذاذ الدش.

غمغمت وهي تخلع ثوب الاستحمام وتدلف تحت رذاذ الماء الساخن: «متى عدت؟...».

«الثانية والنصف تقريباً. كنا نُنهي برنامج الأسبوع القادم، كان عملاً مستعجلاً».

«لم تبدأ إذاً بسيرة حياة كراوفورد؟...».

«بدأنا بها لكن أنجيلا كانت تريد إعداد مقالة عن شراء الأسهم عبر الإنترنت.

فكرة تسحر الألباب، أن يجري تغيير شكل سوق الأوراق المالية بالكامل. أصحاب ملايين بين عشية وضحاها....».

«بلى، ولكن، ألم يكن ذلك الرجل الذي فقد صوابه وقتل عدة أشخاص في أميركا

يعمل في أحد مجالات التجارة الخاصة؟...».

جفف هيو أذنيه بالمنشفة وبرقت في ذهنه ذكرى والدته وهي تحتضنه بجانب

حوض الاستحمام وتجفف أذنيه. تملكته رعدة. «الناس تخسر وتريح. كنت أتساءل

عما إذا كانت التجارة التي يقوم بها الهواة قد تؤثر بصورة ما على قضية كراوفورد».

«ربما» جاء صوتها من خلال سحب البخار والماء خلف ستارة الدش شبه

الشفافة. «تعرف طبعاً أن بيت ستيوارت سوف تظهر في برنامج الأسهم في القناة

الرابعة لترى إن كان بإمكانها القيام بشيءٍ ما نافع، لتدير أمر أي دعم لباركر».

«ستظهر في التلفزيون؟...».

ساد الصمت للحظة، سكت صوت الماء وبرزت سيليا وقد اصطبغت بلون وردي شهي، كانت أشبه بفينوس وهي تخرج من بين الأمواج. «أعتقد أن بيت ستيوارت تقوم حالياً بلعبة مختلفة. ولذلك، لن يؤدي ظهورها إلى إحداث أي فرق، وخاصة إذا كان كراوفورد مصمماً على الماضي في الأمر قديماً». لفت بشكيراً حول رأسها بشكل عمامة عالية بتلك الطريقة التي لا تتقنها سوى النساء ثم لفت جسمها بمنشفة واتجهت نحو غرفة النوم.

تبعها هيو، بعد أن نظف أسنانه وحلق ذقنه. كانت سيليا قد انتهت من وضع زينتها وكانت تجذب تنورتها للأعلى لارتدائها. لم تكن من النوع الذي يحب إضاعة الوقت. سألتها: «ما هي خططك لهذا اليوم - هل سنلتقي لاحقاً؟...».

«لا أدري، سأذهب إلى ريدنج...».

«حقاً، هل لذلك أية علاقة بكراوفورد؟...». توقفت أصابعها على خطاف حزام التنورة، ثار فضولها.

«نعم، لقد عاود ذلك المدعو بورتون الاتصال بي. إنه الشخص الذي كان يعرف كراوفورد في أيامه الخوالي. دعاني لزيارته، فكرت، ما المانع، لماذا لا أقوم بمحاولة؟...».

«فعلاً، ما المانع؟...». شبكت الخطاف، مسدت بيدها قمماش التنورة حول وركيها وفخذيها وتناولت بلوزة من العلّاقة. «لكن لا بد أن أخبرك بأن كراوفورد كان يتصرف بغرابة خلال اليومين الماضيين. أعتقد أن هناك شيئاً ما قد حدث».

«شيئاً ما قد حدث؟... ما معنى ذلك - أي شيء - لا شيء؟...».

«يبدو مرتبكاً كما لم أره من قبل. هناك احتمال ألا يكون هناك أي شيء. عليّ أن أذهب، على أية حال، أوين بوز سوف يقابل القرصان العجوز اليوم ولا بد أنه يريد مناقشة الأمر. إنهما يستعجلان وضع وثيقة عرض نهائية. اتصل بي هاتفياً إذا كنت ستأخر».

«قد أقضي الليل هناك، هذا يتوقف على الوضع هناك».

«إذاً استمتع بوقتك وكن فتىً طيباً، أو لا تكن كذلك».

قبَّلته واتجهت بسرعة إلى الصالة حيث تناولت معطفها، ثم توقفت برهة وعادت إلى غرفة النوم.

«يبدو كأنه يشعر بالانزعاج إزاء أمر ما. هذا ما يبدو عليه الأمر - وكأنه نادم على أمر ما، لكنني لا أعتقد أن جيم كراوفورد قد شعر في حياته بالندم لقيامه بأمر ما».

نظر هيو إليها، أسند ساقه اليمنى على ركبته اليسرى ثم قال: «قد أكتشف سبب ذلك».

ويماوث، باترنوستر، مركز المدينة التجاري، ١١,٠٠

«أوين، كيف تجري الأمور؟...».

«نحن نحاول وضع شكل نهائي للوثيقة، لقد عملنا طوال الليل لإنجازها».

«لقد حُيِّل لي أن مظهرك يدل على فتى محنك»

«لكنني مجرد فتى لا أكثر. إضافة لأنني لا أزال غير مقتنع تماماً بخصوص حجم العرض الجديد».

عاد كراوفورد إلى كرسيه وهو يشعر بالأسى لأن بوز كان بادي الانشغال إلى الحد الذي جعله لا يفكر في طلب قهوة له، كان بحاجة إلى شيء يبدد مشاعر عسر الهضم الأخلاقي التي لم يستطع منها فكاكاً منذ الأمسية التي قضاهما مع جون باركر كما وصفها في سرِّه. لم يكن مرد ذلك أنه كان يشعر بالذنب - فقد كانوا جميعاً يلعبون على الطاولة الرئيسة، وكما قالت أندريا ذات مرة، إذا كان قد تم التلاعب بالأوراق، فإنها تكون بهذا الشكل بالنسبة لجميع اللاعبين. لقد كان الأمر يتعلق أكثر بشعوره بأن ما حدث لم يحظ بما يستحق من وسائل الإعلام.

الاستيلاء

«أنت ترى أنه لا حاجة بنا لعرض هذا المبلغ فوق سعر السهم في السوق؟...».

«برأيي أن بإمكانك الحصول على الأسهم بثمن أقل. المسار الذي تأخذه أسهمهم... أعتقد أن بعض المستثمرين قد توجه انتباههم إلى ربح محتمل. لا يحتاج الأمر سوى إلى كرة من الثلج لبدء الانهيار الثلجي الكبير».

«أوين، هل خرجت بهذه النتيجة بنفسك أم أنها أحد قوانين المصارف الاستثمارية؟...».

«لقد خرجت بها بنفسي. ولكن لا شك أنك تدرك ما أعنيه: يمكن لأيوت أن تُحكم السيطرة بنسبة تتراوح ما بين ٩٠ و ٤٥ بالمائة من حقوق المساهمين. وما أن يشعر المساهمون بالأرض تتزلق تحت أقدامهم، حتى ينتابهم الهلع خوف أن يتأخروا في توقيع استمارة الموافقة وإرسالها، وخوف أنك لن تكون بحاجة لشراء حصصهم. كلما رجحت الكفة باتجاه أيوت، تعاظمت سرعة البيع. هذه نبوءة تحقق ذاتها بذاتها».

قال كراوفورد: «أدرك كل ذلك. لكنني أدرك أيضاً أن السوق متقلبة حالياً وأن المرء لا يستطيع أن يتكهن بدقة كيف ستقفز الأسعار. منذ سنوات، أي عندما كنت بائعاً، كان شعاري: تقدّم خطوة تسبق فيها الشخص الآخر كي تكون واثقاً من إبرام الصفقة. هذا ما أفعله الآن. ليس في الأمر خسارة على كل حال».

«جيم، إنها خسارة. إذا دفعت أكثر مما يتوجب عليك دفعه - فإن ذلك يمثل مალًا بوسعك إنفاقه على شيء آخر».

«أوين، لا أريد شيئاً آخر. أريد بايفيلد، وأريدها بسرعة».

قال بويز: «هل تعتقد بأن رأيك قد يكون أكثر صواباً من رأيي؟...».

ابتسم كراوفورد وقال: «سمّه غريزة إن شئت. دعنا نطرح العرض الجديد. أريد أن يتم إعلان العرض قبل يوم الإثنين ٢٩ نوفمبر، وأريد الحصول على الموافقة غير المشروطة عليه خلال أقصر وقت ممكن».

راجع بوبز مفكرته. «أربعة عشر يوماً، أي الثالث عشر من ديسمبر».

«سأوصي إذاً بالطعام من أجل تلك الأمسية. في رصيف بتلر، الساعة الثامنة تماماً. أتوقع حضورك».

وقف بوبز وفتح الباب لكرافورد قائلاً: «جيم، ثقتك بنفسك تبعث فيّ الرهبة أحياناً. كل ما أمل ألا يكون ذلك إفراطاً في الثقة بالنفس».

«أوين، لا تأمل، كن واثقاً من ذلك. هذا ما يجعلني أدفع لك راتبك. والآن، هل تستطيع أن تخرجني من هذه القلعة؟...».

مشروع ريفر سايد تاون هاوسنغ ، ميدنهيد ، بيركس ، ٣٠: ١٢

كان الموقع عبارة عن نهر طيني تتوزع فيه أساسات خرسانية بيضاء بارزة تعلوها الأوساخ، اكتسى عدد منها ببعض اللبّات. وقف جون باركر عند البوابة، تحت اللوحة الكبيرة التي تظهر شكل المشروع بعد أن ينتهي في العام التالي. أقرّ في سره أن المشروع يبدو لا بأس به - لا شك بأن البيوت كانت صغيرة، لكن البيوت الحديثة كانت بهذا الشكل كما أن النهر لم يكن بمحاذاتها تماماً. لم يكن بالنهر الغزير - لكنه كان نهراً، ولا بد أن مشروع ريفر سايد سيتحول، بعد تحسين المنطقة وتزيينها بالمزروعات، إلى مكان بهيج للعيش، ببيوته التي تضم ثلاث أو أربع غرف نوم والمخصصة لصغار المهنيين الساعين لتكوين أُسر. أو هذا ما يقوله الكتيّب الخاص بالمشروع، ولا بد له من حمل ذلك القول على محمل اليقين بما أنه، على الأغلب، لن يكون موجوداً عندما يتم تدشين المشروع.

جر قدميه متثاقلاً عبر البوابة ودخل إلى الموقع. فاحت رائحة المجاريير الواخزة - كان العمل يجري على المجرور العام، قد يكون ذلك هو السبب، أو ربما لم تكن أية رائحة بل إنه كان تحت تأثير هذيانٍ مصدره حاسة الشم لديه.

الاستيلاء

لم يكن الهذيان هو ما يؤرقه، بل الهواجس التي تتملكه. فقد كانت ذكرى الليلة الفائتة تمر في ذهنه دون ترابط - كانت هناك ومضات، لحظات لم تكفَّ عن معاودته: الوجوه المنكبّة فوق طاولة الروليت، سلّم الدرج والرجل الذي كان يمد يده للإمساك به. تفحص جسمه في ما بعد، لم تكن هناك كدمات على رقبته، وكان عليه أن يسأّل نفسه إن كان ذلك قد حصل فعلاً؟... هل ذهباً حقاً إلى حي سوهو، وهل رأى حقاً ذلك الفتى... كيفين... الذي ظل وجهه يلامس حواف وعيه منذ تلك اللحظة؟...

فيما بعد- أفاق على ألم ضربات تقرع داخل رأسه بعنف، وجد نفسه في زقاق لم ير فيه سوى الأبواب الخلفية المغلقة للأندية والمطاعم. تعثر ووقع فوق حاوية مليئة بنفايات سائلة تسربت لتبلل بنطاله. ثم تذكر أنه سار وعثر على سيارة أجرة صغيرة. كان يدرك أنه دفع مبلغاً باهظاً ليعود إلى المكتب في غولدين هوك ميوز، حيث كانت أديل ماكدونالد تهم بمغادرة المكان بعد أن قامت بدفع أجور فريق التنظيف.

نظرت إليه وقد منعها نبل طباعها من التفوه بكلمة، أدخلته إلى المبنى وقادته إلى الحمام حيث ساعدته على تنظيف نفسه ثم صعدت به الدرج إلى غرفة مكتبه حيث أسلمته للنوم على الأريكة. عندما استيقظ في الساعة صباحاً، كانت بذلته موضوعة على علاقة، نظيفة ومكوية. كما كان هناك قميص جديد ما يزال مطوياً ومغلّفاً. لم يعرف كيف أمكنها القيام بذلك، لكنه عندما اتصل بها في وقت لاحق من ذلك اليوم، لم تقل سوى أن على الأصدقاء القدامى مساعدة بعضهم وسألته إن كان قد اتصل بزوجه ليطمئنّها على نفسه.

كان قد اتصل بهيدر، كان ذلك أول شيء فعله، لكن جوابها كان بارداً متحفظاً، كما كان تبريره فاتراً. لم يبد أيّ منهما وكأنه يتمتع بالطاقة الكافية للاكتراث بما جرى.

«سيد باركر، كيف حالك؟...».

اقترب منه رجل في مثل سنه يرتدي سترة عمل وبنطالاً سميكين وحذاءً طويل الساق مع جوارب مثنية عند أعلى الحذاء، كان وجهه منهكاً تعلوه التجاعيد. دنا من باركر وهو يخب عبر المسالك الفارقة في الوحل. مد يده فصافحه باركر.

«بيلي، كيف حالك، لم أرك منذ مدة طويلة».

«لقد انقضى ما يقرب من خمسة عشر عاماً على آخر زيارة لك للموقع». كان بيللي غريفي عاملاً عادياً من الرعيل القديم - كان يحترم من يعمل تحت إمرتهم ويتوقع منهم أن يبادلوه الاحترام. كان قد بدأ حياته عاملاً وانتهى به الأمر ليصبح مديراً للموقع، وقد بدأ العمل مع باركر منذ أن تم ضم شركة البناء إلى الشركة الأصلية. كان باركر آنذاك، غالباً ما يجد الوقت الكافي لزيارة المواقع ليقابل بالترحاب من بيللي. سوف يتحول هو أيضاً ليصبح جزءاً من ماضي باركر.

قال باركر: «يبدو أن العمل يسير على ما يرام». وأشار إلى اللبّات والعربات التي كانت تُنقل بها على ألواح السقالات.

«إنه يسير كما يجب. الموقع صغير ورائع، سيصبح جميلاً كالأحلام. لقد قيل لي في المكتب: إن ثلاثة أرباع الشقق قد جرى بيعها على المخطط. لا بد أن تُباع باقي الشقق، أو معظمها، قبل أن ينتهي المشروع».

شعر باركر بموجة عارمة من الغضب. إنها شركة جيدة، والعاملون فيها يقومون بواجبهم وينفذون المطلوب منهم، إنها لا تستحق أن تُباع إلى شخص مثل كراوفورد. «لقد خطر لي أن أُمّر لبعض الوقت. إذا كنت قد قرأت أخباراً ما في الصحف...».

«لا شك بأنني اطلعت على أخبار من هذا النوع، لقد اتصل بي توم إريكسون هاتفياً. قال لي إن وضعي لن يتأثر مهما حصل وإن قسم البناء سيستمر».

كان تيم أيضاً من أفراد الرعيل القديم، منذ أيام شركة البناء، وكان لا يزال يجد متعة في زيارة الموقع وتلطّيح حدائه بالطين. «بيلي، إنه على حق، لن يتأثر وضعك». وماذا بشأنك يا سيدي؟...».

هز باركر كتفيه وهو يقول: «مهما يكن الأمر، أعتقد أن الوقت قد حان لتقاعد».

ضحك بيلى وقال: «نحن في سن واحدة. دعني أقل لك شيئاً، إذا حدث و احتجتَ للعمل، تعال لمقابلتي. إن فتى قوي البنية مثلك يصلح لحمل عربات لبنات البناء».

نظر باركر إلى شاب يحمل عربة مملوءة باللبنات ويرقى بها سلماً ثم يسير على امتداد لوح خشبي ضيق يبعث الهلع في النفس دون أن تزل خطاه.

هز رأسه وقال: «بيلى، يراودني شعور بأنني لا أصلح لذلك».

دار كراوفورد ، أوستون رود ، لندن ١٤ : ٠٠

الاستمارة ج ١٢٣: مذكرة زيادة في الرأسمال الاسمي. إلى سجلات الشركة. يتقدم أيوت بمذكرة طبقاً للبند ١٢٣ من القانون المبين أعلاه...

«ادخل». وضع مارك الاستمارة جانباً ووقف لدى دخول دايان إلروي إلى مكتبه. كانت متوردة الوجه قليلاً - كانت تلك أول مرة يراها فيها مارك بهذا الشكل. «هل...». توقف فجأة عن الكلام - ماذا كان ينوي أن يقول: «لماذا أنت متوردة الوجه؟... رجاء!...».

سحبت دايان كرسيّاً وجلست إلى المكتب في مواجهته. وضعت مصنفاً إلى جانب الاستمارة التي كان يعمل بها.

«مارك، كنت ترغب بالحصول على هذا، أليس كذلك؟...».

«لم يكن هناك ثمة داع للعجلة. شكراً». وضع الأرقام جانباً لكن دايان لم تنهض من مجلسها وتغادر المكان، بل انحنت أكثر فوق المكتب كاشفةً عن صدرها بحركة مثيرة «مارك، الواقع أنك كنتَ ترغب بالحصول على هذا، أليس كذلك؟...» قالت: «سأقابل كافين كلوني هذا المساء. لقد اتصلتُ به صباحاً وأقترح أن نلتقي في مطعم ميتسوكوتشي في الساعة الثامنة، أود أن تكونَ هناك».

هذا هو السبب إذاً، كانت متوردة الوجه جرّاء اتخاذها الخطوة الأولى في عملية خيانة كراوفورد، أم أن السبب هو قيامها بدعوته إلى العشاء؟... تقتضي الأصول أن يقوم هو بدعوته، لكن هذا الترتيب سيتيح أن يواتيه الحظ مرتين، أن يخرج مع دايان لمرتين، كان ذلك أكثر مما يأمل به.

«الفكرة رائعة. ولكن ما الذي دفعك فعلاً... لا أدري ماذا أقول...».

«ليس ثمة سبب يحول دون قيامي باستشارة مدير غير تنفيذي. مارك، إنهم موجودون في الشركة لهذا السبب».

«حتى عندما يتعلق الأمر بالتخطيط لانقلاب في مجلس الإدارة؟...».

«وهل هذا ما نقوم به؟...».

مد مارك يده إلى الدرج الأسفل من طاولته وسحب منه نسخة عن الاستمارة ب ٢٨٨/استقالة مدير أو سكرتير الشركة. قدمها لدايان.

«إذا فشلت مساعينا فلا تتوقعي منه إبداء الرحمة».

«مارك، لا عليك. إنه محارب وهو يتوقع أن يحاربه الآخرون. وفضلاً عن ذلك، عليك أن تُصغي إلى ما يُقال عن العرض النهائي».

كان مارك، شأنه شأن الآخرين، قد اطلع على الوثيقة.

«هل تعتقدين أن في الأمر تهوراً ما؟...».

«نعم، يبدو أن المسألة قد تحولت إلى حملة صليبية شخصية، ولكن دون مدينة القدس».

«عفواً؟...».

«مارك، الأمر لا يستحق كل هذا العناء. هذا لا يخدم المساهمين ولا يفيد بشيء في تطوير الشركة على المدى الطويل... بالإضافة إلى أن عليه أن يتتحى، نحن جميعاً ندرك ذلك. إذا ظل في مكانه، فسوف نرى أنفسنا متورطين في المزيد من المغامرات التي سرعان ما تتكشف إحداها عن كارثة. وعندها فقط سنقوم بملء تلك الاستثمارات...». دفعت بالاستمارة إلى الخلف عبر الطاولة، «والآن لنعدّ للواقع. مارك، هل ستأتي، هل ستشارك أم تتسحب؟...».

لم يكن هناك سؤال فعلي. «دايان، سأشارك بالتأكيد».

الاستيلاء

تتفستُ الصعداء وقالت: «عظيم. مارك، لقد كنت أشعر دائماً بأن أموراً كثيرة تجمع بيننا، لكنني لم أرغب في أن أحمل ذلك على محمل اليقين. أنا أعرف أنك رب أسرة».

مانجيت والطفلان... نعم لقد كان رب عائلة لكنها موضوعة في الميزان مقابل دايان... وماذا يعني ذلك... «موضوعة في الميزان مقابل دايان؟...».

قال مازحاً: «أنا لا أعدو أن أكون سكرتير الشركة».

قالت: «لن يشكّل ذلك أي فرق في ما لو تسرب إلى كراوفورد بصيص من الضوء بخصوص ما نقوم به. لا شك بأنه يحترم الإنسان المحارب - لكنه يؤمن أيضاً بمبدأ الاستجابة بالضربة الأولى».

«أعتقد أننا لا نفكر بمناقشة إيقاف عملية الاستيلاء، أليس كذلك؟...».

«إلا إذا كان المسؤولون في بايفيلد يضمرون شيئاً مثيراً سيقومون بإعلانه في الوقت المناسب - ولا أعتقد ذلك. إضافة إلى حقيقة أنه رغم جميع تلك المزايدات، قد يكون بإمكاننا الآن إحكام قبضتنا عليهم. وسوف يفيدنا ذلك على المدى الطويل كما سيقوّي مجال عملنا الأساسي. أنا لا أشعر بالقلق حيال الحاضر - بل حيال المستقبل. سأقابلك في المطعم الساعة الثامنة إلا عشر دقائق. هل تعرف مكان المطعم؟...».

«سوف أجده».

ذا أولد فورج ، بانغبورن ، بيركس ، ١٤ : ٤٥

لم يكن هيو ميد، كما سبق له وأخبر بيث ستيوارت، من عشاق الريف في أفضل أوقاته - فكيف بالريف في يوم ماطر قارس البرد من أيام نوفمبر. ورغم جهاز التدفئة داخل السيارة وموسيقى فيفالدي التي تصدح من مكبرات الصوت، أحس هيو بنفسه يرتجف من البرد لرؤية تلك المنطقة الريفية المخضلة بالماء والأشجار العالية والأعشاب التي كانت تنمو على امتداد الأسيجة وقد تقصفت بفعل هبوب الرياح. هذا لا يعني أن المرء لا يصادف في المدينة رياحاً أو أمطاراً أو سماء مكفهرة، لكنه لا بد أن يجد في المدينة مكاناً يلوذ به لتناول فنجان من القهوة أو لمشاهدة فيلم سينمائي.

غير أن هيو لم يأت بهدف التسلية، بل بهدف العمل. فقد قضى فترة الصباح منكباً على سجلات المايكروفيش في دار ريدنغ أرغوس يراجع ما يتعلق بالسنوات التي كان فيها كراوفورد شخصية معروفة في البلدة. لقد كان عملاً دقيقاً مزعجاً إضافة إلى أن هيو لم يكن بارعاً باستعمال الآلات، لكن صبره أثمر في نهاية المطاف.

لاحظ وجود اللافتة، التي كادت تخفيها أغصان السياج المتدلية، انحرف عن طرق بانغبورن - أوكسفورد وسار في زقاق متعرج قاده بعيداً عن البلدة باتجاه نهر التيمز، الذي كان يمضي متعرجاً عبر المروج المغمورة بالماء في قعر الوادي. أبصر لوحة أخرى أكثر خراباً من الأولى، تغطيها الأشنة، وجّهته للسير على امتداد درب شقته عجالات العربات إلى حيث كان أولد فورج، الذي تبين أنه عبارة عن كوخ حجري تحيط به أبنية خارجية تابعة له على ضفة النهر.

خرج لملاقاته رجل كهل يرتدي بنطالاً من المخمل القطني، خطر لهيو أن البنطال قد يعود إلى السنوات الأولى التي شاع فيها هذا النوع من القماش - وسترة صوفية رمادية واسعة فوق قميص، يعتمر قبعة مسطحة استقرت فوق رأسه بإهمال. لوح الرجل بعضاً أشار بها نحو زاوية في الساحة لم تكن مغمورة بالماء تماماً كباقي الزوايا. أوقف هيو سيارته هناك.

قال العجوز: «لن تغوص هناك، لن تغوص كثيراً على الأقل».

نظر هيو إلى المرج المعشوشب اللين تحت قدميه وسأل الرجل: «ماذا تفعلون وقت الفيضان؟...».

أجاب الرجل: «نسيح!...». ثم مد يده معرّفاً بنفسه: «هاري بورتون».

«هيو ميد، يسرني لقاءك».

«لقد استمعت إلى بعض الفقرات الإذاعية التي قمت بإعدادها، كما قرأت بعض مقالاتك، أنت إذاً مهتم بجيم كراوفورد. لا بأس». غمز بعينه وتابع: «لا بأس - بتلك المديرية الشابة، التي أجريت معها مقابلة. لم أكن لأفرض عملاً كهذا. تفضل».

الاستيلاء

تبع هيو الرجل إلى داخل الكوخ، حيث كانت كتلة كبيرة من الحطب تتقد في المدفأة. كان الكوخ مؤثلاً بمقاعد كبيرة مريحة ذات مساند وبرفوف خشبية مليئة بالكتب، تمتد من الأرض وحتى السقف، وقد حُمِلَتْ فوق طاقتها بكتب تحمل عناوين تبعث الحيرة في النفس. ولو خطر لهيو، على أساس العناوين القليلة التي وقعت عيناه عليها، أن يتكهن بالموضوعات التي لم يكن بورتون مهتماً فيها، لأشكّل عليه الأمر. أما المساحات الفارغة المتبقية، في الصالة أو صعوداً على السلم إلى حيث يمكنه الرؤية أو في غرفة الجلوس أو المطبخ، فكانت مغطاة بإطارات تحوي الصفحات الأولى من أرغوس.

قال بورتون، وقد لاحظ الاهتمام الذي بدا على هيو: «نادرًا ما يقوم أحد بزيارتي. إنه الغرور فحسب، لكنه غرور لا يؤدي. أنظر إلى هذه». وأشار إلى صفحة مصغرة تحمل عنوان: العودة إلى الوطن من إسبانيا: متطوعو يوركشاير يعودون من الحرب الإسبانية». كان ذلك في الأسبوع الذي التحقت فيه بالصحيفة للعمل كموزّع للصحف وكنت في الخامسة عشرة من العمر».

«هل كنت هناك؟...».

«لقد خضتُ كل شيء باستثناء الحرب. كان بإمكانني أن أبدل عملي فقد تلقيت عروضاً كثيرة. كانت صحيفة الإكسبريس تريد مني أن أعمل لديها، لكنني لم أستطع مغادرة المكان الذي اعتدت عليه. أعتقد أن مرد ذلك هو الافتقار للطموح. لو حدث ذلك في وقتنا الحالي، لطرّدوك من العمل». ملأ الغليون بالتبغ ثم تابع: «كانت الأمور في أيامي مختلفة عنها الآن».

«كنتم تعتبرون صحفيين مهما كان نوع عملكم. هذا أمر لا يطرأ عليه أي اختلاف».

«هل تعتقد أنه لا يختلف؟...». جلس بورتون على مقعد على مقربة من النار، «أشعر بالبرد - إذا كان المكان شديد الحرارة بالنسبة لك، بإمكانك أن تجلس بعيداً».

«لا بأس هاري، أنا أيضاً أشعر بالبرد. هل تمانع في قيامي بتسجيل المقابلة؟...»
أخرج جهاز تسجيل رقمي. مد بورتون يده، أمسك بالجهاز وأخذ يتأمله.

«قطعة رائعة، تُغني عن الاختزال - ولو أنني أظن أنكم معشر الشباب...».

«إنني أقتن الاختزال، صحيح أنني لا ألجأ كثيراً لاستخدامه، لكنني أستطيع ذلك إذا اضطررت». لقد فهم هيو الرجل تماماً - وقد أكسبه ذلك مباشرة مودة هاري بورتون، فقد أدرك أنه صحفي مأجور مثله. لكنه، لحسن الحظ، لم يستطع أن يتعرف فيه إلى المنافق الانتهازي. ندّت عن هيو تنهيدة ارتياح وأدار جهاز التسجيل. لم يكن هناك داعٍ لتذكير هاري بالقواعد المرعية. «هاري، جيم كراوفورد. أخبرني بما تعرف عنه».

أخبره هاري. كانت سيرة نموذجية. فتى فقير أصبح فتى لا بأس بوضعه، ثم تحسن وضعه ليغدو أفضل. تقديم هبات إلى البلدة، حتى بعد أن غادرها، الزيارات العابرة، إنشاء قاعة رياضية في مدرسته القديمة. في ما عدا ذلك - كانت مجرد قصة نجاح لم يعرف حداً. لا تستحق قيادة السيارة كل تلك المسافة لسماعها.

قبل أن يُنهي بورتون القصة كان قد قام بحشو غليونه مرّتين، وأخذت عقارب الساعة الموضوعية على رف المدفأة - المهداة إلى هاري بورتون، مَلِكُ الصحفيين المأجورين، من أصدقائه في قسم تنضيد الأحرف - أخذت تقترب من الخامسة إلا ربعاً.

«تلك كانت القصة. هيو، لا شك بأنك تعرف قدر ما أعرف».

قرر هيو المجازفة. ما الذي يمكن له أن يخسره على أية حال؟... «هاري، هذا هراء. لا أعتقد أنني أعرف أيّاً من الأشياء التي تعرفها أنت. لقد سردت على مسامعي السيرة الرسمية، هذا كل ما في الأمر».

هز بورتون كتفيه باستخفاف.

«دعك من هذا - لقد أمضيتُ فترة الصباح في دار أرغوس. قرأتُ كثيراً من مقالاتك. بدوتَ فيها أفضل مما تبدو عليه الآن. سيرة كراوفورد أكثر إثارة من ذلك. ماذا عن والدته - أو والده؟...».

الاستيلاء

«هيو، في تلك الأيام، لم نكن ننشر كل ما نعرفه - ليس في بلدة مثل هذه. كان الناس آنذاك يتمتعون بحق الحفاظ على الخصوصية الشخصية والتستر على مآسيهم، إن شئت التعبير. لم يكن من الشائع نشر كل شيء على الصفحة الأولى».

«هاري، كان ذلك في ما مضى، الآن هو الآن. أنظر إلى هذه الساعة - مَلِكُ الصحفيين المأجورين. إنه لقب يستحق أن تفخر به - إنه ليس لقب مَلِكُ فريق العلاقات العامة».

«هيو، قد يكون من الأفضل ترك بعض الأمور دفيئة».

«في روايات ستيفان كينغ فقط - وإذا ما تسنت لك قراءة تلك الروايات وجدت أن تلك الأمور التي يُفضَّل تركها دفيئة، لا تظل دفيئة في العادة. بل إنها تنبش الأرض بمخالبها وتخرج باحثة عنك».

ضحك هاري بورتون. أدار المسألة في فكره هنيئاً. قال أخيراً: «ما رأيك في كأس. الحانة التي أتردد عليها عادة لا تبعد كثيراً عن المسار القديم للنهر. إذا كنت لا تمانع في اتساع هذا الحذاء الرائع بالوحل.

إذا كان ذلك هو ثمن القصة، فإن هيو كان سعيداً بالتضحية به - كما يجدر بصحفي مأجور حقيقي، فكر برهة ثم قال: «لا مانع لدي، لنذهب».

كان ادعاء هاري بأن الحانة «لا تبعد كثيراً عن المسار القديم للنهر» لا يماثل في دقته سوى ادعاء هيو بمهارته في الاختزال. كان المسار وعراً وزلقاً وملئاً بالحجارة، كما كانت مياه النهر تندفع هادرة وحفَّت بالنهر نباتات مبتلة لزجة. بعد حوالي عشرين دقيقة من السير خلف هاري بورتون - الذي بدا وكأنه يتحرك ضمن مجاله الطبيعي، وينقل خطواته بهمة رجل يبلغ نصف عمره، بل إنه كان يسير بهمة لم يستطع هيو مجاراته فيها - فقد أُشبعَت أطراف بنطاله بالماء، وعانى وخز لسعات نبات القرئص كما صفعه غصن شائك صفعه مؤلمة حول أذنه.

عندما بدأ المسير، حاول هيو متابعة الحديث، ولكن بينما بدأت أنفاسه تتقطع أخذ هدير مياه النهر يتعالى. وعندما ظهر أخيراً ممر الحصى الأبيض المؤدي إلى الحانة، تمكن هيو من رؤية خط متعرج من الزبد الأبيض يمتد على مياه النهر التي يلفها الظلام. تصاعدت رائحة طحالب نفاذة وسمِعَ صوت البومة الصياحة - لم يكن قد سمع هذا الصوت منذ أن كان طفلاً. أخذاً الآن يسيران على أرض مرصوفة ولاحظ هيو أنهما كانا يسيران بمحاذاة الهويس. كان هدير الماء يتعالى آتياً من السد القائم في الطرف الآخر من الجزيرة الصغيرة التي كانت تضم كوخ حارس الهويس. توقف بورتون وانحنى فوق حاجز الهويس.

«إنهم لا يسمحون بعبور أحد بعد حلول الظلام في مثل هذا الوقت من السنة».

تأوه هيو. لم يستطع سماع ما قاله بورتون إلا بصعوبة بسبب هدير الماء المندفع، إضافة إلى أنه لم يستطع أن يفكر بأي جواب آخر، كان الدخول إلى مكان يأويه هو كل ما يشغل باله في تلك اللحظة.

لكن أفكاراً أخرى كانت تراود ذهن بورتون. فقد أشار باتجاه الجزيرة إلى السد، الذي كان يمتد بشكل أعوج إلى الضفة الأخرى. فوق المياه المتساقطة، كان يمتد جسر خشبي هش يقوم على ركائز.

صرخ بورتون: «وقعت الحادثة هناك».

«ماذا حدث؟...».

«شقيق جيم كراوفورد. هذا هو المكان الذي غرق فيه».

كانت الحانة تغص بروادها: كانوا خليطاً من وكلاء العقارات وأصحاب الحوانيت وسواهم من قاطني الأرياف، لم يسترعدوا انتباه هيو. بعد أن ابتاع الجعة، أمسك ببورتون وأجلسه ثم سأله: «هل كان شقيقه الأصغر؟...».

الاستيلاء

قال الصحفي العجوز: «كان من عادتهما المجيء من المدينة ليلعبا هنا . كانت الأمور أسهل آنذاك . لم يكن هناك الكثير من الأسيجة، كما تعرف طبعاً، ولم تكن لافتات التحذير من الاقتراب تملأ المكان، لكن الأطفال، وأنت تعرف طبيعة الأطفال . تيموثي، تيم كراوفورد . لم تكن بالقصة المهمة . كتبتُ عنها فقد كنت أغطي المنطقة في تلك الفترة».

«لم أجد هذه القصة في سجلات المايكروفيش».

«وهل وصلتَ إلى تلك الفترة البعيدة؟... حدث ذلك في الخمسينات».

«كلا، لم أصل . ماذا حدث؟...».

«هيو، لقد حدث ما يحدث دائماً . طفلان يلعبان، يسقط أحدهما في النهر، لا يعرف الآخر السباحة - يقف ويراقب . لم أستطع أن أعرف الكثير عن الحادث . كانت نزهة، جاءت الأم بهما . وكانت... لقد تحدثتُ إلى الأشخاص في المنطقة . كانت أماً عزباء . لم يكن الأمر مألوفاً آنذاك، عانى الطفلان جراء ذلك، وزادت معاناتهما في ما بعد . لم أجد ما يدفعني لأجعل من الأمر قصة مهمة . قد يكون هذا التجاهل دلالة على فشلي كصحفي - إذا كان هذا هو التفسير، بإمكانني تحمل ذلك».

«هل تحدثتَ مع الفتى أو مع الأم؟...».

«كان الفتى في حالة صدمة . لم يكن آنذاك يُطلق عليها صدمة، ولم يكن هناك أطباء نفسيون لمساعدة المرء على تجاوزها . لقد حدث أن...».

جلس لبضع لحظات محققاً في سطح الطاولة، بدا واضحاً أنه كان يستعيد الحادثة في ذهنه .

«كان ما شغل تفكيره هو كيف سيعود الفتى، الذي لم يفرق، ليعيش مع والدته مهملة يشلُّ حياتها الشعورُ بالذنب كونها تركت ابنها الأصغر يموت . لم أتمالك نفسي من التفكير فيهما معزولين في تلك الشقة مع شبح الطفل ومع الشعور بالذنب

والغضب... لا يعلم سوى الله ماذا حدث أو كيف تمكن جيم كراوفورد من مواصلة العيش خلال السنوات القليلة التي تلت. أما والدته فلم تتمكن من ذلك. لقد تابعتُ العائلة. كانت هي تتردد إلى المصححة المحلية، وانتشرت إشاعات في مدرسة الفتى حول... أمور تعرّض لها. حروق... أمور أخرى. هيو، كانت تلك فترة الخمسينات وكانت الأمور مختلفة».

«بعد ذلك بسنوات، كتبتُ مقالة عن شاب كان قد أسس مشروع أعماله الخاص: «لحم حسب الطلب»، واكتشفتُ أن الشاب كان هو نفسه الفتى، بدا لي آنذاك في وضع لا بأس به.

كان من المفترض أن يقود هيو سيارته في طريق العودة.

قال بورتون: «لقد تعرّفتُ عليه. خلال السنوات القليلة التي تلت، قابلته في بعض الحفلات الرسمية وأجريتُ معه مقابلات في بضع مناسبات. بإمكانني أن أؤكد أنه كان يكذب، طوال الوقت. كان يكذب في أمور كنت أدرك أنها لم تكن كما رواها. لم أقل أي شيء قط له أو في الصحيفة، لم تكن أكاذيب كبيرة، ولم تكن تدور حول أمور مهمة، بل كانت دائماً أكاذيب صغيرة. لم أعرف لماذا كان يكذب، ولم يبدُ أن لأكاذيبه أهمية ضمن سياق بقية كلامه، تلك الحاجة للنجاح... مهما بلغ الثمن. ذلك التصميم الذي لا يلين على أن لا يدع أحداً على الإطلاق، يتفوق عليه».

«هل اتفق لك أن... أعني بشأن حادثة الغرق... هل...».

«كلا. هيو، ما الفائدة من ذلك، هل تستطيع أن تخبرني؟...».

«كلا هاري لا أستطيع. أعذرني... يجب أن أذهب إلى الحمام».

عندما أصبح في الحمام، ترك لسيلى رسالة عبر هاتفه الجوال بأنه لن يعود للمنزل قبل صباح الغد. لقد شعر، بناء على ما اطلع عليه عصر ذلك اليوم في سجلات أرغوس، بأن الليلة ستكون ليلة طويلة.

ميتسوكوشي، ريجنت ستريت ، لندن ، ٢٠: ٢٠

لاحظ مارك أن خبرة كافين كلوني في استعمال عودَي الطعام كانت أشبه بحركات إحدى شخصيات رواية خيال علمي. إذ إنه لم يكن بوسع أحد من الناس أن يتحرك بمثل تلك السرعة والبراعة ومتابعة الحديث بمثل هذه الصورة الموزونة.

قال: «إنها سنوات التدريب والجشع... بما أن الطعام الطازج هو كل...». وضع لقمة في فمه ثم قال: «لذيذ. دايان، لا شك بأنك ستحبينه. جربي السمك».

قالت دايان: «شكراً». كانت تتقن استعمال العودين ولكن ليس بمهارة كلوني. غير أنها كانت تبدو بالغة الفتنة في بلوزة سوداء تكشف عن صدرها وتبرز معالمه بوضوح - كان في وسع مارك أن يقسم على ذلك، لكنه لم يجرؤ على معاودة النظر إليها. وكان هذا يعني بالطبع أن أي منظر آخر في المطعم كان يسبب له ألماً حاداً في رقبته. كيف جرؤت على أن تفعل به ذلك - إلا إذا كان المعنى هو كافين كلوني. لكن، رغم أن اهتمامها كان موجهاً إلى المدير غير التنفيذي، إلا أن ابتساماتها كانت موجهة إلى مارك. خامره شعور امتزج فيه الحبور الشديد بالخوف، بأن شيئاً ما سيحدث الليلة، وبعد ذلك، لن يبقى شيء على حاله. غير أنه لم يعرف إن كان ذلك يتعلق بمستقبله أم بمستقبل أيوت.

قال كلوني: «دايان... مارك، يجب أن تدركا شيئاً واحداً، وهو أن منصبي كمدير غير تنفيذي، وهو منصب مثالي لشخص مثلي، هو بمعنى ما وبدقة: منصب وهمي. لا وجود له في عالم الواقع، بالتالي فإن أفضل ما يمكن لنا القيام به هو وضع تصوّر تقريبي. يمكن، بمعنى ما، اعتبار أحد الأشخاص موظفاً في الشركة، ليس بالضرورة باعتبار واقع الأمر de facto بل...».

قالت دايان: «كافين، أنا لم أدرس اللغة اليونانية».

«هذا تعبير لاتيني».

«لا فرق».

«ما أعنيه هو أنني لا أستطيع أن أكون صانع قرار ومراقباً للقرارات في آن واحد، إذا أدركتما ما أعني».

أوماً كل من دايان ومارك برأسيهما موافقين.

«لقد كنت دائماً أعتبر نفسي مستشاراً، صوتاً محايداً، أعمل قدر الإمكان على مدّ أعضاء مجلس الإدارة بوجهة نظر عامة - تتعلق بالمجلس ككل وبقدراته. وغنيّ عن القول أننا، أعني جميع أعضاء مجلس الإدارة، يجب أن نراقب أفعالنا....».

«كافين، ما رأيك بالأسلوب الذي يدير به جيم كراوفورد شؤون الشركة؟».

«دايان، الإجابة على هذا السؤال ليست بالبساطة التي تتصورينها».

قالت دايان: «هذا ما كنت أخشاه». ركز مارك جلّ اهتمامه على التقاط قطعة السمك دون أن يجعل من نفسه أضحوة. - كان، رغم جميع الصعوبات التي يواجهها في استعمال عودي الطعام، قد أحب الطعام - في بعض الأحيان طبعاً.

تابع كلوني حديثه: «ما أعنيه هو أن الأمر يتعلق أكثر بالتساؤل عن: الكيفية التي يسمح لنا بها الأسلوب الذي يدير به المسؤول التنفيذي الرئيس شؤون الشركة، نحن المدراء التنفيذيين وغير التنفيذيين، برؤية هذا المسؤول وبالحكم عليه. كتب كارلايل ذات مرة يقول، وأنا أؤمن بفريدريك الأكبر، إنه في كل غاية -أو موضوع في حقيقة الأمر- هناك معنى لا ينضب، تراه العين في هذه الغاية أو الموضوع، العين هي التي تخلع المعنى على ما تراه. وهكذا، فإن المغزى يظهر من خلال عين الناظر. عندما يكون لدينا مسؤول تنفيذي رئيس يتحلى بالقوة ومساهمون راضون، يصبح من الصعب على المرء أن يتمكن، بأية طريقة من الطرق، من ممارسة تأثير فعال عبر النقد الخلاق *Salus populi suprema est lex*، آسف دايان، هذا القول لشيشرون. يمكننا القول إذًا: إن مصلحة الشعب، والشعب هنا هم المساهمون، هي التي تمثل القانون الأسمى وليست مطامح الطغاة. الفكرة الوجدانية الأخيرة ليست، بالطبع، من بنات أفكار شيشرون».

قالت دايان: «ليست بالطبع».

قال مارك موافقاً: «قطعاً لا». لم يكن مارك واثقاً تماماً ما هو الشيء الاستثنائي في هذه الأمسية: أهو الطعام الياباني أم الحديث أم دايان. كان يرى أن مجرد طرح السؤال يجب أن يعبر عن شيء ما بشأن شيء ما. سحب نفساً عميقاً وقال: «دكتور كلوني، هل تعتقد أن من مصلحة هؤلاء المساهمين أن يظل السيد كراوفورد هو المسؤول التنفيذي الرئيس لشركة أيوت؟...».

استدارت دايان في مقعدها لتواجهه وغمغمت: «سؤال ذكي».

سحب كلوني نفساً بين أسنانه، ثم وضع يديه خلف رأسه وتمطى في مقعده.

«خلف كل شيء يكون شيئاً - هناك إذاً بالطبع لا شيء. وبعبارة أخرى...».

قالت دايان: «نعم، بعبارة أخرى رجاء».

«خلف أي كلام يصلح لأي شيء، هناك صمت خير من الكلام. الصمت شيء عميق كالأبدية، أما الكلام فهو ضحل كالزمن. ومع ذلك، وبعد أن نفكر صامتين علينا أن نصرّح...».

قالت دايان: «أن نصرّح بما نفكر به أو أن نخلي موقعنا، هل هذا هو ما ترمي إليه يا حضرة البروفيسور؟...».

ابتسم كلوني وقال: «هذا هو ما أرمي إليه تماماً يا عزيزتي. في هذه الحالة، ردّي هو: نعم».

استغرق الأمر دايان ومارك بضع لحظات لاستخلاص المعنى من كلمات كلوني المعقدة المسهبة.

سألته دايان: «أنت تعتقد إذاً أن عليه الرحيل؟...».

«نصيحتي هي أن على مجلس الإدارة أن يقرر ذلك. لكنني أعتقد أيضاً أن من الواجب إطلاع المجلس على الأمر بصورة لائقة».

قال مارك: «ألبوري لن يقوم بذلك».

قال كلوني: «قد لا يكون هناك خيار أمام ألبوري، لو كان هناك ناحية واحدة من المشكلة يمكن عزلها عن بقية النواحي والقول: هنا تكمن المشكلة، لأمكن القول إنها العلاقة -الديناميكية- بين المسؤول التنفيذي الرئيس والمدير. في العادة، إذا كان المدير يفتقر للفاعلية، ولم يكن بالإمكان - لسبب ما - إزاحته عن موقعه، فإنني قد أنصح آنذاك بأن يُسند إلى أحد المدراء غير التنفيذيين منصباً رئيساً. لكنني لا أعتقد أن تصرفاً كهذا يُعتبر مناسباً في هذه الحالة. أعتقد أن السيد ألبوري، كما عبّرت عن ذلك بأسلوب بليغ يا دايان، سيتعيّن عليه إما أن يصرح بما يفكر به أو أن يُخلي موقعه، وبرأيي أنه سيختار الحل الأول...».

«هل تعتقد أنه سيصوت ضد كراوفورد ويبقى في المجلس؟...».

«مارك، في الوقت الحالي، نعم. إن التفريط بمسؤول تنفيذي رئيس يُمكن أن يُعتبر ضرورة، لكن التفريط بمسؤول تنفيذي رئيس وبمدير لا بد وأن يُعتبر ضرباً من الإهمال، Fastina Lente ألا تعتقد ذلك؟...».

قال مارك: «أسرع ولكن ببطء».

قالت دايان: «ولكن أسرع، أليس كذلك؟...».

قال كلوني: «طبعاً. والآن، لنصرف همنا إلى الطعام، وبإمكاننا البدء بخلّ الألفاظ الأخرى في ما بعد».

انقضى باقي الوقت بسرعة كما تتزلق قطعة السمك مع جرعة من الساكي الدافئ. وفي حوالي العاشرة والنصف كان مارك ودايان يقفان في بارك لين يرقبان سيارة الأجرة التي استقلّها كلوني وهي تغيب بين السيارات التي تملأ الشارع.

قالت دايان: «كان عشاء ممتعاً».

ردّ مارك: «نعم . هل أطلب لك سيارة أجرة؟...». كره نفسه بسبب جبنه ولكن لم يكن بوسعه أن... هل كان بوسعه؟... إن الأمور من هذا النوع لا تحدث سوى في الأحلام، وهو لم يكن في حياته إنساناً حاملاً قط.

«ما المانع؟...». جاء صوتها حياذياً، رفع يده، ولسوء الحظ وصلت السيارة على الفور. فتح لها الباب الخلفي، صعدت إلى السيارة، استدارت نحوه فقال لها: «لقد كانت أمسية رائعة». قالت: «ألن تأتي معي؟...». قال، وهو يدرك تماماً ماذا سيحصل إذا ذهب: «بلى».



اليوم + ٢٥

الجمعة ٢٦ نوفمبر

أربع مكالمات هاتفية

سيليا هارت مع بيت ستيوارت ١٠: ١١

ستيوارت: «من المتكلم؟...».

هارت: «بيت، كيف تسير الأمور؟...».

ستيوارت: «على ما يرام. مشغولة، كما تعرفين، و... مشغولة».

هارت: «تلك هي الحياة التي نحبها، أليس كذلك؟...».

ستيوارت: «نعم، أنا... سيليا، ما هي الخدمة التي أستطيع أن أقدمها لك؟...».

هارت: «إنها ليست لي، على وجه الدقة، لقد قابلتُ كراوفورد أمس، دعاني للغداء، في غافروش. يجب الاعتراف في ما يخص هذا الرجل بأنه لا يميل إلى الأشياء الرخيصة. أعتقد أنك ستجدين هذه المزية مصدراً للراحة والحرية عندما تتضمنين إلينا».

ستيوارت: «لأكن صريحة معك، أجد في الأمر شيئاً من... لا حاجة لأن أثقل عليك بهذا الشأن».

هارت: «كلا، لن يكون في الأمر أي إزعاج. سيكون لدينا متسع من الوقت لكي نتعرف... لنفكر بالمستقبل و... عندما ينتهي كل ذلك».

ستيوارت: «على هذا... نحن نقرب من تلك اللحظة. أعني... إنكم ستجيبون على ما قدمناه من... ستجيبون على...».

الاستيلاء

هارت: «بيث، يوم الاثنين. العرض النهائي. سيكون لديكم لتقوموا بمناقشته. أعتقد أن من واجبي أن أخبرك بأنه عرض جيد. عرض ممتاز و... المساهمون في شركتكم... المدراء الماليون، إنه عرض مغر، سوف يرغبون بقبوله، كما أن المساهمين سوف يرغبون بذلك أيضاً، سيكون هناك...».

ستيوارت: «هل تعني بأن الأمر انتهى، اعتباراً من يوم الاثنين؟...».

هارت: «سيضطرون للتصويت، ولكن لن يتوفر لهم متسع من الوقت. يوم الاثنين في الثالث عشر من ديسمبر، سيكون التاريخ النهائي... اليوم الأخير لتنفيذ شروط العرض وأنت... إذا لم تدركي بعد، يمكنني أن أقول لك إن الأمر سيجري... بوتيرة متسارعة عندما يشعر الجميع بأنهم يريدون اللحاق بركب الشركة الجديدة».

ستيوارت: «أنت واثقة من ذلك... من الواضح أنك واثقة... بوسعي أن أرى أنكم لحظة تعودون لتقديم عرض نهائي فإن الأمر... يكون عندها قد انتهى».

هارت: «بيث، جيم يريد منك أن توضحني ذلك لجون باركر».

ستيوارت: «بريان هاوس... سيكون موجوداً و...».

هارت: «بيث، إنه يريد أن تقومي أنت بذلك. يريد منك الاضطلاع بعملية الاستيلاء من موقعك، بإمكانك العمل مع أي شخص تختارينه من بايفيلد - ولكن لأجل قصير فقط لأن معظمهم... تعرفين طبعاً أن معظمهم سوف يضطر لترك العمل».

ستيوارت: «أعتقد أن هذا كان سيقع لا محالة. بما أن العملية قد بدأت، وسواء ربنا أم خسرننا، فإنه كان لزاماً علينا أن نجري تغييراً».

هارت: «وماذا عن مسألة توريث المناصب... هل المدير غير التنفيذي لديكم هو المسؤول عن ذلك؟...».

ستيوارت: «لا أدري ماذا يجول في ذهنه، لست واثقة ولكن...».

هارت: «أعتقد أنك سوف تكتشفين بأنك تشغلين موقعاً مهماً في أية فكرة تدور بذهنه. وماذا عن جون باركر؟...».

ستيوارت: «سليبا، لا أدري. يبدو أحياناً رغباً في أن يمضي بالأمر، ويبدو أحياناً أخرى وكأنه يريد أن يقاتل حتى آخر رجل... آخر مساهم».

هارت: «لن يُجدي ذلك فتيلاً، ألا تعتقدين ذلك؟...».

ستيوارت: «كلا، لا أعتقد أنه سوف يُجدي».

هارت: «بيث، هذه مهمتك الأولى. عليك أن تخبريه بذلك، دعيه يدرك ذلك. وعندها سيكون باستطاعتنا أن تمضي قدماً... بايفيلد وأيوت... وسيكون لدينا عمل مثير لنقوم به. اتفقنا؟...».

انتهت المكالمة.

أوين بويز مع نيك سبيلر ٢٠: ١٢

سبيلر: «أوين، أيها العجوز، يسرّني سماع صوتك. لقد أرهقناكم بالعمل، أليس كذلك؟...».

بويز: «نك، نحن هنا نلتهم العمل التهاماً. لا شك بأننا كنا مشغولين. وماذا عنك؟...».

سبيلر: «نسعى لتفادي الخروج صفر اليدين».

بويز: «أعتقد أن الدفاع كان موفقاً».

سبيلر: «شكراً».

بويز: «لكن الخاتمة ضعيفة نوعاً ما».

سبيلر: «هل تعرف، لقد أُصبتُ بالدهشة لدى سماعي بأن رجلكم - أعتقد أن سبب اتصالك هو أنه سيكون هناك عرض نهائي، أليس كذلك؟...».

الاستيلاء

بويز: «سوف يُقدّم لكم يوم الاثنين».

سبيلر: «كنت أظن أن كراوفورد قد... قد يؤجل تقديمه».

بويز: «لا سبيل إلى ذلك. وعندما سترى العرض... إنه عرض جيد».

سبيلر: «في الواقع، لا يمكن لي أن أعلق دون أن...».

بويز: «لقد اتصلت لأسألك عن شيء واحد... هل يأمل هاوس في أن يخلف رئيس مجلس الإدارة؟...».

سبيلر: «أوين، لك أن تخمّن بأن الأمر كذلك».

بويز: «نحن نميل إلى السيدة ستيوارت».

سبيلر: «الجميع يميل للسيدة ستيوارت. بوبي كينغ تعتقد بأن بإمكان ستيوارت اجترّاح المعجزات».

بويز: «جيد، هذا جيد. ولا بأس بـتيم إريكسون كمدير حازم خلال مرحلة التحول ولكن...».

سبيلر: «لا شك بأن توم سوفت، من قسم الأبحاث والتطوير، سيسرعي انتباهك، ويمكن لهوارد أيضاً أن يسرعي انتباهك ولكن من نواحٍ أخرى... ماذا بشأن المسؤول التنفيذي الرئيس؟...».

بويز: «أصبح من مخلفات الماضي. نحن نريد بريان هاوس أن يكون مديراً غير تنفيذي».

سبيلر: «ألا تعتقد بأن هؤلاء الأشخاص مناسبون لمناصبهم؟...».

بويز: «جيم كراوفورد يفكر بإحداث تغيير».

سبيلر: «ألا نتطلع جميعاً إلى ذلك؟...».

بويز: «بلى».

انتهت المكالمة.

كافين كلوني مع بيتر ألبوري ١٥ : ١٤

كلوني: «بيتر، خطر لي أن أتصل بك... هل لديك متسع من الوقت؟... أنا لا أريد طبعاً أن أقلق راحة المدير في وقت فراغه».

ألبوري: «كنت أطعم الخنزير».

كلوني: «طبعاً... طبعاً، ذلك المخلوق الصغير البديع... دعني أتذكر... إنه من نيوزيلندة، إن لم أكن مخطئاً. مكان ساحر ذو طقس متنوع».

ألبوري: «كافين، هل هنالك شيء ما؟...».

كلوني: «في معظم الحالات هنالك شيء ما، ألا تلاحظ ذلك؟... بيتر، كنت أتساءل إن كنت لا تمانع في قبول دعوتي للعشاء ذات ليلة، وليكن ذلك خلال أسرع وقت ممكن».

ألبوري: «كافين، هذا لطف منك، لكنني... تعرف طبعاً لقد اقترب عيد الميلاد و...»

كلوني: «هنالك بعض الأمور التي أود الحديث معك بشأنها...».

ألبوري: «المشاغل كثيرة، هل بالإمكان تأجيل ذلك إلى ما بعد رأس السنة الجديدة؟...».

كلوني: «أعتقد... ربما... إذا أذنت لي... لا، ليس بعد رأس السنة. قبل ذلك، اتفقنا؟...».

ألبوري: «هل سيكون هناك... هل سيكون معنا أحد غيرنا؟...».

كلوني: «بيتر، خطر لي أن أستوضحك بعض الأمور. نحن الاثنان فقط، اتفقنا؟...».

نحن الاثنان، بضعة كؤوس وفطيرة محشوة بلحم الطرائد... ما رأيك بمطعم رولز، إنهم بارعون في هذا النوع من الأطباق، أليس كذلك؟...».

ألبوري: «كافين، هل يتعلق الأمر ب... هل هو بشأن...».

كلوني: «لا أبداً يا صديقي العزيز. يمكن القول إنني أرغب في الحصول على نصيحة

منك - قد نطلق من هذه النقطة، من يدري؟... Experto Credite، اتفقنا؟...».

انتهت المكالمة.

هيو ميد وجورج باكينهام ١٧:٠٠

باكينهام: «من المتكلم؟...».

ميد: «جورج، أنا هيو ميد».

باكينهام: «أوه، نعم، مرحباً».

ميد: «عندما التقينا في أوكسو تاور قبل مدة - أخبرتني بأمر يتعلق

بويستمنستر، أليس كذلك؟...».

باكينهام: «أنا؟...».

ميد: «بلى، جورج، أنت».

باكينهام: «بلى، أعتقد أنك على حق. إذا أسعفتني الذاكرة... كان الأمر يتعلق

بوزارة الخارجية»

ميد: «هل تذكر... قبل الانتخابات...».

باكينهام: «وهل هناك من يتذكر أي شيء في هذا العالم الحديث المقدام؟...».

ميد: «إحدى لجان الاعتمادات؟... كروسلي، باتريك كروسلي، كان رئيس اللجنة

- وبعد الانتخابات...».

باكينهام: «لقد تذكرت الآن. كان الأمر يتعلق بأندونيسيا. منظومات من نوع ما».

ميد: «هل بالإمكان معرفة ما إذا كانت الصفقة لا تزال مستمرة؟...».

باكينهام: «هيو، ماذا يدور ببالك؟...».

ميد: «جورج، قد يكون هناك شيء وقد لا يكون هناك أي شيء على الإطلاق.

حبذا لو تمكنت من التأكد من الأمر وسوف أعاود الاتصال بك في أي وقت تريد».

باكينهام: «سأرى ماذا يمكن لي أن أقوم به. اتصل بي غداً مساءً».

انتهت المكالمة.

اليوم + ٢٨

الاثنين ٢٩ نوفمبر

عرض مزيد نهائي
من قبل
ويماوث ، باترنوستر
لمصلحة
شركة أيوت
للاستيلاء على
شركة بايفيلد

يجب أن تُرسل وثائق الموافقة بأسرع وقت ممكن، بحيث
يتم تسلمها، مهما كانت الظروف، في موعد لا يتجاوز يوم
الاثنين ١٣ ديسمبر. إجراءات القبول مبيّنة بالتفصيل في
الصفحات ٢٩-٣٢ .

يحتفظ ويماوث، باترنوستر بحق زيادة أو تعديل العرض
المزيد في حال نشوء وضع تنافسي أو في حال موافقة
هيئة المستشارين على ذلك.

أيوت

إلى المساهمين في بايفيلد

عزيزي المساهم

لقد بيّنا في وثيقة العرض الأصلية، النجاح الذي تتمتع به أيوت تحت إشراف فريقها الإداري، كما أوضحنا سوء أداء شركة بايفيلد وعرضنا الفوائد التي سيجنيها الجميع نتيجة ضم شركتي أيوت وبايفيلد.

بوسعنا الآن أن نبين أن التغيير المزعوم في التوجّه الإداري، الذي تدّعي بايفيلد إجراؤه كرد فعل على العرض، ما هو إلا تغيير زائف، شأنه شأن الادّعاءات الرنانة المتعلقة بقسم الأبحاث والتطوير في الشركة. وفوق ما ذكر، فإنه لا يمكننا أن نغالي لدى الحديث عن الأداء المتواضع في سوق الأوراق المالية وعن التعويضات الباهظة التي تدفع إلى المدير، جون باركر.

لقد حاولت شركة بايفيلد صرف الانتباه عن أسلوب إدارتها الذي يفتقر للبراعة وعن سجلها الهزل ضمن مجال تأمين الأرباح للمساهمين فيها، وذلك عن طريق الادّعاء بأن عرضنا يفتقر للمنطق المهني. وسوف نقوم لاحقاً في هذه الوثيقة بتفنيد هذه الحجة وإيضاح عدم مصداقيتها.

أمامكم خيار واضح:

- القبول بعرض أيوت المزيد بعلاوة تصل إلى ٤٥٪ من سعر سهم بايفيلد قبل تقديم العرض والمشاركة في النجاح المستقبلي للمجموعة المشتركة، أو تحويل استثماراتكم في بايفيلد إلى نقد
- التمسك بحبال الأمل بأن بايفيلد سوف تتمكن، بطريقة ما، من الوفاء بالوعد الرنانة التي قطعناها بعد تقديم العرض. أهيب بكم أن تقبلوا بالعرض المزيد.

المخلص

بيتر ألبوري

المدير

بايفيلد ، غولد هوك ميوز ، لندن ١٣:٠٠

حضر جميع أعضاء مجلس الإدارة الاجتماع، الذي كان فعلياً الاجتماع الأخير الذي يعقده مجلس إدارة بايفيلد بخصوص الحملة. ترأس جون باركر الجلسة - بدا مبهم الملامح وكأن أموراً أخرى تشغل تفكيره، كان يهز رأسه من حين لآخر ويعود لتركيز انتباهه على الأمور المطروحة للنقاش. كان بيل هاربر منهكاً شاحب الوجه - والواقع أنهم كانوا جميعاً كذلك - لكن هاربر بدا منهكاً بصورة تجاوزت كل الحدود، وكأن أسوأ ما يمكن أن يحدث قد حدث وانتهى بحيث لم يعد هناك ثمة جدوى من الماضي في الحديث بشأنه. كان تيم إريكسون متوتراً وظلّ يقضم جلد أطراف إبهاميه إلى أن انبثق الدم منهما. أما هوارد وسويقت فكانا أكثر استرخاء، كان بإمكانهما أن يفكرا بمستقبلهما داخل الشركة أو خارجها. كان ديك وورثغتون ... هو ديك وورثغتون. أخذ بريان هاوس يقلّب صفحات عرض أيوت النهائي وهو يتمتم راضياً، بينما أخذت بيت ستياورت تتساءل في سرّها إن كان بوسعها تجنب قول ما يُفترض بها أن تقول. التقت عيناها بعيني هاوس الذي هز كتفيه بحركة معبّرة مشيراً إلى الوثيقة.

قال هاوس: «إنها صفقة رابحة بالنسبة للمساهمين، لا يمكن إنكار هذه الحقيقة. صفقة رابحة تماماً. لا أستطيع أن أفهم ماذا يدور في ذهن كراوفورد».

قال هاربر بصوت خفيض أجش: «أن يعرض دفع تلك الزيادة؟... كنت أعتقد أن عملية البيع قد تخفف من غلوائه إلى حد ما. هذا ما خطر لي فعلاً».

رفع هاوس حاجبيه وكأنه يقول: «إذاً، فأنت أحمق». لكنه قال: «إن كنتُ قد تعلمتُ شيئاً في عالم الأعمال، فهو أنه لا يمكن لأحد أن يتكهّن بمسار الأمور».

كان توم سويقت يدوّن بعض الملاحظات. قال: «الواقع أن ذلك لن يشكل فرقاً كبيراً بالنسبة لمعظمنا نظراً لأن مساهمتنا في الأسهم لا تعدو كونها مساهمة زهيدة».

الاستيلاء

انتفض باركر في مقعده، لكنه لم يستطع إنكار ذلك، قال: «لقد فات الأوان على كل هذا الكلام. بريان، ماذا بشأن المدراء الماليين؟... كيف تتوقع أن تكون ردة فعلهم؟...».

لم تصدق بيت أذنيها. كان سؤالاً عقيماً، لا يمكن لأحد أن يجهل كيف ستكون نتيجة التصويت، إذ إنه لم يكن يتوفر أمامهم خيار آخر معقول.

«جون، ماذا بوسعي أن أقول؟... إن معظم العاملين في الشؤون المالية يرون أن الإدارة ليست من شأنهم».

قال بيل هاربر: «لكن ما من شك بأنهم يرغبون في لعب دور ما».

«بعضهم يرغب بذلك والبعض الآخر لا يرغب. والواقع أنني لدى استرجاع الماضي، بإمكانني القول إن بايفيلد كانت تسعى، قدر استطاعتها، لاتخاذ مواقف تثبط فيها من عزيمة الإدارة المالية التي ترغب في المشاركة وفي التعرف إلى المدراء الذين يديرون الشركة بصورة فعلية. قد يكون ذلك مقصوداً أو بحكم الصدفة، لكن كبار المساهمين يرون أن»:

قاطعه تيم إريكسون قائلاً: «هل أنت واثق مما تقول؟...».

«سيد إريكسون، كل الثقة - فعملي يقتضي أن أكون واثقاً. إنهم يعتقدون أن مسؤوليتهم هي تجاه زبائنهم، وهذا لا يشمل حل المناوشات التي تقوم بين المدراء».

أدركت بيت أنه يستخدم هذا التعبير عن عمد، وهو إفهام الجميع أن وضعهم قد شارف على النهاية.

«أعتقد أنهم يفضلون البيع على التدخل في ما لا يعنيهم».

قال هاربر: «ولكن لا توجد مشاكل خطيرة، مشاكل لا يمكن حلها إذا توفر شيء من حسن النية إضافة لدعم زبائننا. ألا يمكنهم رؤية ذلك؟...».

جاء رد هاوس هادئاً قاطعاً: «كلا».

انتهرز ديك وورثغتون فترة الصمت التي تلت ذلك ليدلي بدلوه في الحديث لآخر مرة قائلاً: «جون، حضرة المدير، أعتقد أننا جميعاً نتطلع إليك لتتولى القيادة هنا. عندما يتدافع أفراد القطيع مذعورين وتعلو أمواج مياه النهر و يصاب رعاة البقر بالذعر، أعتقد بأن الوقت يكون قد حان للرجل الذي يعتمر قبعة بيضاء لكي يمتطي...».

في تلك اللحظة، فعلت بيت ما كانت تحلم بأن تفعله منذ شهور. قالت له: «ديك، هل لك أن تصمت رجاء».

أغلق فمه بصوت مسموع.

قال باركر متسائلاً: «ماذا بشأن المصارف؟... أنا أعلم بأن نك لن يتخلى عنا - فهناك علاقة قديمة تربطنا مع لايتولر - السير غيل العجوز وأنا...». خفت صوته هنيهة ثم استجمع قواه: «إذا تضافرنا مع المصرف وأصحاب رؤوس الأموال المخصصة للمشاريع، قد يصبح بإمكاننا خوض معركة مشرقة».

ساد الصمت. تنحنحت بيت ثم قالت: «جون، آسفة، لكن ذلك لن يحدث. لقد تحدثتُ مع نك صباح اليوم».

أوما هاوس برأسه لكنه لم يتفوه بكلمة لتأييدها.

«لن تكون هناك معارك دفاعية، لا من قبَله ولا من قِبَل أصحاب رؤوس الأموال المخصصة للمشاريع. لقد انتهت هذه اللعبة».

حدجها بيل هاربر بنظرة ملؤها الشك وقال: «بيت، يبدو أنك تعرفين الكثير حول هذا الأمر».

في تلك اللحظة، تدخل هاوس في الحديث: «لا شك بأنها تعرف، فعملها يقتضي أن تظل على اتصال بالجميع، أن تُشرف على الموقف بالكامل». ومع أن التوبيخ الموجه لهاربر كان ضمنياً، إلا أن ذلك لم يخفّف من حدّته.

قال باركر: «بيت، أنتِ شابة حادة الذكاء، ألا يمكنك إيجاد مخرج ما؟...ألا يمكنك التفكير بشخص ما يمكن لنا أن نلجأ إليه؟... أليس هناك ما يمكننا القيام به؟...».

«كلا جون، ليس هناك أي مخرج».

«بيث...». كان ذلك تيم إريكسون، الذي بدا واضحاً أنه أدرك اتجاه الرج، «أعني مَنْ... تعرفين طبعاً ما أعنيه، أليس كذلك؟...».

«بلى تيم، أعرف. إنهم يريدون استبقاءك، على الأقل خلال فترة التحوّل».

ألقي عليها هاربر نظرة تحمل المزيد من الشك: «لا شك بأنك تعرفين، أليس كذلك؟...».

«بيل، لقد وضَحَ منذ حين أن هذه المعركة خاسرة. فقد تمكّنتُ أيوت من التعرّف على عدد من نقاط الضعف في أداء شركتنا». لم تكن نبرة صوتها الهادئة لتعكس بأي حال الاضطراب الشديد الذي كان يعتلج داخلها بالنظر لما كانت تقوم به». كانت إحدى الزلات هي عدم وجود خطة تنظّم توريث المناصب. عضوة مجلس إدارة بايفيلد ليست وظيفة أبدية، كما يعتقد بعضهم».

أطلق أنغوس هوارد صفيراً عبر أسنانه وقال: «بيث، لا جدال في أن كلامك يكشف لنا أشياء وأشياء. أعتقد بأنني سأشعل الغليون ولن أبالي بمعارضتك. ينتابني شعور بأن مستقبل حياتي المهنية ليس على ما يرام سواء على المدى الطويل أو المتوسط أو القصير». جذب غليونه وبدأ بتجريف ما بداخله من بقايا ووضعها على وثيقة العرض النهائي.

لم يكن لدى بيث أي جواب، لبثت صامتة. نظر إليها توم سوفت عبر الطاولة فأومأت برأسها. لم يكن هناك ما يخشاه، كانت تشتبه بأنه يشكل جزءاً مهماً من الصفقة. قد تكون مشكلتها معه هي في إقناعه بالبقاء. دمدمت: «توم، ربما كان بوسعنا الحديث لاحقاً».

قال باركر وهو ينتزع الكلمات انتزاعاً: «أرجوكِ سيدة ستيوارت.... راعي اللياقة، على الأقل، وانتظري إلى أن أخرج من الغرفة، قبل أن تبدئي بإصدار الأوامر».

قالت: «جون، الأمر ليس كما تظن».

ردَّ بسرعة: «ليس كذلك؟...». ثم همد ثانية.

قال بيل هاربر: «أعتقد أن العملية المعتادة ستأخذ مجراها إلى الحد الذي...».

قال هاوس: «إنها لم تحدث بعد. سوف تحدث. هذه مجرد عملية، نمو عضوي طبيعي. الأشياء تتبدل، تنمو».

لم يبدُ هاربر مقتنعاً. كما لم يبدُ الاقتناع أيضاً على أنغوس هوارد أو ديك وورثغتون. وبدا واضحاً لبيت أن الارتياح الذي كان يشعر به تيم إريكسون كان ضحلاً. لقد كان يدرك أنه بمجرد إتمام عملية الدمج - سيكون عمله قد انتهى.

قالت بيت: «الظروف الطبيعية سوف تُطبَّق هنا أيضاً. لا تقلق بهذا الشأن».

قال تيم: «لم أكن أشعر بالقلق بهذا الشأن». تهدد، تذكرت بيت الحديث الذي دار بينهما في مكتبها والطريقة التي انتهى بها، عندما قالت هي: «علينا إذاً أن نبذل كل ما بوسعنا للحيلولة دون استيلاء كراوفورد على شركتنا».

توجه باركر بالسؤال إلى بيت مباشرة: «أعتقد أنك ترغبين في أن أقدم استقالتني؟...». شعرت بنفسها مثل يهودا.

«جون، هذه ليست مسؤوليتي، لكنهم بالطبع يرغبون في أن تقدم استقالتك عندما يبدأ مسار العملية».

كان هوارد قد أشعل غليونه، سألها من وراء الدخان المعطر: «وكم سيستغرق ذلك؟...».

«آخر تاريخ لاستلام الموافقة على عرض أيوت هو الاثنين، الثالث عشر من ديسمبر».

قال هوارد: «أعتقد أنه تاريخ مناسب».

قال هاوس: «قبل حلول ذلك التاريخ، ستكون الصفقة قد أبرمت، هناك حجم عمل كبير يجب إنجازه، لذا أقترح أن نباشر بذلك».

ألقي باركر نظرة كئيبة عبر الطاولة، بدا وكأنه يركّز نظره على القارة المتجمدة الجنوبية ويدرك بأنه لم يعد لديه ما يفعله - سوى العثور على ملاك.

obeikandi.com

اليوم ٣٢٠

الجمعة ٣ ديسمبر ١١:٠٠

ويماوث، باترنوستر، مركز لندن التجاري

رفع تشيب كاربنتر كأساً خفية من الشمبانيا تحية لأوين بوز عبر الطاولة وقال: «لو لم يكن الوقت مبكراً لشريت نخب ذلك».

رد بويز التحية بمثلها وقال: «شكراً تشيب. يبدو أننا اجتزنا الأمر بنجاح. هذا لا يعني طبعاً أن الشك قد ساورني بهذا الشأن».

كانت الطاولة التي يجلسان إليها خالية، إلا من آخر نتائج التصويت رغم أن بالإمكان أن تكون الأموال مكدسة فوقها بما أن الرجلين كانا يعرفان أن المصرف سيحصل على أرباح دسمة من هذه الصفقة.

قال كاربنتر: «لم يكن هناك شك طبعاً، ولو أننا مررنا ببعض اللحظات العصيبة. عندما تردد جيم في بيع شركتي التجهيزات والأغذية».

«في النهاية، لم يكن أمامه خيار وقد أضاف ذلك زخماً للعملية بكاملها. ما يشغل بالي حالياً هو سعر العرض النهائي».

قال كاربنتر: «إنه سعر باهظ».

قال بويز: «إنه سعر باهظ فعلاً. وقد انعكس ذلك على أسعار الأسهم. فهي لم تعد تتحرك بحرية كما ينبغي وانعكس ذلك في...».

أكمل كاربنتر العبارة قائلاً: «في الرأي السائد في مركز المدينة التجاري».

«نعم لقد كان عرضاً يتسم بالمغالاة».

الاستيلاء

«هذا صحيح». ضاقت عينا كارينتر، شأنه دائماً عندما كان، -كما يقول زملاؤه-، يخطط للقيام بشيء، ثم قال: «قبل بضع ليال التقيت صدفة بأصدقاء قدامى في رولز». «المكان جميل، يقدمون فيه أرانب برية لذيذة مطهوه في قدور فخارية. رغم أنني لا أميل إلى هذا النوع من الأمكنة. من هم الأصدقاء الذين قابلتهم؟...».

«كافين كلوني وبيتر ألبوري. كانا في غاية الود. ما أدهشني هو أن ألبوري كانت تبدو عليه الحيوية أكثر من المعتاد، وكأن قوة جديدة قد سرت في عروقه». «هل تنتهى إلى سمعك عم كانا يتحدثان؟...».

«بضع كلمات فقط عبر القاعة. عندما أثرت موضوع رأي مركز المدينة التجاري - حركة أسهم أيوت... إذا جمعنا اثنين واثنين نحصل على...». خفت صوته رويداً رويداً.

نقر بويز على أسنانه بالقلم برفق. «من حيث الأساس، التعامل مع كراوفورد على أسس يومية لا يبعث على الراحة. عندما ينطلق للقيام بمشروع ما أو لشراء شيء ما - تسير الأمور على خير ما يرام، لكنه في اللحظة التي يشعر فيها بالملل ضمن مجلس الإدارة، يبدأ بإثارة المشاكل. يجب أن يظل مشغولاً».

قال كارينتر: «أعتقد أن كافين كلوني يشاركك الرأي».

«سأناقش الأمر مع سيليا هارت، إنها تعرف تركيبة أيوت جيداً، أريد أن أعرف رأيها بهذا الشأن، هل يوافقك ذلك؟...».

«هل يمكن الركون إلى براعتها بهذا الخصوص؟...».

«إنها طموحة، كما أنها ترغب في الذهاب إلى نيويورك، وسوف تقوم بما ينبغي لها أن تقوم به».

«هل أنت واثق من ذلك؟...».

«تشيب، ما أعرفه عن سيليا لن يخطر ببالك أبداً. صدقتي، إنها فتاة ذات إرادة حديدية».

«اتفقنا إذاً. مع ذلك، لقد حصل كراوفورد على ما يريده، أليس كذلك... لكننا جميعاً، في نهاية المطاف، علينا أن نفقد أثمن ما لدينا، أليس كذلك يا أوين؟...».

رصيف باترلر، لندن، ١٣:٠٠

بدأت الأسوار الرمادية لبرج لندن قائمة في ذلك اليوم، كانت الأمواج تتلاطم في النهر الذي علاه الرذاذ بينما كانت الرياح القارسة وتيارات ماء النهر تدفع الموجة تلو الموجة في صراع عقيم لا يهدأ. ارتسمت ابتسامة على وجه كراوفورد بينما كان يفتح الدفتر الذي يحوي قصاصات الصحف على الصفحة التي تضم صورة جون باركر في بذلته الرسمية وقد علت وجهه ابتسامة متكلفة تشي بالانتصار وأحاط به رفاقه من حزب المحافظين. ربما كان الآن يفكر، بعد أن خسر شركته واستولى عليها الرجل الذي كان قد حاول تدميره، بأن ما يظل كامناً في الأفكار لا بد أن يُبعث من جديد، وبأن ذلك الطعم المرير الذي يستشعره في فمه، الطعم الذي لا يفارقه ليل نهار، كان طعم الهزيمة.

ومع ذلك، ما هو مغزى طعم الانتصار، طعم الفوز، بعد أن يتحقق ذلك الانتصار؟... الأرض تحت قدميك هي حيث تقف، والأفق هو حيث تتوجه. دفع بدفتر القصاصات جانباً وتناول دفتر ملاحظاته من الدرج، ولكن قبل أن ينزع غطاء القلم، رن جرس الهاتف. وضع القلم ليحيب على الهاتف.

«نعم».

«جاء الصوت بطيئاً واضح النبرات: «يبدو أن من الواجب تهنئتك».

«تهنئتي؟...».

«لقد سرت إشاعة بأن المساهمين قد اندفعوا كحيوانات اللاموس فوق هضبة كراوفورد وهم منطرحون الآن عند قدميك».

«إذا كنت تقصد أنني قد فزت، فالجواب هو نعم، لقد فزت. وعندما يحل يوم انتهاء العرض، سوف تضع أيوت يدها على بايفيلد. وستصبح بايفيلد على وشك...».

«من الناحية الفعلية... لن يكون في الأمر شيء يُذكر يا صديقي».

أجاب كراوفورد بصوت هادئ مضغم بالوعيد: «لا تحاول أن تعبت معي، إياك أن تقوم بذلك».

«أنا آسف يا صديقي». تراجعت لهجة الثقة بالنفس قليلاً في الصوت وإن خلا من أي أثر للأسف أو للاعتذار. «تلك هي السياسة. لو أنني ما زلت عضواً في تلك اللجنة البائسة لكان بإمكانني القيام بشيء ما. لم أكن عضواً فيها، بالتالي لم أتمكن من القيام بشيء».

«وهل يعني هذا أنه لن يتم إبرام العقد مع إندونيسيا؟...».

«ليس ضمن مجال الإلكترونيات. هؤلاء التافهون في تيمور الشرقية يُرهبون الجميع. والواقع أنه لا يوجد في الجو ما يشير إلى ذلك».

«هل لك أن تخبرني إذاً ما نفع بايفيلد إذا لم تفز بذلك العقد اللعين؟...» في ما عدا الشتيمة، لم يبد على كراوفورد أي انفعال.

«أعتقد أنك ستحصل على جميع المزايا التي وَعَدَتْ بها وثيقة العرض المساهمين. جيم، إذا كانت لديك أية شكوى، اذهب لمقابلة روبن كوك، فهو الشخص الذي يمسك بيده مقاليد الأمور حالياً. هذه الأمور تحصل كثيراً. لا تقلق سيكون هناك أمكنة أخرى وأوقات أخرى».

صمت كراوفورد برهة ثم قال: «أنا لا أشعر بالقلق مطلقاً - أنا أدفع الناس للشعور بالقلق». أعاد سماعه الهاتف قبل أن تتاح للطرف الآخر فرصة الإجابة.

هكذا إذاً، لن تكون هناك صفقة مع الشرق الأقصى. ليس في الأمر مشكلة، لقد كانت على أية حال فرصة، وكان هو على الدوام مغامراً. لا فائدة من العويل على ما لم يحدث. لقد قمتَ بما كان عليك القيام به: - لقد راقبتَ مياه السد وهي تجرف شقيقك بعيداً، ليدور ويدور كأنه داخل غسالة وقد أخذت صرخاته بالخفوت وهمد صراعه مع الماء شيئاً فشيئاً إلى أن أصبح أشبه بملابس طافية على سطح الماء الصقيل:

لقد راقبت عيني والدتك لدى تلقيها الخبر ولم تستطع أن تخمن معنى نظراتها. حاولت أن تهوّن من وقع الأمر يوماً بعد أسبوع بعد شهر بعد سنة، كابرت، لكن ذلك لم يجد فتيلاً، ولا حتى بعد أول كأسين. كانت تتناولهما عادة قبل الإفطار. ومع ذلك، بدأت بالعمل، وذات يوم لم يعد لوالدتك وجود لكنك كنت ما تزال تعمل، لأن ذلك كان دأبك. اكتشفت أنه عن طريق المجازفة -بالسير على حافة الجسر الضيق فوق قناة السد- كان الخطر وهدير المياه المتساقطة وبهجة تلك اللحظة، تحجب جميعها عن ذهنك أية فكرة أخرى، وكان ذلك يبعث الراحة في نفسك. والواقع أنها كانت تبعث راحة عميقة طالما لا ينصرف فكرك إلى شقيقك الأصغر وهو يقلّدك ويتأرجح فوق الألواح الخشبية المبتلة ويفتح عينيه ويفلقهما بسرعة في وجه الرذاذ، وتضيع صرخاته المطالبة بالإنقاذ - لقد ضاعت صرخاته، أليس كذلك؟... - ضاعت في هدير المياه.

جذب كراوفورد دفتر القصاصات ووضعه أمامه، فتحه، نزع غطاء القلم ورسم دائرة حول وجه باركر ودائرة أخرى حول وجه الشخص الذي كان يقف بجواره ويضع يده على كتفه باسترخاء وتعالٍ. نزع الصورة من الدفتر وكورها في يده واندفع خارجاً إلى الشرفة حيث ألقى بالصورة في مهب الرياح العاتية التي حملتها وهي تتراقص فوق سطح الماء إلى أن غابت عن نظر كراوفورد أو ابتلعها الأمواج المتلاطمة.

القبو، ٧٧ كيبيل ستريت، فيكتوريا، لندن، ٥٥: ٢٢

قالت سيليا: «أَغْرَقَ أخيه؟...».

نظر إليها هيو من فوق حاسوبه المحمول ثم توقف عن الطباعة وقال لها: «لقد غَرِقَ أخوه - وهذا أمر مختلف تماماً. كان هو موجوداً، فوق السد».

«وهل ستأتي على ذكر هذه القصة؟...».

«تحدثتُ مع أنجيلا بهذا الشأن، وقد ارتأينا أن من الجائز ذكر هذه الملاحظة، فهي، رغم كل شيء، تساعد في فهم الشخص ذاته».

الاستيلاء

«هيو، لا أدري إن كان الأمر فعلاً بالبساطة التي تتصورها. غرق أخوه، إذاً فإن كل ما قام به منذ ذلك الحين هو نوع من التعرض. لا يمكن لك بكل بساطة فهم كائن بشري بهذه السهولة».

كانت بقايا الطعام الصيني الجاهز لا تزال على المائدة - وكانت سيليا تتحدث وهي تلتقط بعض الفتات. جلس هيو إلى مكتبه لتتقيح مقالته حول النتيجة الفعلية لعملية الاستيلاء، رغم أن المحرر المالي سيؤجل نشرها إلى ما بعد يوم الانتهاء.

«لقد قلتُ إنها تساعد في فهم الشخص».

«وماذا إذا لم يعجبه ذلك؟...».

«وماذا إذا لم يعجبه ذلك؟... لا أعتقد أن مراعاة مشاعر الناس قد حالت يوماً بينه وبين القيام بما يريد القيام به. بل إن الواقع أنه يفعل العكس تماماً».

نزعت سيليا الغطاء الكرتوني عن المحار المطهو بمرق الفاصولياء السوداء. قالت:

«هيو، هل تعلم؟...».

«أن الحديث في أمور كهذه محظور إلى حين انتهاء الأمر، أليس كذلك؟...»

«بالطبع، محظور تماماً».

«ذلك الصحفي العجوز هاري بورتون، بعد أن أخبرني بقصة الفرق وبعد أن شربنا بضع كؤوس من الجعة، عدنا إلى منزله - صدقيني أن السير على ضفة التيمز بعد تناول كل تلك الكمية من البيرة ليس بالأمر السهل - وأعدّ لنا عشاء، إنها تجربة شاءت العناية الإلهية الرحيمة أن تمحوها من ذاكرتي...».

«هل تعلم ماذا اكتشفتُ بشأن الصحفيين؟...».

«أنّي لي أن أعرف... ماذا اكتشفتُ؟...».

«أنهم جميعاً يطمحون إلى أن يصبحوا روائيين، وهذا ما يجعلنا نعاني تلك الصفحات التي لا تنتهي من النثر المنمّق. دعنا من العناية الإلهية وأخبرني بالقصة».

تجههم وجه هيو، لقد أصابت منه مقتلاً. فبعد العمل في مجال التلفزيون، كان لديه حلم خفي عميق بأن يصبح أديباً روائياً.
«هيو، لا تتظاهر بأن مشاعرك قد تأذت».

«لا بأس. بعد العشاء، قصّ علي سيرة حياة كراوفورد ضمن مجال العمل السياسي. وهي الحياة التي أوهمني كراوفورد بأنها لم توجد إطلاقاً».
«لم يتم اختياره كمرشح؟...».

«ليس تماماً. لقد كان مرشحاً ثم برزت فضيحة أندريا، عندما اكتشف أحدهم، بشكل مناسب تماماً، أنهما قضيا الليلة سوية في أحد الفنادق. لم يكن هو، بحسب جميع التقارير، محبوباً لدى فئات معينة من الفرع المحلي لحزب المحافظين. أخبرتني أندريا أنه شق طريقه عنوة ليصل إلى مرتبة الترشيح، هذا لا يعني طبعاً أنه لم يكن جيداً بالاختيار...».

«كان فقط شخصاً غير محبوب من قبل بعض أصحاب المصالح في المنطقة؟...».
«الغربة في الأمر، بما أن الانتخابات جرت في عهد تاتشر، أنه لم يكن يُعتبر أحد أفراد المجموعة». فلم يكن قد وصل إلى تلك المرتبة عبر الحزب المسؤول عن الدائرة الانتخابية المحلية، لم يداهن من كانت تتوجب مدهنتهم. بالتالي، لم يشعر أحد بالأسف عندما انكشف أمر تلك الفضيحة الجنسية وأُرغم على الانسحاب من الانتخابات لصالح مرشح آخر».

«أعتقد أن شعوره كان أبعد ما يكون عن السعادة».

«لا أدري بالتحديد ماذا كان شعوره إزاء انفصائه عن زوجته. على أية حال، انسحب من الانتخابات وحلّ محله خُلفه - مثل رئيس بلدية لندن - الذي اختير نائباً في وستمنستر حسب الأصول، حيث ما زال يتربع حتى اليوم».

«هيو، لديّ شعور بأنني لم أفهم الفكرة الأساسية التي تفسّر كل ذلك».

الاستيلاء

«كان رئيس الدائرة الانتخابية الذي طرد كراوفورد هو جون باركر. وكان الشخص الذي خَلَفَ كراوفورد، باتريك كروسلي - وهو من الموالين المخلصين القدامى للحزب، ينزل في نفس الفندق الذي قضى فيه المرشح تلك الليلة السيئة. كانت العلاقة التي تربط باركر وكروسلي - تعود إلى أيام خلت - فقد كانا معاً في نفس المدرسة، وكان كلاهما شخصية مرموقة ضمن مجال الأعمال المحلي، وكلاهما عضو جماعة الماسون، أو سمّها ما شئت. أعتقد أن الصورة قد اتضحت أمامك».

«كان كراوفورد، إذاً يسعى للانتقام - أليس كذلك؟... هل كان الهدف من كل تلك الصفقة هو الانتقام لنفسه من باركر من أجل حادثة جرت قبل عشرين عاماً؟...».

«ليس تماماً. لا تنسي باتريك كروسلي، الذي كان - كما أخبرني جورج باكينهام عندما تحدثنا أمس - يشارك في إحدى اللجان التي تدرس العلائق والصفقات التجارية مع إندونيسيا، وغيرها من البلدان. نشاء الصدفة الغريبة أن يكون كروسلي مستشاراً غير رسمي لشركة كراوفورد خلال السنوات العشر الماضية. لا تسأليني عن السبب - قد يكون الشعور بالذنب بسبب الخيانة وقد يكون الجشع - فالقلب البشري هو... قلب بشري تماماً».

«هيو، لكن المحافظين ليسوا الآن في سدة الحكم، إن كنت لم تلاحظ ذلك».

«هذه زلة من السهل ارتكابها في وقتنا الحالي، لكن كروسلي لا زال لديه بعض المعارف في اللجنة، وكان من المفروض أن تعلن وزارة الخارجية أمس أنه لن يتم إبرام عقد طويل الأمد، يتعلق بالصناعات الإلكترونية، مع الحكومة الإندونيسية. وهو عقدٌ كان يُمكن، كما يدّعي باكينهام، أن يجري تلزيمة جزئياً لشركة بريطانية ذات خبرة معينة».

«بعبارة أخرى، بايفيلد؟...».

«نعم. أنتِ داهية».

«لكن إذا انكشف الأمر فسوف تكون له عواقب خطيرة».

«لا يوجد أي دليل».

«هذا سوف يدمر آمال كروسلي في إعادة الترشيح كما أنه لن يصب في مصلحة كراوفورد، هل ستأتي على ذكر هذا الأمر؟...».

«طبعاً، يقوم باكينهام حالياً بمحاولة البحث عن المزيد من الفضائح الخفية».

«وما الذي سيجنيه من وراء ذلك؟...».

«إنه يقوم بإعداد مقدمة البرنامج الوثائقي. أعتقد أنه يرغب في إزاحة باكسمان من برنامج start the week، إنه يتخيل نفسه مرشداً روحياً. إذا تمكن من العثور على شيء موثق بصورة أكيدة، فسوف نمضي قدماً، وإلا سنلجأ لمعالجة الموضوع بحذر».

ظلت سيليا جالسة وهي صامتة لمدة طويلة - أخيراً، سألتها هيو: «ما رأيك؟...».

«لا أدري. أنا أميل لذلك الوغد العجوز. أنا أحبه فعلاً ولا تسألني عن السبب. وأكره أن يمسه سوء».

«سيتهوى قليلاً في مواجهة اللكمات لكنه سينهض وسيتابع القتال».

«هيو، لا أعرف، لا أعرف فعلاً. ماذا سيحدث إذا لم يعد يدير أيوت؟...».

«دعك من هذا، لا أعتقد أنه سيتقاعد لهذا السبب. لم يسبق له في حياته أن تقادى مواجهة أية مشكلة».

«ولكن ماذا سيحدث إذا لم يكن موجوداً في موقعه من أجل المواجهة؟...».

«أعتقد أن ذلك سيضع حداً للأمر، سيُصبح نسياً منسياً».

قالت سيليا: «نسياً منسياً». بدأت بوضع علب الطعام في كيس الورق البني الذي كان يغلفها لدى إحضارها. ثم قالت: «سأتخلص من هذه العلب، إذا تركناها فسوف تملأ رائحتها المنزل».



obeikandi.com

اليوم ٣٩+

الجمعة ١٠ ديسمبر ١٨:٠٠

بايفيلد، غولد هوك ميوز، لندن

قضى جون باركر اليوم بطوله وهو أشبه ما يكون بحالة من الهستيريا يحاول التفكير بأمر خسارته لبايفيلد، بالبرود الذي ساد علاقته بهيذر في البيت والذي بدأ يؤثر على علاقته بكليير. فقد بدأت تصدر عن كليير عبارات بالغة الإحراج كقيلة بأن تجعل أي مشاهد في دار السينما يتلوى مرتبكاً في مقعده: «أبي، لماذا تتخبط أمي في البكاء؟... أبي لماذا غابت الابتسامة عن وجهك؟... أبي، أمي ماذا حصل؟...». كانت تلك العبارات السخيفة المبتذلة، عندما تصدر عن طفلة، تتحول إلى عبارات صافية صادقة تعكس وجهاً ارتخت أساريه بفعل الوضع الذي كان فيه وطغيان مشاعر الحسرة على الذات والضياع الكبير...

لم يعد يدور أي جدال بينهما، ولا حتى أي صراخ. وفي الأمسيات التي كان يعود فيها إلى المنزل في ساعات الصباح الأولى، كان الزوجان يتواجدان في نفس المكان دون أن يلمس أحدهما الآخر. بدأ يتساءل ما إذا كان من الأرحم بالنسبة لكليير أن ينتقل للإقامة في أحد الفنادق، وبإمكان هيذر أن تقول له: سافر والدك في رحلة عمل. قد تصل الأمور إلى هذا الحد.

كان على المكتب مظروفاً أبيض يحتوي على استقالته الرسمية. لم يعد هناك ما يقلق بشأنه. كانت الشروط جيدة، لقد أصبح رجلاً ثرياً، يملك من المال ما كان يحلم بامتلاكه.

الاستيلاء

قال له تيم إريكسون: «جون، ابدأً ثانية، أوجد نفسك شركة صغيرة واعمل على تميمتها». لكن تيم كان مشغولاً بعملية الاستيلاء، ولم يكن لديه، رغم كل ما يشعر به من اهتمام بشأنه، الوقت الكافي ليجلس معه ويتحدث. أما ديك وورثغتون وبيبل هاربر وأنغوس هوارد، فقد ذهبوا جميعاً. لم يبق سوى بريان هاوس وتوم سوفت، الذي بقي في معمل سويندون، وبيث ستيوارت.

كان يدرك أن موقفه في آخر اجتماع قد جرح مشاعر بيث، وقد اعتذر في ما بعد وقبلت هي الاعتذار، لكن شيئاً ما لا بد أن يطرأ على علاقتهما منذ تلك اللحظة - ولن يقتصر ذلك الشيء على كونها تمثل المستقبل بينما يمثل هو الماضي، بل إنه كان يتعلق أكثر بتلك الحقيقة البسيطة وهي أنه تعامل معها بطريقة فظة أنانية. لن تنظر إليه ثانية - أو تعجب به بأسلوبها الخاص - بنفس الطريقة التي كانت تنظر بها إليه. لقد خذل نفسه ثانية.

تقدمت السيدة هاريسون بطلب تقاعد مبكر وتركت العمل في اليوم السابق - كانت لحظة مؤلة أخرى، رغم أن الطريقة الرسمية التي كانا يتعاملان بها على الدوام وفّرت لهما إطاراً سهلاً عليهما تجاوز لحظة الفراق التي كان يمكن فيها للطرفين أن يذرّفا الدموع بكل سهولة.

لم يعد هناك حاجة للبقاء. كما أنه لم يعد هناك من مبرر للإحجام عن القيام بما كان لا يزال راغباً في القيام به. لقد كان، رغم كل شيء، رجلاً متقاعداً، ولم يكن مُلْزماً بإرضاء أي شخص آخر غير نفسه. أُلست محظوظاً يا جون باركر؟...

وقف مترنحاً على قدميه، ثم سار نحو الشماعة وتناول معطفه. كان المظروف الأبيض لا يزال ملقى على الطاولة - التقطه وسار باتجاه الباب، فتحه، أطفأ النور وسار في الممر. قرع على باب مكتب بريان هاوس ودخل مباشرة.

«جون، هل أنت على ما يرام؟...».

«أنا بأفضل حالاتي». لم يحاول الابتسام لأن الابتسامة كانت ستبدو باهتة، لكنه يستطيع على الأقل أن يخرج من شركته منتصب القامة.

«بريان أعتقد أن من الأفضل أن أقدم لك هذا، لجعل الأمر رسمياً». سلم المظروف إلى المدير غير التنفيذي.

«شكراً جون. سوف يجتمع المحاسبون معك لدراسة التفاصيل. ولا داعي لأن أقول لك، إذا احتجت لغرفة مكتب أو لمساعدة في أعمال سكرتارية من أجل أي شيء كان - لا تتردد في الاتصال بنا».

«سأتصل دون شك». ثم أضاف بسرعة، ليحول دون أية خطبة وداعية قد يفكر هاوس بإلقائها، «الأفضل أن أذهب، طابت ليلتك يا بريان».

أغلق الباب وسار في الممر. كان باب مكتب بيث موارباً وكان الظلام يسود الغرفة، لم تكن موجودة في مكتبها، وهو ما وفرّ عليه الإحراج، على الأقل. بينما كان يسير متجهاً إلى المصاعد، بدأ بعض الموظفين الإداريين يومئذون له بالتحية أو يودّعونه، لكن تعبيرات وجهه جعلتهم يتوقفون عن ذلك، سار صامتاً إلى أن بلغ المصعد وهبط إلى مكتب الاستعلامات. أوماً إليه المسؤول عن الأمن محيياً - بالنسبة له لم يكن الأمر يعني أي شيء - رغم أن هاوس لا بد أن يكون قد أخبره بما حدث، فقد هرع من خلف طاولة المكتب وقال: «هل أستدعي لك سيارة أجرة؟...».

«لا، أود أن أمشي قليلاً. شكراً لك». قال جون باركر ذلك وخرج من مملكته ليستقبل هواء ديسمبر البارد.

لن يذهب في سيارة أجرة - إنه يرغب في أن يضيع بين جموع العاملين في المكاتب والمتاجر العائدين إلى بيوتهم - مشغولين، مرهقين، راضين، آملين، قلقين، حزانى. لا يرغب سوى أن يتحول إلى واحد بين ملايين وأن يفقد ذاته. لكن الشخص الوحيد الذي لا يمكن لك أن تفقده هو ذاتك. فكّر، ها هو تعبير متداول أحرق آخر، ثم تساءل إن كان بإمكانه كيفين أن يشفيه من ذلك الشعور، مثلما

تمكن من شفائه من أشياء أخرى في تلك الليلة الرهيبة التي قضاهما مع كراوفورد. بينما كان يسير، تائهاً بين الجموع، باتجاه نفق المحطة وينزل الدرجات ويستقل القطار، عاد بذاكرته إلى اللحظة التي انحنى فيها كراوفورد فوقه وتمتم بشيء ما حول الظلمة، لكنه لم يستطع أن يتذكر كلماته بالتحديد. تذكر كيف قام، قبل سنوات، بإعلام كراوفورد الشاب بأن سلوكه لا يرقى إلى المعايير التي يتوقعون من مرشحكم الالتزام بها، وبأن عليه تقديم استقالته. هاهو الآن، المدير السابق، باركر، يمضي إلى حي سوهو في محاولة للعثور على فتى - قد يكون الشخص الوحيد في العالم الذي لا يزال بإمكانه أن يساعده، الشخص الوحيد الذي لا يزال بحاجة إليه. أن يكون هناك شخص بحاجة إليك. نعم، هذا أفضل من الجنس، من الصداقة، أفضل من الحب... أن تشعر بأن أحداً يحتاج إليك.

خرج من النفق في محطة ليسستر سكوير ودلف إلى حانة لتناول كأس بسرعة قبل أن... يستمر. كأس، كأسان، ثلاثة، ثم خرج من الحانة دون أن يبالي بتزجر معطفه، ليدخل في متاهة حي سوهو - الشوارع الضيقة الزاخرة بالضجة والأضواء والحافلة بالعقبات وكأنها آلة لعبة الكرة والدبابيس. لكن كل ذلك لا يهم - فمنذ اللحظة التي قرر فيها المجيء إلى هنا، انتابه شعور بالحرية لم ينعم به منذ تلك اللحظة التي تلقى فيها تلك المكالمات الهاتفية الأولى في ملعب الغولف. لقد تورط وانتهى الأمر - لا يمكن الآن لشيء أن يقف في طريقه، لا ابنته ولا زوجته وسمعته ولكن ماذا إذا لم يعد كافين موجوداً هنا؟... شعر بوخزة الجزع وأخذ يحث الخطى باتجاه رواق محالّ الألعاب. ماذا لو كانوا قد أغلقوا المحالّ؟... قال لنفسه، لا تكن أحمق، سوف تجد المحل في مكانه، هاهي صالة فينيسيا للألعاب، وبدا من خلف الزجاج العالم الذي كان يتمناه دوماً.

تفحص وجوه الأشخاص في الداخل - كان بعضهم منكباً على الآلات، وتحلق بعضهم على هيئة مجموعات مسترخية يجيلون النظر في ما حولهم. هل يدخل

ويسأل عن كيفن؟ ... لم لا؟ ... ما الذي سيخسره؟ ... شعر بنفسه يضحك - أحس
بلمسة على كم سترته، التفت.

«أبي...».

«بول؟...». لم يستطع أن يفهم شيئاً - ماذا كان ابنه يفعل هنا؟ ... «بول؟...».

«أبي، كنتُ في غولد هوك ميوز. اتصل تيم إريكسون بوالدتي. كان يشعر بالقلق
عليك. ذعرت والدتي ولم تدر ماذا تفعل. أنا...».

«وقف هناك، شبحاً معتماً يرتدي معطفاً طويلاً وقد بدت حافة ياقته البيضاء
الناصعة حول عنقه.

«بول، كنت... كنت...».

«أبي، لا عليك، لا بأس».

نظر في عيني بول وأدرك أنه على صواب، لا بأس. لا بأس في أن يجهش بالبكاء
ويتمسك بابنه ويتعلق به كي يعود به إلى الحياة الغالية.



obeikandi.com

يوم الانتهاء

الاثنين ١٣ ديسمبر

رصيف بتلر، لندن ، ... ٢٠

بدأ الضيوف يتوافدون في الساعة السابعة والنصف، وبحلول الساعة الثامنة، كانت الغرفة المطلّة على نهر التيمز تغص بالناس، وأخذ الندل يجولون بينهم وهم يحملون صواني وأطباق المقبلات. وقف جيم كراوفورد قرب الباب يرحب بالضيوف الوافدين، ووقفت أندريا بجواره تضيف لمستها الراقية النفيسة التي كانت تخفف وقع عبارات الترحيب الفظة التي كان كراوفورد يوجّهها للضيوف.

«أوين، لقد تأخرت، كنت أتوقع حضورك في الوقت المحدد».

«جيم، العمل يأتي في المقام الأول». صافح المصرفي كراوفورد وأرسل قبلة في الهواء إلى أندريا ثم دخل لينضم إلى حشد الحاضرين. ورفض تناول المقبلات - فالحديث يغدو صعباً عندما تكون اليدان مشغولتين، وكان هو يرغب بالقيام ببعض الاتصالات في تلك الليلة. كان أول شخص في اللائحة هي بيث ستيوارت، العضو الجديد في مجلس إدارة أيبوت الأساسي. شق بويز طريقه بين الحاضرين واتجه نحو النوافذ المطلّة على الشرفة. كانت النوافذ مفتوحة قليلاً ولمح ستيوارت في الشرفة المضاءة وقد استغرقها حديث عميق مع رجل متقدم في السن. هز بويز كتفيه، إذ أنه لم يرغب في مقاطعتهم - فالانطباعات الأولى لها حسابها وكان لديه إحساس بأن السيدة ستيوارت سوف تصبح لاعباً يُحسَبُ له حساب. عاد بنظره إلى الحاضرين ليجد نفسه في مواجهة كافين كلوني، الأكاديمي المجنون الذي يعمل في شركة كراوفورد. أوماً برأسه بهتذيب وشرع في الابتعاد عنه لكن كلوني مد يده لإيقافه.

«سيد بويز، هل بإمكانني أن أشغل دقيقة أو دقيقتين من وقتك الثمين؟...».

لم يكن بويز بالأحمق، إذ كان باستطاعته قراءة ما بين السطور، شأن أي شخص آخر، كان من الواضح أن كلوني لم يكن يتوجّه إليه بعبارات المجاملة.
أجاب: «دكتور كلوني، طبعاً». مضى الاثنان إلى زاوية هادئة نسبياً.

أخذت بيث ترتجف وهي في الشرفة، فقد بدأ البرد يلسع كتفيها العاريتين - لكن المنظر كان أخذاً ويستحق أن يتحمل المرء من أجله شعور الانزعاج، وفوق ذلك، كان تيم إريكسون قد حضر بناء على رغبتها، وهي تدرك دون شك أنه سيعود إلى منزله حالما يستطيع أن يستأذن بلباقة من مديرتة الجديدة. لوّح بقدحه الفارغ صوب جسر قلعة لندن.

«بيث، يا للمنظر البديع. ما هي كلفة الإقامة هنا برأيك؟...».

«تيم، لا يعلم سوى الله. لكنها بالتأكيد أكثر مما نستطيع أنا وأنت أن نكسبه».

قال: «لا شك أن الوضع يختلف عنه في أيام بايفيلد، فأنا لا أستطيع أن أتخيل باركر وهو يقيم مأدبة كهذه. لا شك بأنه كان سيقول بأنه يوفر النقود لصالح الشركة، ولكن... ما الذي جناه في نهاية المطاف؟...».

عبست بيث وقالت: «تيم، توقف أرجوك، يكفيني ما أشعر به من انزعاج».

«دعك من هذا، ألم أقل لك منذ البداية: سوف تسير أمورك على ما يرام؟...».

«تيم، لقد كنتَ حاضراً في آخر اجتماع».

تخيلتُ أمامها وجه باركر وقد ارتسم عليه الغضب والأحاسيس الجريئة والضعف، وهو يقول لها: «راعي اللياقة على الأقل، وانتظري إلى أن أخرج من الغرفة قبل أن تبدئي بإصدار الأوامر». منذ تلك اللحظة، حاولت عدة مرات أن تُفضي بمشاعرها لجاك، ولكن في كل مرة همّت فيها بذلك كان هو مستغرقاً في

العمل، أو شعرت هي بأنها غير واثقة من كيفية تقبله للأمر، حتى ولو تفهّم موقفها. وهكذا ظلّت مشاعرهما حبيسة صدرها، وكانت هذه الأمسية هي أول مناسبة نطقت فيها بكلمة حول الموضوع أمام شخص آخر.

«تيم، لقد خنته. لقد جلست هناك وأخبرته بأن الأمر قد انتهى».

«بيث، كان لا بد لشخص ما أن يقول ذلك».

«لم يكن هناك داع لأن أكون أنا ذلك الشخص. هل تعلم أن كراوفورد كان قد عرض عليّ منصباً في مجلس إدارته قبيل ذلك الاجتماع؟...».

«ليس على وجه اليقين، لكن كان من الواضح تماماً أن شيئاً ما قد حصل. ولم لا؟...».

«لأنني... قد جرحت أحاسيسه. تيم، لقد... لقد كان بإمكانني رؤية ذلك في عينيه».

«بيث، ما الذي يؤرقك؟... أنك فعلت ذلك أم أنك قد استطعت أن تفعل ذلك؟...».

من الجائز أننا جميعاً قد اكتشفنا بعض النواحي الجديدة في ذواتنا خلال مسار هذه العملية. من الجائز أنني اكتشفت أن ذلك...». التفت وأجال نظره في الغرفة، حيث كان حشد من الناس يدور في حركة لا تتقطع: ملابس باهظة الثمن، لمعان الذهب والفضة، أشخاص أذكىء يحاولون إبراز ذكائهم: «ليس ما كنت أسعى إليه. من الجائز أن الوقت قد حان بالنسبة لي لكي أترك العمل بمجرد انتهاء عملية الضم».

قالت بيث: «تيم، أريدك أن تبقى. أعتقد أننا بحاجة لنوع الخبرة التي تحملها».

وضع يده على كتفها وقال: «هذا لطف منك لكنه ليس صحيحاً. إذا بقيت فلن يكون أمامك سوى محاولة الخلاص مني. بيث، هذا لا يعني بالطبع أنني أعتقد أنه ليس بإمكانك القيام بذلك. أنت أكثر صلابة مما تفاخرين به أو تلومين نفسك لأجله، وخلال الأشهر القليلة القادمة، سوف تتعلمين الكثير وسوف يطيب لي أن

الاستيلاء

أقرأ عنك في الصفحات التي تعالج شؤون الأعمال». ابتسم، ثم انحنى وطبع قبلة على وجنتها. «والآن سأودع جيم كراوفورد وأذهب إلى البيت لأقرأ آخر عدد من أنغلرز تايمز. طابت ليلتك يا بيت».

استدار ودخل إلى الغرفة. طوّقت بيت نفسها بذراعيها انتقاء البرد. هل كان على حق؟... عندما عُقد الاجتماع الأول، رأت في عملية الاستيلاء رحلة عبر مناطق مجهولة، لكنها اكتشفت الآن أن الرحلة قد بدأت لتوها.

التقطت قدحها الفارغ من فوق حاجز الشرفة وعادت إلى الغرفة، مرّت قرب دايان إروي، زميلتها الجديدة التي كانت تتجاذب أطراف الحديث مع سكرتير شركة أيوت، وهو شاب يبدو الانفعال على هيئته لم تكن الفرصة قد أُتيحت بعد لبيت كي تتعرف عليه.

سألته دايان: «مرحباً بيت، هل تقضين وقتاً ممتعاً؟...».

أومأت برأسها وقالت: «ممتعاً جداً، شكراً لك». ولكن قبل أن تُتاح لها فرصة متابعة الحديث ظهر إلى جوارها فجأة كافين كلوني وأوين بوز وقاداهما بعيداً.

قالت دايان: «سيدة لطيفة، أعتقد أنها ستحقق نجاحاً مرموقاً».

قال مارك: «دعينا منها، أريد أن أتحدث بشأننا نحن».

«مارك، لا يوجد ما نتحدث عنه».

«دايان، أنا أحبك».

«لا ترفع صوتك، كلا، أنت لا تحبني. أنت تحب حقيقة أنني سمحت لك بالقيام بما كنتَ تحلم بالقيام به. هذا لا يعني أنك تحبني أنا حقيقة. بل إن هذه ليست طبيعتك الحقيقية».

حاول مارك الاعتراض، لكنها أسكتته بنظرة. «لا، أصغ إلي. أنا في الأربعين... بل جاوزتُ الأربعين... لقد قضيت حياتي عزباء. هذا أحد أسباب نجاحي في حياتي المهنية. وأنا عازمة على تحقيق المزيد. مارك، لن أغيّر طبيعتي. أنا بحاجة

لحيّز خاص بي، ولوقت خاص بي. أحب أن أكون وحيدة، لا أحب أن أتعثر بثياب الآخرين، ولا أحب وجود آخرين في حياتي. أُحِبُّ أصدقائي و... وأعتقد أنك صديق، وأعترف بأنني ارتكبتُ حماقة عندما جعلتُ من الصديق عشيقاً. لا تغضب - أو اغضب إذا شئت ولكن تمالك نفسك وأصغ إلي. لم يكن في الأمر أكثر من علاقة جنسية. إذا تظاهرنّا بأن ذلك كان حباً، فسينغص ذلك حياتنا، ولا يعلم سوى الله كيف سيؤثر ذلك على أسرته».

«إنها لا... مانجيت لا...».

«مارك، دعك من هذا، هل تحاول أن تقول لي: إن زوجتك لا تفهمك؟...».

بدا للحظة وكأن مارك سينفجر غاضباً، لكنه تماسك وهز رأسه قائلاً: «لقد بدأنا منذ مدة بالتباعد. مانجيت، الطفلان... لا يبدو أن بإمكاننا التواصل بعد الآن».

«إنها مشكلة إدارية. ستجدون حلاً لها».

«دايان، ألا يمكنك أن تلاحظي مدى ألمي وعذابي؟...».

«بلى ألاحظ. ولا تظن أن الأمر هيّن بالنسبة لي. قد تكون مجرد علاقة جنسية لكنها كانت رائعة ولست أمانع أن يستمر الأمر مدة أطول، غير أن الوضع لن يستمر على هذا النحو. هنالك بعض الأشياء وبعض الأشخاص ممن ترغب فيهم بشدة - غير أنك لا تستطيع الحصول عليهم، ينبغي لك أن تتعايش مع هذه الفكرة».

قال مارك: «لا أدري إن كنت أستطيع ذلك».

ارتسمت على وجه دايان ابتسامة عذبة حزينة وقالت: «أعتقد أنك ستصاب بالدهشة عندما تكتشف الأمور التي تستطيع التعايش معها عندما تضطر لذلك».

«دايان إيلروي؟... لم يسبق لنا أن التقينا. أنا سيليا هارت، أعمل محللة لدى ويموث».

ألقت دايان نظرة خاطفة على الشابة التي ترتدي ثوباً قصيراً وضيقاً بدا كأنه مرسوم على جسدها رسماً. «طبعاً، أنت تؤدي بعض الأعمال لجيم، أليس كذلك؟...».

«صحيح. كنت أتساءل عما إذا كان بوسعي أن أتبادل وإياك بضع كلمات. لقد أشار أون بورز إلى أن بعض الأشخاص في مجلس الإدارة قد يفكرون بإجراء تغيير...».

تبادلت دايان ومارك نظرة شك. كانت هارت ضمن فرق كراوفورد - ما هي مصلحتها في التغيير؟... ما من شك بأن تصرفها لم يكن ودياً. هل كانت تلك هي الطلقة التحذيرية الأولى؟...

قالت دايان: «لا أعرف إن كانت هناك أية فائدة في الحديث عن ذلك الآن بما أنني لا أستطيع فعلاً أن أؤكد...».

«دايان، اسمعيني، أنا أحب جيم كراوفورد - وأحب مهنتي أيضاً. لكن الحاصل هو أنني أعتقد أن مصالحك ورغباتي والإمكانات المستقبلية لمهنتي قد تكون سائرة في الاتجاه ذاته، أنا أريد مساعدته، لكن المفارقة هي أن الطريقة الوحيدة التي أستطيع بها مساعدته هي في مساعدتك أنت».

فكرت دايان قليلاً. إلى أي مدى ينبغي لها الوثوق بهذه السيدة الشابة؟... نظرت عبر الغرفة فرأت كافين كلوني يحدق فيها وهو يتناول سمك السلمون المدخن وكريمة الجبن. ابتسم وأومأ لها ثم مال برأسه نحو سيليا هارت وكأنه يقول: لا بأس، تابعي، أصغي إليها، مهما كلف الأمر. أصغت دايان إليها.

التهم كلوني الجبن بلقمة واحدة واستدار ليوواجه ألبوري: «بيتر، الحفل رائع، لكنني أتساءل، من دفع التكاليف؟...».

ارتسمت على وجه ألبوري ابتسامة مبهمة ثم قال: «يبدو كأنهم في حاجة إليّ. أعتقد أن جيم سيلقي خطبة. كيفن، هل لك أن تعذرني؟...».

وضع كلوني إصبعه على كتف بذلة ألبوري الأنيقة ليمنعه من الذهاب: «بيتر، أرجوك، أعتقد أن لدينا لحظة ثمينة يجب استغلالها قبل أن يستهل الرجل العظيم كلامه. هل لك أن ترافقني إلى الشرفة؟...». ثم قاد المدير المتردد بذات الإصبع عبْرالجمع باتجاه النوافذ الزجاجية. بينما هما يسيران التقت عيناه بعيني دايان فأشار إليها بأن تتضمن إليهما.

كانت بيت تراقبهم، وعندما أوماً إليها كلوني، لحقت بالمجموعة إلى الشرفة. كانت هذه الحفلة -وبخاصة محادثتها الأخيرة مع كلوني- تتكشف عن درس بليغ يفوق توقعاتها. لقد أثارت كلمات تيم حول الخيانة قلقاً عميقاً في نفسها. لا شك بأن جون باركر كان سيترك منصبه بأي حال من الأحوال، وقد كان من قبيل الكياسة واللياقة، بمعنى ما، أن تكون هي الشخص الذي كشف هذه الحقيقة. فبالرغم من كل شيء، خرجت هي من الموضوع برمته في وضع أفضل من أوضاع جميع أعضاء مجلس الإدارة. كانت هذه هي الجائزة التي حصلت عليها - مكان قريب من الشمس، منصب في مجلس إدارة كراوفورد، فرصة لترسل بصرها نحو النجوم. ومع ذلك، ففي اللحظة التي وطيَّت قدمها فيها منزل رجل الأعمال، سارع كافين كلوني لتجنيدها لارتكاب جريمة جديدة. هل كانت تلك هي الطريقة التي تُدار بها الأعمال، دوامة لاتنتهي من الضواري والفرائس، مسار تطوُّري حلزوني لا يأبه بالفرد قدر ما يأبه الكوْنُ بمحاربة؟... وإذا كان الأمر كذلك، فهل هذا هو ما ترغب به حقاً؟...

ارتجفت من البرد عندما تركتْ دفعء الغرفة. لقد كانت تقضي على الشرفة وقتاً أطول مما -ولكن، فكَّرتْ، كانت المجموعة الموجودة هنا أفضل- أو على الأقل، أكثر قدرة على الأذى. كان فيليب غودمان، مدير المبيعات والتسويق الشاب، متكئاً على حاجز الشرفة يتأمل النهر.

نظر إلى بيت، وابتسم كسمكة قرش جائعة ثم قال: «مرحباً، هل تقضين وقتاً ممتعاً؟...».

أجابت: «هذه الحفلة من أمتع ما حضرت. يعجبني موضوع الحفلة».

«وهل لها موضوع؟...».

«إيطاليا عصر النهضة - آل بورجيا، الكأس المسمومة، الخنجر المغروز في الظهر».

قهقهه كافين كلوني من خلفها قائلاً: «أحسنت يا عزيزتي. هذا هو الوضع فعلاً».

«سيد كلوني، أنا أعني ما أقول».

قال: «بالطبع أنت تعنين ما تقولينه. نحن جميعاً نعني ما نقول لأننا أشخاص

جديون، أليس كذلك يا بيتير؟...».

أوماً بيتير برأسه بصورة تدعو للثناء.

فُتح الباب خلفهم ثم أُغلق لينضم إلى المجموعة أوين بويز وكولين بوروز. تظاهر المصرفي بأنه يرتعد برداً وقال: «هل نستطيع إنهاء الأمر بسرعة، أكاد أتجمد...».

عندما لاحظ وجود بيت، أنهى عبارته بصوت خافت: «الطقس شديد البرودة». لم يبدُ بوروز، خبير المصادر البشرية الرصين، مكترئاً بدرجة الحرارة. فقد كانت سترته مفتوحة ولم يكن يرتدي سوى قميص أبيض رقيق. «الأمر لا يعدو سماع ما يود كافين قوله... ونحن، كما أعرف، متفقون، أليس كذلك؟...».

قال غودمان: «لمصلحة الشركة، على كراوفورد أن يترك العمل فيها».

«تعلمون جميعاً أنه سيقاوم...». بدا للحظة وكأن ألبري كان على وشك أن يرفع قبضتيه كملاكهم ربح المباراة - ثم بدا وكأن الاحتجاج تسرب من مسامات جلده وعاد ليهوي من جديد: «ربما... ربما تنشأ مشاكل جراء ذلك، ما زلت أجهل إن كان...».

قال كلوني: «بيتير، لقد تجاوز الأمر هذه المرحلة. إن حقيقة كوننا قد اجتمعنا هنا، حقيقة أننا نشكل عصابة متآمرة، بالمعنى المتعارف عليه، تعني أننا سنشكل تهديداً لجيم كراوفورد، عاجلاً أم آجلاً. ولن يكون بمقدوره أن يُقَرَّ هذه...».

أكمل ألبري العبارة: «الخيانة؟...».

قال كلوني: «الخيانة لا تؤتي ثمارها على الإطلاق، والسبب؟... لأنها إذا آتت ثمارها فلن يجزؤ أحد على نعتها بالخيانة بالتالي، ها أنت ترى يا بيتر أن كل ما علينا أن نجسسه هو الفشل. وإذا نحن لم نتكاتف إزاء هذه المسألة، فإن جيم كراوفورد سيعمل جاهداً على أن يعلقنا من رقابنا كلاً على حدة».

قال غودمان: «عليه أن يترك العمل في الشركة. حان الوقت لذلك. لقد أذى، حتى الآن، عملاً لا بأس به ولكن ليس هناك من يساوره أي شك بهذا الخصوص، سواء هنا أم في مركز المدينة التجاري، أليس كذلك يا أوين؟...».

أوماً المصرفي برأسه موافقاً، ثم قال: «تماماً. المصرف...». لوح بيده في الهواء كأنه يقول: «نحن ندعمكم ما دام النصر حليفكم».

تابع غودمان حديثه: «من الواضح أننا دفعنا أكثر مما ينبغي للحصول على بايفيلد. لقد كان عملاً متهوراً خالياً من روح المسؤولية...».

قال كلوني: «يحمل طابع القرصنة. لاشك بأنه عمل رائع ويستحق الإعجاب وإن بأسلوبه الخاص - لكن لا تنطبق عليه مفاهيم عالم الأعمال كما نعرفها».

اختتم غودمان حديثه قائلاً: «السؤال الوحيد هنا، هل يوافق على أن يترك الشركة؟...».

ومثلما كان مفترضاً، كان كولين بوروز هو الذي قال ما ينبغي قوله: «إذا صوّت أعضاء مجلس الإدارة على إقصائه، فسيترك. هذا كل ما في الأمر».

رد عليه ألبوري: «يا لها من دعاية سيئة». كان من الجليّ أنه استنفد ما لديه من وسائل الدفاع. إلا أن حجته لم تكن بالواهيّة: فنشوب معركة عشوائية داخل غرفة مجلس الإدارة بُعِيدَ إتمام عملية الاستيلاء لن يشجع على خلق الثقة كما أن ذلك سينعكس على أسعار الأسهم.

قالت دايان: «سوف يترك الشركة. سيقاوم في البداية، وسنتيح له هذه الميزة، ولكن عندما تصل الأمور إلى...».

نظرت إلى كلوني الذي تابع الموضوع الذي أثارتته: «لقد تحدثت أنا والسيدة إيلروي مع شخص لديه معلومات تتعلق بعقود معينة بين جيم وبين، هل بإمكاننا أن نطلق عليه اسم: نهريٌّ آخر؟...».

قالت دايان: «كافين، كن أكثر وضوحاً وقل شيئاً يمكن لنا جميعاً أن نفهمه، ماذا تعني كلمة نهريٌّ اللعينة هذه؟...».

وضعت ملاحظتها حداً لجو التوتر الذي خيم على المجموعة الواقفة على الشرفة وضع الجميع بالضحك.

قالت بيت: «هذا أفضل. فلن نبدو، على الأقل، بمظهر من يتأمر لاغتيال طاغية في هذه اللحظة».

عاد كلوني لمتابعة حديثه والابتسامة لا تزال تعلو وجهه: «تعني الشخص القاطن على ضفة النهر. الجرذ والخلد في كتاب الريح بين شجر الصفصاف. الفكرة هنا، إذا رغبتم في أن أكون أكثر وضوحاً، هي أن لدينا معلومات تجعل من ضرورة ترك كراوفورد للشركة أمراً محتملاً من الناحية الفعلية».

سألته بيت: «من الناحية الفعلية؟...».

قال كلوني: «نعم، طبعاً لا شيء مؤكد في هذه الحياة. ولكن إذا صحّت المعلومات التي نقلها إلينا مُخبرُنا -بدافع نبيل طبعاً- عندها قد يجد، حتى جيم كراوفورد نفسه، في مواجهة ما ليس منه بدّ. غير أن هذا يدخل ضمن الحسابات المستقبلية. الآن، وبعد انضمام السيدة ستيوارت إلى مجموعتنا، أصبح لدينا من الأصوات ما يكفي لإقصاء كراوفورد عن منصبه، ما دام كلُّ منا مستعداً للصبر على المكار».

نظر كلوني إلى بيت فأومأت برأسها موافقة. كانت الأحداث تتدافع حولها بسرعة، بحيث لم تعد قادرة على متابعة ما يدور في ذهنها من أفكار، أو لعلها لم تعد تعباً بالتفكير في هذا الأمر، لأنها إن فعلت فسوف يتعين عليها الاعتراف بأن

ذلك يبدو أكثر إثارة من التوجّه يومياً إلى مكان العمل وقضاء ثمان إلى عشر ساعات في تدقيق جداول الميزانية. كان ذلك هو الرد على سؤال طرحته على نفسها قبل دقائق: هل كان هذا فعلاً ما ترغب به؟... كان أملها الوحيد ألا ينقلب ذلك إلى عادة، أو حتى إلى إدمان. تساءلت في سرها لبرهة إن كانت تلك هي الكيفية التي بدأ بها مسار جيم كراوفورد.

أنهى غودمان الحديث قائلاً: «أنا موافق، في الاجتماع القادم لمجلس الإدارة سنطالب بإجراء تصويت على حجب الثقة. أعتقد أن الوقت قد حان لنعود إلى الداخل، وإلا أدرك جيم ما نحن بصدد القيام به وعندها يقفل علينا الباب ويتركنا هنا لنتجمد قبل بزوغ الفجر».

ضحك الجميع - لكنها كانت ضحكة تتم عن القلق، وعندما أخذوا ينسلّون من الشرفة بهدوء عائدين إلى حيث الدفء والضجيج وجو الاحتفال، كان يلفهم جوٌّ من التآمر السري. أصبح الحشد أكثر ازدحاماً، رأت بيت بوبي كينغ، بقوامها الصغير النحيل، تقف مع رجل طويل القامة لوحث الشمس وجهه - أشارت بوبي بيدها وقالت: «بيت، تعالي لأعرفك على بيرى، زوجي السابق. لقد قررنا...».

تعالي صوت كراوفورد مدوياً في أرجاء الغرفة مقاطعاً بوبي قبل أن تكشف عن مفاجأتها: «سيداتي وسادتي، شكراً لحضوركم. قبل أن تُفرطوا في -» رمقته أندريا بنظرة تحذيرية. ابتسم وتابع: «قبل أن تباشروا بتحقيق الهدف الحقيقي من هذه الأمسية، أودُّ قول بضع كلمات حول المعركة التي خضناها لتوّنا وربحناها...».



obeikandi.com

عالم
الأعمال المعاصر



obeikandi.com

لا يشعر معظمنا بالعداء تجاه عالم الأعمال - فنحن إما أننا نعمل في قطاع الشركات، أو أننا نعتمد في معيشتنا على هذا القطاع. لكن هناك نزعة لتعقيد عالم الشركات دونما موجب لذلك، ولإقصاء أي أثر للبهجة في ذلك العالم، وللتوصل إلى استنتاج خاطئ مفاده أن معظم المشاكل المتعلقة بالأعمال، هي مشاكل فريدة، مع أنها ليست كذلك.

تتمتع الشركات الناجحة بعددٍ من المزايا المشتركة، فهي قادرة على اختيار الأشخاص المناسبين، وعلى تسعير منتجاتها بشكل صحيح ووضعها في مواقع مناسبة، وعلى الإحساس بالشغف تجاه هذه المنتجات، وعلى تحديد الأهداف التي يمكن تحقيقها وعلى تعديل الإستراتيجية بحيث تلائم الظروف المتغيرة. الشركات المحظوظة تقيم بنيانها حول الأقسام الناجحة من الأعمال - أي حول لبنات البناء. ومن سوء الحظ، أن هناك العديد من الشركات التي لا تعرف كيف تنمو، بل تعرف فقط كيف تسيطر.

الشركة بحاجة إلى أن يكون لديها رؤيا، وينبغي للمدراء أن يكونوا مبدعين. من السهل القضاء على أية فكرة. إن المملكة المتحدة، رغم النجاحات الباهرة حقاً التي حققتها بعض الشركات، لا تزال تتمسك بفكرة أن هناك خاصية مميزة تدفع إلى الفشل وهي لا تفرق دائماً بين الفشل الناجم عن انعدام الكفاءة وذاك الناجم عن الجسارة الحيوية. الفشل من النوع الأول، إذا كان على مستوى مجلس الإدارة، ينال مكافأته. أما النوع الثاني، فإنه يُدان. ومع ذلك، فإن علينا أن نفرّق بين النوعين، كما أنه ينبغي لنا ألا ندفع المرتبات لمدراءنا لكي يدافعوا عن النظام القديم، بل لكي يتحدثونه.

وفضلاً عما سبق، فإن الشركات الناجحة تُبدي خصائص إضافية، وغالباً ما يبدو من الواضح أنها خصائص تكاد تكون متكاملة. فهذه الشركات تفخر بقيامها بحل المشاكل بنفسها بدل أن تتشد النصح لدى أشخاص خارج الشركة، وبذلك تصبح الحلول جزءاً من الأفكار السائدة في الشركة. شركة أيوت لم ترتق إلى هذا المستوى من أسلوب التصرف، بينما أخفقت شركة بايفيلد في إدراك وجود بعض المشاكل المعينة.

الاستيلاء

لا شك بأن النجاح يجب أن يُعامل بحذر، لأن بإمكانه أن يجعل الشركة، أو الفرد، أميل للكسل. قد تبدو الشركة أحياناً أكثر نجاحاً مما هي في الواقع وذلك لضعف المنافسة، أو لأنها تقيس أداؤها بمعايير تضعها هي نفسها، ناسية حقيقة أن المنافسة لا تقف عند حد معين.

والشركات العادية مثل، بايفيلد، لا تتعلم من الشركات سريعة النمو، حتى ولو كانت هذه الأخيرة منطلقة كالشهب، فهي هنا اليوم، لتمضي غداً. هناك عدد ضئيل من الشركات التي تعرف الكثير بشأن المنافسة ضمن القطاع الذي تعمل فيه، وهناك عدد أقل من الشركات التي تكلف نفسها عناء سؤال الشركات الناجحة عن سبب نجاحها. المفاجأة في الأمر، أن الشركات الأخيرة لا تمنع في شرح تلك الأسباب. نحن نعيش في عالم تتغير فيه الأمور بسرعة، حيث يدفع التنافس بالشركات لالتهام بعضها البعض، حيث تكون الأسماء الكبيرة هي الأكثر عرضة للأذى، وحيث يمكن أن يحدث ما لا يخطر في البال، بأسرع مما يتوقعه أحد.

تقوم شركات عديدة باتخاذ الإجراءات التقليدية بما تتطلبه من دأب وذلك في حال صفقة شراء محتملة، لكنها تنسى أن تمضي في تلك الإجراءات أبعد قليلاً لمعرفة ما إذا كانت الأفكار السائدة في كلٍّ من الشركتين تتماشى مع بعضها. من وجهة النظر التجارية، مازال من المعقول مواصلة العمل دون هذا التدبير، لكن على المشتري أن يعي المشاكل المترتبة على ذلك وأن يقوم في ما بعد بتوظيف أشخاص مختلفين، إن أمكن الأمر. لم تبد على كراوفورد أية بادرة تنبئ بأنه قام بتحليل عملية الاستيلاء على بايفيلد بتلك الطريقة. ما يبعث على الأسى، وهو ما يحصل في غالب الأحيان، أن خيرة الأشخاص إما أنهم يتركون الشركة بعد عملية الاستيلاء أو، كما في حالة بيت، قبل إتمام هذه العملية. علينا أن نتذكر أيضاً، لدى شراء شركة ذات أفكار سائدة متميزة - وذات أسماء تجارية ناجحة على الأرجح - أن من الواجب أن تبدو وكأننا نقوم بإدارتها بصورة متحفظة نوعاً ما. فقد يتقبل الزبائن منطق ومزايا أفكار مختلفة تعمل خلف الكواليس، لكن ما يريدهونه حقاً هو أن يجري فقط صقل أو تحسين منتوجهم أو خدمتهم، «شركتهم»، لا أن يجري العبث بها.

إن أية مزايا تنافسية، تتمتع بها شركة ما، يمكن فقدانها بسهولة. ففترة صلاحية معظم المنتجات والأفكار أصبحت أقصر منها في أي وقت مضى، كما أن العديد من الوسائل اللازمة لتحقيق المزية الأصلية أصبحت متوفرة بصورة متساوية ضمن ميدان المنافسة. إن قصر فترة الصلاحية يؤدي إلى ارتفاع تكاليف الوحدة، يمكن خفض هذا الارتفاع عن طريق تقنيات إنتاج جديدة تؤدي بدورها إلى خفض تكاليف المنتج. أي أننا نعود إلى المربع الأول دون ربح صاف. إن تحقيق ذلك واكتساب معرفة شاملة على أساس يومي هما نعمة ذات طبيعة مزدوجة. فهي لا تتوفر فقط من أجل المنافسة، بل إنها قد تمنع الشركة من رؤية النقاط الأساسية بشكل بسيط واضح.

تواجه بعض الشركات الفشل لأن المصاريف غير المباشرة تزداد دون توقف. وهذا شيء يحدث بسهولة. يحاول عادة بعض الزملاء -الذين يميلون للكلام- أن يجادلوا بأن زيادة النفقات هي أمر ضروري قبل تحقيق الوفرة أو زيادة الأرباح لكن زيادة الأرباح لا تتحقق غالباً.

إن نجاح الشركات منوط، في نهاية الأمر، بالأشخاص. فمجلس الإدارة يغلب أن يكون جديراً بمن يضم من أشخاص ومجموعات، سواء كان هؤلاء جيدين أم سيئين. على الشركة أن توظف دائماً خيرة الأشخاص الذين تستطيع دفع أجورهم، دون أن تغفل عما يمكن أن تحويه السير المهنية من كذب ومغالاة. قلة فقط من السير المهنية تأتي على ذكر حالة فشل واحدة.

إن الشركات قد لا تكون، من حيث ميولها، ذات طبيعة إدارية تنظيمية، لكنها جميعاً ينبغي أن تتمتع بالفطنة وأن تتماشى مع التغيير، وإلا اعتُبرت فاشلة وأصبحت أقل ربحية وواجهت صعوبات في إغراء خيرة الموظفين في العمل لديها أو في استبقائهم فضلاً عن أنها تصبح عرضة للاستيلاء أو للتصفية.

يُعتبر كراوفورد نموذجاً لرجل الأعمال العصري، فهو يدرك بوضوح أن مستوى التعليم الرسمي الذي يتمتع به يعتبر ضئيلاً، وهو يعاني، نتيجة ذلك، من عقدة الدونية، لكنه يوجه انتقادات لاذعة للأشخاص الذين يتمتعون بمزايا تعليمية والذين

تمكّن هو من تخطّيتهم عن طريق مغامراته في ميدان الأعمال. الأشخاص من نوع كراوفورد تحدوهم رغبة دائمة لإثبات أنفسهم، حتى إنهم يصبحون عدوانيين في بعض الأحيان. لكن كراوفورد يذكّرنا أيضاً بأن قلة فقط من رجال الأعمال قد تلقوا تعليماً رسمياً، وبأن هؤلاء أشخاصٌ يهتمون بالأفكار وبأن المدارس الثانوية ومعاهد تدريس الأعمال لا تقوم باختبار المهارات اللازمة للنجاح أو بتطوير هذه المهارات - وهي حب البحث والدأب الذي لا يلين المقروّن بالتفكير الحيادي. إن أفضل الشخصيات من نوع كراوفورد تقرُّ بأنها ترتكب الأخطاء يومياً وبأنها تحكم على نفسها حسب الكيفية التي تستجيب فيها لما يُعتبر بالنسبة لها فرصة سانحة.

كما أن هؤلاء الأشخاص يختارون أن يهيئوا لحدوث الأمور، وأن ينتقوا مساراً من بين عدة مسارات للعمل، قد لا يُعدُّ المسار الأفضل، ويشعرون بأنهم واثقين من صواب الفكرة. وهم يعيشون هذا المفهوم طوال الساعات الأربع والعشرين بل إنهم قد يختارون لتنفيذ أفكارهم أشخاصاً لا يمكن توظيفهم من الناحية العملية، لكنهم يشتركون معهم في رؤياهم وفي طاقاتهم. أي الأشخاص المناسبين لأفكار من هذا النوع.

يمكن للمدراء كسب الولاء، بل والمزيد من الجهد المبذول إذا اعتقد الآخرون بأن هؤلاء يكافحون لصالح زملائهم، أو إذا قاموا بتكليف آخرين بالعمل بغية تطوير المواهب المتوفرة. هناك كثير من الأشخاص، ويكونون عادة من المدراء، ممن يعتقدون بأن من المستحيل الاستغناء عنهم، لكنهم ليسوا كذلك. تراهم، على أقل تقدير، إذا تركوا العمل، وعندما يتركون العمل، يُتلفون كل ما لديهم من أوراق وذلك لتهيئة الفرصة لاستمرار تلك الأسطورة.

إن رجال الأعمال، من نوع كراوفورد، يحسنون ابتداع الأفكار لكنهم يفتقرون غالباً للمهارة في رسم التفاصيل وهم بحاجة لأن يحيطوا أنفسهم بأشخاص تقليديين من أجل إدارة ذلك التنظيم الإداري -دون أن يقوموا بإعاقته- إلى أن يحين الوقت الذي يصبح فيه من الضروري الاستعانة بخبرات مختلفة وتعيين موظفين جدد.

واختيار الناجحين للعمل ضمن فريق ليس بالمهمة السهلة. فنوعية الأداء السابق لا تشكل دائماً مؤشراً صادقاً للنجاح المستقبلي. فبعض الناس لا يحالفهم النجاح عندما يُعيدون الكرة. فقد لا تجتمع نفس العوامل بنفس الطريقة. وقد يكون الشخص في غاية النجاح، لكنه لا يحتاج إلى العمل حاجة ملحة، أو أنه قد يتمتع بخبرة ضمن مجال شركة واحدة فقط، بالتالي ليس مطلعاً على أجواء أو قطاعات الشركات الأخرى. ونحن لا يمكننا أبداً أن نكون واثقين بأن المجموعة الجديدة التي نشأت عن اندماج أيوت وبايفيلد سيكتب لها الازدهار.

يمكن القول، إلى حد ما: إن أفضل وقت للتواجد في إحدى الشركات هو عندما تواجه الشركة وقتاً عصيباً أو غير مضمون العواقب. إذ إنَّ هناك تحدُّ أكبر ومنحنى بياني حادُّ الارتفاع في ما يخص مستوى التعلم. ومما لا شك فيه أن كلاً من بيث ودايان سوف تعود بفكرها إلى تلك الأيام القليلة، التي استغرقتها عملية الاستيلاء، وهي تشعر بالافتتان بل وحتى بالعرفان.

هناك نواح نفسية متضمنة في عملية إدارة شركة ما. عليك، أولاً، أن تكون عصائياً عندما يتعلق الأمر بزيائتك وذلك لضمان استمرار الولاء لكسب الفائدة التي تصبو إليها في نهاية المطاف. اعمل على اكتساب المشاعر الودية واخلع عليها قيمة كبيرة. كن حذراً بشأن البيانات المتعلقة بالمستقبل التي تُقدِّمها، لأن مثل هذه البيانات قد تعود لتبرز أمامك كالأشباح. فالبيانات هي مسألة نبوءات وهي آراء، وليست وقائع. فقد تعتمد على عوامل لا سبيل إلى التكهّن بها، كالكيفية التي تستمر بها المبيعات، مثلاً، أو الكيفية التي تعمل معدلات الصرف على أساسها.

الجبأ للدعابة لدى طرح مسائل غير مستساغة. أصغ إلى كافة المستويات، بما في ذلك حركات الجسم التي تشي بالمعاني. الزم الحذر واعلم أننا جميعاً نتحول إلى أغرار خارج مجالات خبراتنا. لكن لا تسمح لنفسك بأن تصبح رهينة لأية مهارات فنية قد تتوافر لأحد الزملاء.

الاستيلاء

لا تتشبث برأيك إذا طرأ أمر مفاجئ. إذا كان الوضع بالغ السوء، تمالك نفسك وتحمل المكاره. لا تقم بعمل خاسر حتى ولو كان باسم المشاعر الودية أو الأعمال المستقبلية. ركّز على زبائنك الأساسيين لدرجة تكون فيها مستعداً لخسارة زبائن آخرين. اقض الوقت حيث يمكن لك أن ترجح المال، وسوف يُرضي ذلك زبائنك الأساسيين. إذا تملكك الخوف من عدد زبائنك الكبير، نظراً لما يتمتعون به من موقع حيوي بالنسبة لشركتك، فإنهم سيرغمونك على التورط في موقف خاسر. لا شك بأن الأمر شاق، لكن عليك أن تتصدى لهم بثبات.

عليك أن تدرك أن الناس لا يعملون بصورة جيدة إذا لم يُطلب منهم سوى العمل بنسبة لا تتجاوز ٧٠٪ من طاقتهم، أو إذا طُلب منهم العمل بنسبة تصل إلى ١١٠٪ من طاقتهم، الناس بحاجة للتوازن السليم. لكن من المجزي أن تطلب من الناس أن يعملوا بمقدار يفوق الطاقة التي يتصورون بأنهم يتمتعون بها، فمعظمنا قادر على إنجاز أكثر مما يتصور هو نفسه.

لدى اتخاذ القرارات، لا تكن متسرعاً ولا شديد التباطؤ. قبل اتخاذ القرار، قم بدورة حول طاولة المكتب، مرة بعد مرة، وأعمل فكرك في الأمر. امنح نفسك وقتاً للتفكير واعلم أن الزملاء الأصغر منك سناً يميلون غالباً لأن يكونوا نافذي الصبر. تحكم بهذا التوتر وسخره لمصلحتك.

تذكر أن الزملاء ممن هم في منتصف العمر، الذين يشغلون مناصب عليا، يرغبون في أن يصبحوا رجال دولة، لا أن يستيقظوا في الساعة الخامسة صباحاً ويعملوا لمدة اثنتي عشرة ساعة، شأن من هم في الخامسة والثلاثين من العمر. كلما ازدادت نجاحاً أصبحت أكثر جاذبية، سيحاول الآخرون التقرب منك. ولكن، مثلما تنتهي معظم الحيوانات السياسية بالفشل، كذلك تلقى معظم حيوات رجال الأعمال المصير ذاته. إذاً، اعتن بالأصدقاء الذين كنت تعرفهم قبل أن تبلغ من النجاح هذا المبلغ. ولا تغفل، بشكل خاص، عن زوجتك -أو عن زوجك- التي قد تتغير نحو الأسوأ عندما تكون أنت في القمة.

إن الانطباعات الأولى عن الشركات -كما هو الحال بالنسبة للأشخاص- هي انطباعات صحيحة في العادة، حتى ولو كان لكل شركة مثالبها الخفية. إلا أن معظم هذه الانطباعات لا تُعتبر غير موثوقة من وجهة النظر التجارية، حتى ولو كان بإمكانها أن تحول دون رغبة الشركة في تحسين صورتها - عبر القيام برعاية برامج معينة. هناك شركات كثيرة ناجحة أحجمت عن تجاوز المستوى العام للشركات نتيجة قلق لا مبرر له إزاء وجود سوء نية يكاد يكون وهمياً. وإذا حدث أن تكلمت عنك الصحافة بسوء، فلا تدغدغ غرورك بالادعاء بأن العالم سيتذكر كل ذلك أو يهتم به بعد مرور شهر، قد تتذكر أنت، لكن وسائل الإعلام والناس لن يتذكروا.

وسائل الإعلام تشغل موقعاً مهماً في دفتر الحسابات، كما أن بإمكان التعليقات الصحفية، على المدى القصير، أن تتمتع بتأثير قد يكون مفيداً أو مؤذياً. والشركات تدفع لمؤسسات العلاقات العامة من أجل إكسابها الشهرة - رغم أن عليها أن تدفع لها مبالغ أكبر لكي تبقيها هذه المؤسسات بعيدة عن مرمى الصحافة. إذا نشرت الصحافة عن شركتك خبراً سيئاً، سواء أكان صادقاً أم لا، فقد يكون له تأثير مدمر على المدى القصير، وخاصة إذا جاء ذلك بصورة مفاجئة لا يتوقعها أحد، في هذه الحالة، يمكن لأسعار الأسهم أن تهبط كما يمكن أن توجه للمدراء تهمة الإهمال.

إذاً، يُعتبر أسلوب إدارة المجازفة أمراً حاسماً، فالأمر يتطلب إجراء تدقيق حسابات متطور داخل الشركة. والواقع أن تعبير تدقيق حسابات هو تعبير تنقصه الدقة، فهو يعطي الانطباع بأن الأمر لا يعدو الاعتبار المالية. بإمكان تدقيق الحسابات أن يشمل أي شيء، إما لكشف مكن الخلل أو لمعرفة كيفية منع المشكلة - باختصار، يمكن لتدقيق الحسابات أن يقوم بفعالية الضوابط الداخلية. أحياناً، يمكن لعمليات التدقيق أن تعوق اتخاذ القرارات وأن تكون مُكَلِّفة - بالتالي تؤدي إلى نشوء مجال جديد، وهو التنظيم، حيث لا يتحقق النصر سوى للمستشارين.

هل تظن أن الزبون إذا شعر بالرضى عن منتج ما، فإنه سيشتري آخر بصورة آلية؟... يجب أن يكون المنتج التالي ذا نوعية يرى فيها الزبون النوعية المنطقية التي يمكن لك إنتاجها.

الاستيلاء

عليك إيجاد ما يغري الزبون بتغيير مسلكه. وليس هناك فائدة من فرض سعرٍ على ما كان يُمنح مجاناً من قبل. عليك، بدل ذلك، أن تتدبر أمر إحداث التغيير بحيث يكون الزبون راضياً، الاختبار الفاصل في هذه الحالة هو قيام زبائنك بتزكية شركتك.

وبذكر أنه مهما عظمت المنافسة ومهما كانت درجة التأثير الذي تمارسه العوامل الخارجية، أو حتى الشخصية، على إمكانية الأداء التي تتمتع بها، فإن منافسيك، في نهاية المطاف، تساورهم أيضاً بعض الشكوك كما أنهم معرضون للأذى. كل ما في الأمر أنهم قد يكونون أبرع منك في إخفاء ذلك.

تشغل الإستراتيجية والبنية الصحيحتان موقعاً أساسياً في الشركة. وغالباً ما تهدر الشركات وقتاً طويلاً في صياغة الإستراتيجيه، في محاولة لجعلها تبلغ حد الكمال، بدل الاكتفاء بالممارسة الشاملة التي تعتمد بعمق على المعطيات التي تزودها بها الشركات التابعة لها، والاستعداد لبدء تنفيذها واستعراض مدى تطورها باستمرار. إن من شأن الاستراتيجية المساعدة على تفادي إنشاء شركة متعددة النشاطات لا تستند إلى المنطق السليم إضافة لافتقارها إلى إمكانية البقاء، وبخاصة في الأوقات العصيبة. كما أن من شأنها إبراز مكامن الافتقار للمهارات، وقد تساعد في تجنب القيام بعمليات استيلاء لا داعي لها وفي تشجيع النمو المتناسق «الذي يسهل التحكم به بالتالي فهو يؤدي إلى كسب مزيد من الثروات» لا تدع مشاعر القنوط أو الدهشة، التي لا مبرر لها، تتملكك إذا تراجع الإجماع بشأن تصوّر ما، بدا واضحاً خلال مرحلة وضع الاستراتيجيه، ليفسح مجالاً لمشاعر التوتر وذلك عندما بدأت الأمور تختل. هذه أمور لا مناص منها.

في حين أن أول أولويات أي شركة هي البقاء، تُظهر لنا الإستراتيجية أن مجرد البقاء ليس كافياً. إذا كانت الشركة ناجحة وحافظت على نجاحها لمدة طويلة، فقد تأخذ بالإحساس باللامبالاة وتترك الضعف يدب في بنيتها وفي ضوابطها. إن أجواء تسييرها إستراتيجية محكمة بإمكانها تفادي هذه الهفوة التي يكثر حدوثها.

الإستراتيجية ليست تدريباً يجري مرة في العام، بل هي ممارسة مستمرة متدرجة تأخذ بالحسبان الخيارات الممكنة على أساس المعلومات الصحيحة المتوفرة. وهي ليست سعيًا وراء تحقيق نجاح فوري ذي نتيجة نهائية، إلا إذا كنت تعمل طبيباً لدى الشركة، يمكن القول في النهاية: إنه مهما كانت الإستراتيجية صحيحة، إلا أن الشركة تبقى بحاجة لأن تترجمها إلى واقع، لأن جعلها تتحقق. ولهذا، على الشركة تعيين الأشخاص المناسبين في المراكز المناسبة، ليقوم بتوجيههم مجلسُ إدارة يعرف كيف يناقش الأمور بتفصيل تام بدّل إلقاء الخطب المفصّلة.

إن مجلس إدارة متوازن، وبخاصة إذا كان مجلساً يضم مدراء غير تنفيذيين تم تعيينهم بأسلوب مناسب -أي أنهم ليسوا معارف شخصيين للمدراء، حيث يسود الانسجام وحيث يجري تعيين كل عضو بصفته شخصاً متعدد الكفاءات، وليس بهدف تعديل الخلل الفني ضمن المجلس- إن مجلساً كهذا بإمكانه أن يحوّل دون أن تتحول الإستراتيجية إلى رحلة تقوم على الأنانية، أو أن تكون إستراتيجية إجمالية لدرجة المبالغة مما يجعل حركة النقد أكثر صعوبة.

ولا سبيل لأي شيء أن يتماسك دون وجود عامل مساعد على العمل، أي علاقة فعّالة بين المدير وبين المسؤول التنفيذي الرئيس. إن فشل العلاقات من هذا النوع يطفئ على جو القصة. في أيوت، هناك مدير ضعيف ومسؤول تنفيذي رئيس قوي. في بايفيلد، تنعكس الآية. على المدير أن يدير مجلس الإدارة، وعلى المسؤول التنفيذي الرئيس أن يدير الشركة. إن المسؤولين التنفيذيين الرئيسيين الذين يتمتعون بالفاعلية، ليسوا غالباً أشخاصاً خجولين منطوين على أنفسهم، بل أشخاصاً متفائلين ينبغي احترامهم من قبل مدير يدرك أن دوره هو دور المدرب أو الموجه، وأنه - في نهاية المطاف - المسؤول الأعلى عن التنفيذ. دور المدير هو صرف المسؤول التنفيذي الرئيس من العمل.

هناك نقطة أخرى حاسمة، وهي ضرورة إعداد خطة لتوريث منصب المسؤول التنفيذي الرئيس إعداداً جيداً، والقيام بمناقشة هذه الخطة سنوياً، دونما وجود أجندة خفية ودونما إحراج، مع الأخذ بالحسبان مرشحين من داخل الشركة وإمكانية ترشيح شخص من خارج الشركة. إياك والتخطيط لتغيير المدير والمسؤول التنفيذي الرئيس في وقت واحد. وفي العادة، يكون من الصواب أن يتم تعيين المدير من بين صفوف المدراء غير التنفيذيين الحاليين. إن تعيين شخص كيفما اتفق في منصب المدير يعني عادة وجود خلل في خطة توريث المناصب.

يجب على المدير دعوة الجميع للكلام والسعي للحصول على آرائهم، وعلى المدراء غير التنفيذيين تحديد أربعة أو خمسة موضوعات تحمل أهمية قصوى، من بين مائة موضوع تجب مناقشتها خلال العام، وتحديد أي الموضوعات يمكن لهم الإسهام فيها بأسلوب فذ. فهم بحكم كونهم غير ملتزمين بالعمل في الشركة، بخلاف زملائهم من المدراء التنفيذيين، بإمكانهم أن يتصرفوا بجرأة وشجاعة وحيوية، وبإمكانهم أن يلعبوا دور الغبراء عن الشركة الذين يحملون تجاه الشركة نفس المشاعر التي يحملها العاملون فيها. إنهم يلعبون دوراً حاسماً لا يقدر بثمن.

إن بإمكان المدراء غير التنفيذيين الذين يتمتعون بالفاعلية، بخلاف أولئك المفتقرين للكفاءة الذين صادفناهم في القصة- عدا بريان هاوس طبعاً، بإمكانهم، بل ومن واجبهم، أن يتقدموا بإسهام وافر. وفي حين يتعين عليهم أن يتجنبوا تسفيه رأي مدير تنفيذي زميل لهم - إذ إنه يتمتع بقدر أكبر من المعرفة في ما يخص شؤون الشركة- إلا أن بإمكانهم الإصرار على وضع الأمور في نصابها الصحيح عند مستوى مجلس الإدارة. إن كل شركة بحاجة لقيادة -فالنجاح والفشل يمكن تلخيصهما بشخص واحد- ودور المدراء غير التنفيذيين هو التأكد من أن الشركة تضم الشخص المناسب في الموقع المناسب في الوقت المناسب.

يحدث أحياناً أن يفرق مجلس الإدارة في بحر من الوثائق، لذا، فإن الشركة تحتاج إلى فرق قوي من المدراء غير التنفيذيين للتوصل إلى رؤية الأمور بصورة صحيحة. إلا أنهم ينبغي لهم ألا يتخطوا الحدود في مجال معرفتهم بشؤون الشركة

بحيث يعرفون إجابات جميع الأسئلة، أو يتصورون بأنهم يعرفونها، قبل طرح تلك الأسئلة أحياناً. فهذه علامة على أن الزمن قد عفا عليهم، وأن الوقت قد حان لمغادرة الشركة إلى مكان آخر.

إن أفضل المدراء غير التنفيذيين هم أولئك الذين يكونون مستقلين فعلاً- من الناحيتين المالية والنفسية. فهم ليسوا بحاجة إلى المنصب من أجل إحراز المنزلة أو المال، بإمكانهم، بالتالي، ترك العمل دون أن يلحق بهم أي ضرر. وهم في العادة يشغلون مناصب تنفيذية بدوام كامل، إلا إذا كانوا هم أنفسهم مدراء، وإلا كانوا متخلفين عن العصر.

إن الاضطلاع بمنصب مدير غير تنفيذي يجب أن يكون مبعث سرور معظم الوقت، كما أن بإمكانه أن يمثل منزلة متميزة، دون الاضطرار لتحمل مسؤوليات يومية. ولكن عندما تنشأ أزمة ما، تتزايد واجبات المدير غير التنفيذي إلى حد كبير، في الوقت الذي لا يكون فيه التعويض المالي الذي يناله متماشياً مع ما يناله المدير التنفيذي رغم ما تفرضه الأزمة من متطلبات زائدة من وقت المدير غير التنفيذي نتيجة زيادة عدد اللجان في مجلس الإدارة، كلجان التعويضات وتدقيق الحسابات والترشيح. هنا تقتضي الحاجة إيجاد توازن ما-فالإسراف في دفع التعويض قد يعرض استقلالية المدير غير التنفيذي للخطر- ودفع تعويض أقل مما ينبغي بإمكانه أن يؤدي إلى تفاقم الضرر.

إن خيرة المدراء غير التنفيذيين بإمكانهم قول «لا» أو إبداء تحدٍ بصورة بناءة دون أن يتعرض ولاؤهم للشبهة. وليست هذه بالمهمة السهلة إذا أخذنا بالاعتبار أن المدراء غير التنفيذيين لا يبلغون من المعرفة القدر الذي يبلغه المدراء التنفيذيون. إضافة إلى أنه لدى وصول موضوع ما إلى مجلس الإدارة، فإنه عادة ما يكون قد حظي بدعم المسؤول التنفيذي الرئيس والمدراء التنفيذيين.

إن منصب المدير غير التنفيذي يجب أن يكون على الدوام بمثابة تجربة يتعلم منها المرء، يدخل هؤلاء المدراء الشركة لتعليم الآخرين، فينتهي بهم الأمر إلى أن يتعلموا، إن خبرة من هذا النوع بإمكانها أن تمدّهم بمزيد من الطاقة كما أنها تجعلهم يطلّعون على أفكار وقطاعات أخرى مختلفة، وهي خبرة مهمة بصورة خاصة إذا كان هؤلاء قد عملوا بصورة رئيسة كمدراء تنفيذيين لشركة واحدة فقط.

والشركات بحاجة لأن تخصص أطول وقت ممكن لتعرف مركز المدينة التجاري The City بإستراتيجياتها. إذا لم تكن الشركة في عداد الشركات الرائدة ضمن قطاعها، فإن المركز لن يخصص لها فترة طويلة من الزمن، بالتالي، على المدراء المعنيين ألا يرهقوا المحللين بسرد كثير من التفاصيل. في ما يتعلق بهذه النقطة، نرى أن كلاً من أيوت وبيافيلد قد أخفقت. حاول دائماً أن تضع توقعات للأرباح تكون واقعية، أو حاول على الأقل أن تحقق نتائج أفضل قليلاً من توقعات المركز.

إن معرفة كيفية التأثير على المركز بهدوء من خلف الكواليس تعتبر ميزة. إذا كان الأداء على المدى القريب ناجحاً بالشكل الكافي، فإن المركز سيثق بك ويتحلى بالصبر إزاء خططك على المدى الطويل. أما إذا ضلّت التوقعات سبيلها، فإن المركز سيُلقي نظرة فاحصة تخلو من التعاطف على مكن الضعف لديك - أي احتمال انعدام وجود إستراتيجية طويلة الأمد. إذا جاءت الأخبار الجيدة بصورة أحداث تتحرك ضمن سياق متتال نحو وجهة عامة سليمة، عندها يكون المركز مستعداً لأن يلحظ ذلك- لكن الأحداث المعزولة لن تحظى بهذا القدر من ملاحظته.

ومن سوء الحظ أن قلة من المدراء، الذين يشقون طريقهم باتجاه مجلس الإدارة الأساسي، تتاح لهم فرصة التعرف إلى المركز. عندما يصل هؤلاء إلى القمة، ينتابهم القلق والاضطراب إزاء الغموض الذي يكتنف حي المال والأعمال.

يمكن اعتبار المستشارين من ذوي الخبرة المهنية مجرد ضرورة قاسية من شأنها أن تُثقل أية صفقة بأعداد زائدة من الأشخاص وأن تستدعي دفع أجور عالية. على المستشارين أن يتحسسوا مواقع أقدامهم بحذر، وألا ينسوا أن معظمهم لم تتح له

فرصة إدارة شركة بأنفسهم، وأن أولئك الذين قاموا منهم بإدارة مؤسساتهم المهنية الخاصة بهم، لم يتميزوا بمهاراتهم الإدارية. إنهم غالباً مجموعة من الأفراد المدفوعين بإغراء طبيعي للاعتقاد بأنهم، في واقع الأمر، أصحاب مهن حرة اجتمعوا فقط لضرورات إدارية. أما النخبة الأفضل من هؤلاء فهي تُقرُّ بوجود تحدٍّ يواجهه زبائنهم، كما تدرك أن الفارق بين النجاح والفشل قد يكون طفيفاً وأنه ليس من السهل أن يحافظ المرء على نجاحه وبخاصة على مدى فترة طويلة من الزمن.

قد يكون من الخطأ تصنيف النساء باعتبارهن كياناتاً منفصلاً ضمن مجال الشركات، لكن المساواة التامة لم تتحقق بعد - ربما باستثناء بعض المجالات ضمن مركز المدينة التجاري. إن السقف الزجاجي قد يتحطم سرعاً في عصرنا الحالي، خلال خمس سنوات على أبعد تقدير، وقد يساعد في ذلك، إلى حد ما، رغبة المدراء في ألا يروا بناتهم يواجهن المعوقات لدى دخولهن معترك السوق، إن النساء المتربرات في مجالس الإدارة الأساسية، اللواتي يتجنبن إغراء تذكير زملائهن من الرجال بأنهن يُعتبرن رائدات، يغلب أن يحصلن على مزيد من الإجماع. لكنهن، قبل الوصول إلى تلك المرحلة، عليهن للأسف الشديد تجاوز استئثار الرجال بمجالس الإدارة.

نحن نلجُ حالياً عصرراً أصبحت فيه اعتبارات المستثمرين تحظى بسلطة عليا، وهذا لا ينطبق فقط على الاعتبارات المتعلقة بالمساهمين، بل على كل ناحية من نواحي مجال الأعمال. وكثيراً ما يُصار إلى ذكر البيئة. إن من الخطأ الفادح نعت مجال الأعمال بالعداء للبيئة. هناك قطاعات عديدة لا يمكن فيها تحقيق النمو الاقتصادي إلا إذا أُسِّس على قواعد علمية سليمة، وهنا نرى أن الرأي العام يقوم، بصورة متزايدة، بدور الحارس الأمين الذي يتمتع بحس فطري يميز بين الصواب والخطأ في ما يتعلق بالبيئة. إذا تفهّمت شركة ما المخاوف المشروعة للمستهلكين وللمجتمع، فإنها تحظى بتأييد هؤلاء، وتخلق مشاعر حسن النية التي لا تقدر بثمن، كما يعود ذلك بالنفع على النتيجة النهائية التي تتوخاها الشركة. عندما يكون هناك نزاع أو خلاف في الرأي، فإن السبب عادة لا يرجع إلى سوء النوايا،

بل إنه غالباً ما يكون صراع ثقافات وتوقعات. وليس باستطاعة العلماء، بالضرورة، تقديم الأجوبة الحاسمة التي غالباً ما يرغب فيها عالم الأعمال والمساهمون «إلى جانب رجال السياسة» بل ويتوقعونها.

لقد حظيت الأعمال، في السنوات الأخيرة، بمكانة أكثر احتراماً في الصحافة وذلك مع تزايد عدد الأشخاص الذين يقدّرون مزايا بيئة عالم الأعمال الناجحة، إضافة إلى أن هؤلاء الأشخاص أصبحوا يتمتعون بفرص أكبر للوصول إلى هذا العالم. فقد أصبح بإمكان أبناء جيل الشباب إنشاء أعمالهم الخاصة والإحساس، في الوقت نفسه، بأنهم جزء من المشهد العام لجو الشركات.

نحن بحاجة لوضع حدٍّ لثقافة الحسد. قد تكون بعض الأرباح زائدة عن الحد وغير عادلة وغير مسوّغة، إلا أن بإمكانها أن تلعب دور الملهم والحافز بالنسبة للآخرين ودور مصدر الثروات في سائر المجال الاقتصادي. وعلينا أن نعترف هنا، بأن من السهل أن نشعر بالحيرة إزاء الملكات العادية التي تميز كثيراً من الأشخاص الناجحين - فليس بإمكان الجميع الزواج من ابن /أو ابنة/ المدير السابق. مثل هذه الملاحظات يجب أن تكون حافزاً لا عائقاً. عندما يحالفك النجاح، حاول الاحتفاظ بشيء من التواضع، بل حاول النظر إلى المشهد العام لجو الشركات وفقاً لعلاقاته الصحيحة. إن الأقطاب ضمن مجال الأعمال ليسوا أكثر أهمية، في حياتنا الواقعية، من الأكاديميين في أبراجهم العاجية، حتى ولو كان المجتمع يشعر بالافتتان إزاء النجاح الذي تمكنوا من تحقيقه. بل إن إنجازات الأكاديميين، في واقع الأمر، قد تكون أكثر ديمومة من إنجازاتهم جميعاً.

كما أنه ليس هناك ما هو أذهب للعافية من قضاء سنوات في نفس الشركة، والتضحية بوقت لا يعوّض تقضيه مع العائلة، وعدم مراقبة أطفالك وهم يكبرون، ومن ثم رؤية تلك الشركة وقد تم الاستيلاء عليها أو تغيير اسمها، عندما يحين الوقت لذلك، تشعر عندها أن السنوات التي قضيتها في خدمة الشركة والموقع الذي حققت فيه إنجازاتك سوف تضيع دون أن يتذكرها أبناء الجيل الذي سيأتي لتسلم مقاليد الأمور صباح يوم الاثنين المقبل.

إن التحليل النهائي يقول بعدم وجود مشاكل فريدة ضمن عالم الأعمال. لقد واجه الناس مثل تلك المشاكل من قبل، وليست هناك ألواح حجرية نُقِشَتْ عليها تعاليم تغطي كل مهنة على حدة، رغم ما يتوافر من كتب مدرسية ودورات إدارة أعمال تدّعي وجود مثل تلك الألواح. إن أكثر العوامل إثارة للاهتمام في الحياة ضمن جو الشركات العام هي وجود مثل هذا العدد الكبير من الرجال والنساء الناجحين في مجال الأعمال الذين يختلفون عن بعضهم اختلافاً يصل لحد التناقض.

ولكن، تكمن تحت السطح بعض المهارات التي يمكن اكتسابها، وهي مهارات أساسية لا تفقد جدّتها. وقد تضمّن هذا الكتاب بعض تلك المهارات وقام بتسليط الأضواء عليها.

